إستكشاف

مفتاح ش. هـ. سبيرجن لنجاح الخدمة

بوب بنيرو

بوب بنيرو

إستكشاف مفتاح ش. هـ. سبيرجن لنجاح الخدمة

إستكشاف مفتاح ش. هـ. سبيرجن لنجاح الخدمة

يلقي هذا الكتـاب الضوء على أهميةِ وترابط روحانيةِ الخادمِ وتقواه الشـخصيةِ بنجاح خدمتِه، حيثُ يتَّخذ من تشارلز هادون سبيرجن مثالاً يحتذى به. لقد ساهم الإرثُ الطهـوري والمعمداني الكالفيني في تشـكيل حياةَ سـبيرجن وفي تطوير خدمتِـه، حيثُ يتناول هذا الكتاب بالتفصيل التأثير المحوري لكتابات جون بنيان وجون جيل وأندرو فولر.

لقد عزّزتْ أمانةُ وحرارةُ مسـيرةِ سبيرجن بالقرب من إلهه وعظه وتعليمه وكتاباتِ خدمتِـه. كمـا أمدّته بالقوةِ الدافعةِ لإنشـاء العديد من الجمعيـات والمجتمعات لمكافحة الفقر، تأهيل المدمنين وتأمين البيوت لإيواء الايتام.

كان سبيرجن واعظاً ومبشراً معمدانياً بارزاً في القرن التاسع عشر في انجلترا. لقد عبرت عظاته المحيط الأطلسـي، حيثُ كانت تُطبع وتوزع اسبوعياً وذلك لسنين طويلـة. فالنصيحةُ التي يقدّمها اليوم لطلاب الخدمـة تكمن في تلك المجموعة الهائلة من عظاته ومؤلفاته التي ما زالت تُدرّس حتى الآن.

نبذة عن الكاتب

ولد روبرت (بوب) بنيرو في لندن – انكلترا. إختبر الرب وهو في الخامسة والعشرين من عمره. لمست الكنيسة دعوةَ الله في حياته فأطلقته للخدمة. تمّت رسامته عام ١٩٨٦ بعد حصوله على الماجستير في اللاهـوت من كلية تورنتو المعمدانية. بعـد ذلك حصل على دكتوراه في الخدمة من كلية الإيمان في بَاكومـا عام ١٩٩٦، ودكتوراه أخرى في الخدمة من كلية نوكـس اللاهوتية في فلوريدا عام ٢٠٠٣. أسّس د. بنيرو إرسالية كاري الكرازية، كلية وليام كاري للاهوت، مركز سبيرجن للدراسات وخدمة المجد والنعمة الدولية. للدكتور بوب وزوجته دوروثي أربعة أولاد هم: جاني، كريسـتينا، نثنائيل وسـارة، وهو يرعى حالياً كنيسة الثالوث والنعمة في غويلف، أونتاريو.

PASTORAL MINISTRY / HISTORY
ISBN 978-0-9876841-0-3
90000
9 780987 684103

© Cover illustration of Charles Haddon Spurgeon by Henry Furniss (1880). Used with the permission of the National Portrait Gallery, London, U.K.
Cover design by Janice Van Eck

CAREY
PRINTING PRESS
www.careyoutreach.org

إستكشاف مفتاح شارلز هادون سبيرجن للخدمة الناجحة

سيكون بلا جدوى بالنسبة لي أن أخزن الكتب في مكتبتي أو أن أقوم بتنظيم المجتمعات وتخطيط المشاريع إن أهملت ثقافة نفسي؛ فبالنسبة لي، الكتب والوكالات والمنظومات هي مجرد أدوات تحرّكها دعوتي المقدسة، فروحي ونفسي وجسدي، هم أكثر الوسائل صلة بدعوتي المقدسة، فملكاتي الروحية وكيان حياتي الداخلي، هما فأس معركتي وأسلحة حربي.

آه يا رب قدسنا، حتى يأتي روحك ويتشبّع في كياننا بالكلية، وليخضع كل عاطفة وليستخدم كل قوة طبيعية فينا لطاعة الله، تعال يا أيها الروح القدس، فنحن نعرفك، تعال سريعاً ظلّلنا، تعال بملءٍ أعظم وامتلكنا.

تشارلز هادون سبيرجن

تشارلز هادون سبيرجن
(١٨٣٤-١٨٩٢)

استكشاف

مفتاح **ش.هـ. سبيرجن**
لنجاح الخدمة

بوب بنيرو

CAREY
PRINTING PRESS

كـــاري
للطباعة والنشر

نشرت بواسطة
مؤسسة كاري، جويلف، أونتاريو، كندا
www.careyoutreach.org

نبذة عن خدمة كاري للطباعة والنشر
كاري للطباعة والنشر هي الذراع الخاصة بالمطبوعات في مؤسسة كاري للخدمات الكرازية، وهي مؤسسة مسيحية عالمية توفر التدريب اللاهوتي للقادة الروحيين من أجل تشكيل الكنيسة والتأثير على العالم.

الطبعة الأولى ٢٠١١
© كاري للطباعة والنشر ٢٠١١، جميع حقوق الطبع محفوظة، فيجب عدم نسخ هذا الكتاب كلّياً أو جزئياً دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

© تم تصميم الغلاف والكتاب بواسطة جانيس فان ايك

فهرسة دار الكتب والوثائق للنشر بكندا

بنيرو بوب
إستكشاف مفتاح ش.هـ. سبيرجن للخدمة الناجحة – بوب بنيرو

تشمل مراجع بيبلوغرافية (الكتابية) والفهرس
ISBN978-0-9876841-0-3

١- سبيرجن (تشارلز هادون) ١٨٣٤-١٨٩٢. ٢- جون بنيان ١٦٢٨-١٦٨٨- التأثير. ٣- جون جيل ١٦٩٧- ١٧٧١ – التأثير. ٤- اندرو فولر ١٧٥٤ – ١٨١٥ – التأثير. ٥- المعمدانيون – انجلترا – سير ذاتية للخدام. ٦ – الروحانية.

BX6495.S7P45 2011 286.1092 C2011-904890-6

إلى دوروثي زوجتي الحبيبة

عطية الله الغالية لي

ولهذه الخدمة

المحتويات

شكر وتقدير	xi
المقدمة	xiii
١. لمحة عامة عن حياة وخدمة تشارلز سبيرجن	١
٢. حياة جون بنيان، الخدمة والروحانية	٢٧
٣. تأثير بنيان على حياة و خدمة سبيرجن	٤٥
٤. حياة جون جيل، الخدمة والروحانية	٥٧
٥. تأثير جيل على حياة وخدمة سبيرجن	٦٩
٦. حياة أندرو فولر، الخدمة والروحانية	٧٧
٧. تأثير فولر على حياة وخدمة سبيرجن	٩١
٨. نصيحة سبيرجن لطلابه بشأن الشخصية الروحية	٩٥
٩. شخصية ش. هـ. سبيرجن الروحية	١١١
١٠. الخلاصة	١٤٣
الملحق: الكتاب التطبيقي لتقييم الشخصية الروحية	١٤٧
المصطلحات	١٥٧

شكر وتقدير

ما كان هذا الكتاب ليُنجَز لولا الصبر الكبير للدكتور مايكل هايكن، المعرفة الثاقبة، عيون النسر، اليد القوية الموجهّة، القلم الحاد والقلب المشجع، فحماس وحفاوة الدكتور هايكن جعلتا هذا المشروع سروراً، وخبرة تعليمية وبركة شخصية.

أعرب أيضاً عن الإمتنان لكل من: جانيت بيلسون والقس جوزيف جراي لاجتهادهما في الاطلاع على الكتابات وتقديم الاقتراحات المساعِدة.

شكر خاص مُقدَّم الى لندا بيلسون على احتمالها الكبير في المساعدة بإعداد الكتابات للنشر.

وأعرب أيضا عن خالص التقدير لجانيس فان أيك على دقتها في التفاصيل ومهاراتها التنظيمية في التحرير وإعداد هذه المخطوطة وغلاف الكتاب للنشر النهائي، شكراً جانيس.

أيضاً أود أن أشكر زوجتي العزيزة دوروثي العطية الثمينة الغالية من عند الله وشريكة الحياة والخدمة والتي بدون ثباتها في تقديم دعم المحبة والثقة التي لا تتزعزع في زوجها، ما كان هذا المشروع أن يرى النور.

مقدمة

هذا الكتاب يشدّد على الروحانية، كمطلب أساسي جوهري للحصول على بركات الخدمة. فقد كانت هذه قناعة سبيرجن الراسخة طوال حياته، كباقي العمالقة المعمدانيين الآخرين المعروفين والمؤثرين. ففي هذا السياق تعتبر التقوى الشخصية لسبيرجن، نموذجاً يُقتدى به، لنجاح خدمة قس القرن الواحد والعشرين.

لذا يجب أن نسأل، ما هو النجاح في الخدمة؟ ما هي التقوى؟ ما هي الروحانية؟ فتفسير كل من نجاح الخدمة والروحانية، يتباين وبشكل كبير في جميع أنحاء العالم المسيحي، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى ارتباك متلوّن بافتراضات المرء الخاصة. لذا يحتاج موضوع نجاح الخدمة والروحانية إلى توضيح. على الأقل من الزاوية التي فهم سبيرجن وآخرون من المعمدانيين المعروفين معناها.

يعتقد الكثيرون أنك لتصير خادماً ناجحاً، عليك أن تخدم جموعاً كثيرة كل يوم أحد، أو أن تمتلك قدراً وافراً من الفصاحة والبلاغة المنبريّة، أو حتى الشهرة. لكن ليس هذا هو المفهوم الكتابي لنجاح الخدمة. فالأمر ليس في كثرة الأعداد، ولو توفّرت لاعتُبِرَ هذا الأمر رائعاً، وليس في بلاغة الخادم، مع أن الخادم المفوّه يعتبر خادماً مرغوباً. وليس في الشهرة أو مقدار ميزانية الكنيسة مع أنه من الجيد للكنيسة والخدمة بأن لا يعوزهما المال. لا، بل يكمن نجاح الخدمة في كونها أسيرة لكلمة الله. كما بأن تكون وفية للإنجيل الذي أرسله وأودعه الله لشعبه. فهذا ما قد أيقنه سبيرجن جيداً.

إن كلمة الله لا ترجع فارغة أبداً، فالخادم الذي يتمسك بكلمة الله ويجسّدها، حتى ولو تعب في مواجهة فشل ظاهري لكنّه سيجد نفسه ناجحاً. فالنجاح يكمن في الإخلاص لله المرتكز على اليقين الثابت بكلمته الأبدية – الكتاب وحده.

تعتبر الروحانية مصطلحاً آخر غامضاً. يعتقد العديدون أن الروحانية شيء ضبابي، وأن الشخص الروحاني هو شخص من ذاك العالم الضبابي الغائم. حيث أننا نعتقد أن الأشخاص الروحانيين هم أولئك الذين يقضون أوقاتهم في التفكير بأفكار لاهوتية عظيمة وعميقة للغاية يصعب على الشخص العادي إدراكها وفهمها. لكن هذا للأسف تحريف لمفهوم الروحانية. الرجل الروحاني كما سنرى مع سبيرجن، هو الشخص المُسيّر بروح الله والمتقوّي فيه. الرجل الروحاني هو الشخص الذى يسلك ملتصقاً بإلهه من خلال الصلاة والتضرّع. الرجل الروحاني شخصٌ ذات قلب مبتهج بالله وملتهب لمجده. الرجل الروحاني يسعى أن يطيع كلمة الله. يسعى في كلامه وسلوكه أن يطبّق رسالة الإنجيل لمستمعيه ولنفسه. هو مُخلص، أمين ومثمر في سعيه لأجل الرب. لاهوته لاهوت مُطبّق عملياً، لاهوته بمثابة نقطة الانطلاق لحمد الله. فهو يعيش لله ولمجده وحده – مجد الله وحده.

بعد تعريف المصطلحات، يهيّئ هذا الكتاب المشهد من خلال لمحة مختصرة عن حياة سبيرجن ثم يليه نظرة على حياة عدد من العمالقة المعمدانيين الكلفينيين كجون بنيان وجون جيل وأندرو فولر. جميعهم أيّدوا وبإصرار الروحانية كشرط أساسي للخدمة المباركة، حيث أثّرت كتاباتهم وبشكل كبير على عقل، قلب وخدمة سبيرجن.

لقد تم تطبيق قناعات سبيرجن حول قوة القداسة والورع في حياة الخدّام ومدى تأثيرها على خدماتهم، من خلال محاضراته وعظاته للطلبة الخدّام فى كلّيته الخاصة بالرعاة. يلي ذلك نظرة عملية على الروحانية الشخصية لسبيرجن، حيث يتضح هذا في كتاباته للترانيم الروحية وصلواته وحياته العائلية وعبادته وعلاقاته الشخصية وكتاباته للرسائل وعظاته وأسلوب حياته العامة.

بعد إثبات أن الروحانية أمر ضروري لنجاح الخدمة، يسعى هذا الكتاب لتعزيز القيم الروحية، عبر كتاب تطبيقي عملي (انظر الملحق)، لتشجيع التقوى الشخصية لرعاة اليوم وللقادة الروحيين.

صلاتي بأن يُسَرّ الرب بإنهاض قادة روحيين، قلوبهم ملتهبة حقاً لمجده، ومبتهجة بجمال وروعة المسيح، الذي وحده هو السيد ملك الملوك ورب كل الأرباب.

ش.هـ. سبيرجن

١

نظرة عامة عن حياة وخدمة ش.هـ. سبيرجن

المشهد الاجتماعي والسياسي

نشرت إنجلترا في العصر الفيكتوري أجنحتها القوية حول العالم. كانت الفتوحات الواسعة للإمبراطورية البريطانية تسير جنباً الى جنب مع برامج الاستعمار المتنوعة، لتؤكد أن إنجلترا كانت في مركز العالم المعروف. تدفّقت الثروة والسلطة من الأركان الأربعة للإمبراطورية البريطانية إلى شواطئ إنجلترا وتحديداً الى الطبقات العليا والأرسطقراطية.

للأسف، استمرّ القمع والاستغلال للطبقة العاملة. وغالباً كانت الطبقات العاملة غير متعلّمة ومرفوضة. كان الفساد الأخلاقي منتشراً في كل مكان. وقد ازدهرت الدعارة في المدن، حيث أن الفتيات الصغيرات تركن منازلهن وقراهن وسعين وراء البقاء على قيد الحياة من خلال بيع أجسادهنّ. وازدهرت الحانات نتيجة الألم الناتج عن الكدح والمعاناة من الحياة اليومية.

نشأت الإصلاحيات لاستغلال الأيتام والمحرومين، وكانت هذه الأيام مظلمة وصعبة «أوليفر تويست"[١]

---

١ أوليفر تويست هو بطل رواية أوليفر تويست (١٨٣٨) لتشارلز ديكنز. من أجل تحاليل وإحصاءات مفصلة للظروف الاجتماعية للعصر الفيكتوري لندن ١٨٦٩، المستشار جيمس جرين وود. جرين وود دوّن سبعة ضربات في لندن.

المشهد الروحي

على الرغم من الاستفادة العظمى لإنجلترا من نهضات جورج ويتفيلد (١٧١٤–١٧٧٠) وجون ويسلي (١٧٠٣–١٧٩١)، استبدلت منابر البلد بالفصاحة وعلم البلاغة على حساب إنجيل تسليم الحياة للمسيح وتجديدها بالروح القدس وقد شُوهد رجال الدين كمهنيين بدلاً من تلقي دعوتهم السامية والمقدسة من الله. اكتسحت الحداثة والليبرالية جميع أنحاء الأرض حوالي سنة ١٨٦٠ لتؤثر فى الكنيسة حوالي ١٨٨٠. لقد حطمت وهزّت نجاح الثورة الصناعية والاقتصادية إيمان الكثيرين وأوجدت برودة وقسوة تجاه كلمة الله.

وصف سبيرجن بشكل حي حالة إنجلترا الروحية أثناء خدمته قائلاً: «نحن نعيش في أوقات محفوفة بالمخاطر ونمرّ بوقت زاخر بالأحداث، العالم المسيحي تزلزل، هناك اضطرابات شديدة فى الأسس الاصيلة للإيمان، فهناك انقلاب على التعليم القديم. وجعل الكتاب المقدس يتكلم اليوم بلسان مجهول. تعاليم الإنجيل، ذلك الإعلان الذي يجعل الناس تخاف من الخطية وترهب فكر الأبدية قد نُحِّيَ جانباً. لقد سُلب من الجلجثة مجدها، ومن الخطية رعبها وضعفت قوة الإنجيل. لايوجد فائدة من جعل الأمور منمَّقة؛ يوجد الآلاف منا في كل الطوائف والذين يؤمنون أن خداماً كثيرين قد ابتعدوا بخطورة عن حق الإنجيل، وظهر انحدار محزن للحياة الروحية فى كنائسنا... الأمر محزن».

يقوم بعض الخدام بجعل الناس يكفرون. ولا يمثّل الملحدون المعروفون خطراً بنسبة العُشر كهؤلاء الوعاظ الذين ينشرون الشك والطعن في الإيمان. وقد قال لنا رجل بسيط ذات يوم أن إثنين من الخدام سخرا منه، لأنه اعتقد أننا يجب أن نصلي لأجل المطر... هل هؤلاء المفكرون المتطورون ملأوا كنائسهم؟ هل، بعد كل هذا، ازدهروا من خلال نبذ الأساليب القديمة؟ والأماكن التي قد ملأها الإنجيل القديم قد أفرغها الهراء وستظل فارغة.[١]

في وسط الظلام الروحي والفساد الأخلاقي أنهض الله القدير عدداً من الأبطال الذين وقفوا للإيمان وأعلنت منابرهم الإنجيل بجرأة على سبيل المثال لا الحصر، الأسقف

هكذا كان في أيامه: الأطفال المهملون، اللصوص المحترفون، المتسولون، النساء الساقطات، لعنة السكر، المقامرون يراهنون وضياع الإحسان (سبع لعنات في لندن) ١٨٦٩

www.victorianlondon.org، ٦ شباط، ٢٠٠٣)

١ جيمس الين، قصة حياة ش. هـ. سبيرجن(١٨٩٣ ؛إعادة الطبع : إيجيس سوفت وير ١٩٩٦)، ٣٠–٣١

جي.سي. ريال من ليفربول (١٨١٦– ١٩٠٠)، ألكساندر مكلارن من مانشستر (١٨٣٢– ١٩٠٧)، أف. بي. ماير (١٨٤٧– ١٩٢٩)، جوزيف باركر (١٨٣٠– ١٩٠٢) ووليم بوث (١٨٢٩– ١٩١٢) مؤسس جيش الخلاص. حتى الآن الأعظم بين الجميع، الذى أُطلق عليه الأفضل بين الأفاضل، " تشارلز هادون سبيرجن أمير الوعاظ" (١٨٣٤– ١٨٩٢). سبيرجن المبشر بالإنجيل بالصوت الراعد القوي لأكثر من أربعين عاماً من منبر خيمة المتروبوليتن، الواقعة في إلفينت وكاسل، جنوب لندن. قامت حماسته للإنجيل من خلال خدماته المتعددة بهزّ الأمّة الإنجليزية وتردَّد صداها في جميع أنحاء العالم.

السنوات الباكرة

ولد سبيرجن في ١٩ حزيران ١٨٣٤ في قرية جميلة تدعى كِلفِدون، إيسكس. فقد جاء من خلفية طهورية وتقاليد تاريخية ثابتة للانفصاليين. فى سن مبكرة تأثر تشارلز سبيرجن بوالده وجده وبالأخص جده، فكلاهما كانا من القساوسة الإنفصاليين. القس جون سبيرجن (١٨١٠ – ١٩٠٢) والده، كان مرتبطاً بعمل في الأسبوع و قد خدم لمدة ستة عشر عاماً لكنيسة مجمعية في توليسبيري كل يوم أحد. صار جون سبيرجن بعد فترة راعياً في بريانتري ولندن. خدم جد سبيرجن القس جيمس سبيرجن (١٧٧٦ – ١٨٦٤) لمدة أربعة وخمسين عاما في كنيسة ستامبورن المجمعية (المستقلة) وكان واعظاً شهيراً بالإنجيل كما كان يحظى بالاحترام وهو حقيقةً رجل محترم ذو وقار.[١]

في سن مبكرة، بقي سبيرجن مع جده. حيث أن ذهنه الحاد وذاكرته الفوتوغرافية الحاضرة كانت واضحة للجميع. وقد انهمكت نفسه بالقراءة وخاصة كتاب سياحة المسيحي لجون بنيان وكتاب الشهداء لفوكس. في سنوات المراهقة، جعل نفسه تنغمس في اللاهوت البروتستانتي، قرأ ودرس لأفضل البروتستانتيين: جون أوين (١٦١٦– ١٦٨٣)، ريتشارد سايبس
(١٥٧٧– ١٦٣٥)، جون فلافيل (١٦٢٨– ١٦٩١)، ومتى هنري (١٦٦٢– ١٧١٤).

وقف سبيرجن كقائد بالطبيعة وطالب استثنائي وموهوب بالذهن الحاد ووضوح التعبير

---

١ فولرتون، تشارلز سبيرجن: الواعظ الأكثر شهرة في لندن (صحيفة مودي ١٩٦٦ في شيكاغو)١١–١٦.

والطلاقة النادرة.[١]

لقد وضع الله يده على سبيرجن في سن مبكرة. اثنان من الأحداث التي حصلت تستحق الإشادة بهما.

الحادثة الاولى: صرخ سبيرجن الشاب المتحمّس عند رؤيته حزن جده على الحالة الروحية لمستر رودس الذي كان عضواً في كنيسة ستامبورن وقال "سوف أقتل رودس القديم، هذا ما سأفعله"، وبعد وقت عاد الشاب سبيرجن منتصراً معلنا لجده " لقد قتلتُ رودس القديم؛ وهو لن يُحزن جدي مرة أخرى". اندهش جيمس سبيرجن من هذا القول فأعلن سبيرجن بجرأة قائلا "أنا لم افعل أي أذى يا جدي، فقد تكلمت عن عمل الرب فهذا كل ما فعلت»[٢]، وفي وقت لاحق ظهر مستر رودس في بيت الراعي وهو منكس الرأس طالباً المغفرة من جد سبيرجن قائلاً أنه لن ينزلق مرة أخرى. ثم أبلغ الجد بما حدث:

«أنا حقا آسف يا عزيزي القس، لقد سبّبت لك الكثير من الحزن والاضطراب.... لقد كنت جالساً في مكان علني (المنزل) وفي يدي كأس البيرة وغليون التدخين عندما دخل ذاك الطفل معتقداً أن رجلاً عجوزاً مثلي يجب أن يوبخ ويقوم طفل مثل هذا بتوبيخي! أشار لي بإصبعه هكذا متعجباً وقال "ماذا تفعل هنا يا إيليا؟ جالساً مع الفجار؛ وأنت عضو في الكنيسة وقد كسرت قلب راعيك. لذلك أنا خجول منك! كما أنني متأكد أنه ما كان يجب علي ان أكسر قلب راعيّ".[٣]

وان كان سبيرجن في سنٍ غضّ أظهر حماسة الإنجيل لمجد الله ملتهباً بالعاطفة التي ميّزت مستقبله طوال حياة خدمته بالإنجيل.

الحادثة الثانية: الحدث الثاني الجدير بالذكر حصل عندما قام القس ريتشارد نيل (١٧٨٧–١٨٥٧) المرسل الأول للهند وهو الخادم الجدير بالاحترام بزيارة القس جيمس سبيرجن في بيته.

كان القس نيل منتبهاً الى الشاب سبيرجن بشكل غريب للغاية حيث ذهب إلى حجرته وأيقظه عند الساعة السادسة صباحاً. وأخذ الولد الصغير إلى حديقة بيت الراعي وهناك

---

١ سوسنّا سبيرجن وجوزيف هارلد،السيرة الذاتية لـ.ش.هـ سبيرجن مأخوذة من المزكرات، الخطابات والسجلات ١٨٣٤ – ١٨٩٢، ٤ مجلدات، (١٨٩٧–١٩٠٠)، المجلد ٤، في ٢ بسادنيا، تكساس، منشورات بيليجرام، ١٩٩٢) ١ : ٢٣.

٢ السيرة الذاتية ١ :٢٣ – ٢٤

٣ السيرة الذاتية ١ : ٢٣ – ٢٤

تحدث القس نيل مباشرة إلى قلب الولد الصغير. يتذكر سبيرجن بحرارة، «لقد حدّثني عن محبة يسوع وعن بركات الثقة التي فيه ومحبتنا له في طفولتنا». يعلّق سبيرجن بمودّة، «لقد كان بكثير من القصص يعظني عن المسيح ويخبرني كيف كان الله صالحاً معه، ثم صلّى أن أعرف الرب وأخدمه». وقد استمر ذلك الأمر ثلاثة أيام. قبل رحيله، اجتمعت كل العائلة في صلاة صباحية. أجلس القس نيل الولد على ركبتيه ونطق بهذه النبؤة الشهيرة، «هذا الطفل سيكون في يوم من الأيام واعظاً للإنجيل، وسوف يعظه لجموع كثيرة. أنا مقتنع أنه سوف يعظ في كنيسة رولاند هيل.»[١] يتذكر سبيرجن أنه تحدث بوقار للغاية وطلب من الولد أن يتعلم ويستخدم ترنيمة وليام كوبر (١٧٣١ – ١٨٠٠)،"الله يعمل بطرق خفية،».[٢] وبالمناسبة تحققت هذه النبؤة بالفعل، وربما أثرت على إيمان سبيرجن الخاص وانفتاحه على "الكلام النبوي" فى خدمته المنبرية.[٣]

التجديد

كان تجديد سبيرجن أعظم نقطة تحوّل فى حياته. ففي سن الخامسة عشر، وبينما كان سبيرجن ذاهباً إلى كنيسة كلوتشسترفي ايسيكس، اعترضته عاصفة ثلجية. فاتّجه إلى أسفل الشارع إلى كنيسة قديمة لنهضة القداسة. كان في تلك الكنيسة حوالي خمسة عشر شخصاً. وكان الواعظ فى هذا اليوم قد «أصيب بالأنفلونزا" لذلك قام شخص آخر بالوعظ. وهويّة هذا الواعظ بقيت غامضة كذلك تاريخ تجديد سبيرجن بالرغم من تقديم تكهّنات عدة في السير الذاتية. مع أنه تم ذكر التاريخ بوضوح في الحاشية:[٤]

"معروف وبشكل مؤكد أن تاريخ تجديد مستر سبيرجن كان في ٦ كانون الثاني ١٨٥٠، فعندما كان يعظ في كنيسة نيو بارك ستريت في صباح يوم الرب في ٦ كانون الثاني ١٨٥٦ من إشعياء ٤٥:٢٢، قال أنه منذ ست سنوات وفي ذلك اليوم نفسه وتلك الساعة ذاتها، انقاد الى شخص المسيح بواسطة عظة من هذا النص".

مع ذلك لا تزال هناك تكهنات كثيرة فيما يتعلّق باسم الواعظ الذي استخدمه الله لكي

---

١ السيرة، ١: ٣٣ – ٣٥.

٢ لمزيد من التفاصيل في وقت لاحق بما في ذلك المراسلات بين نيل وسبيرجن راجع السيرة، ١: ٣٤ – ٣٨.

٣ السيرة،١: ٣٤ – ٣٥.

٤ السيرة، ١ :١٠

يبشر سبيرجن بالإنجيل.[١] كانت معظم السير صامتة، بينما اضافت سير اخرى تكهنات. بالرغم من انه في مقالة غير منشورة،[٢] تيموثي ماكوي قيّم الادلة بعناية وصرّح بالآتي، "أولاً: بعد إجراء تقييم دقيق للحقائق التي لا تدَع مجالاً للشك أن روبرت إيجلين كان الواعظ للعظة الشهيرة (التفتوا). التقت شهادته مع شهادات روبرت تايلر، جوشوا ايلسدن، وجون بلومفيلد وكان هذا الأمر مقنعاً للغاية». لكن إذا كان الأمر كذلك، فإن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا سبيرجن الذي التقى في وقت لاحق مع إيجلين، لم يتعرف عليه؟ افترض تيموثي ماكوي ثلاثة أسباب. أولاً: روبرت إيجلين في وقت العظة كان هزيلاً بسبب الالتهاب الرئوي لكنه تعافى في كل من الصحة والوزن، لذلك كانت هيئته مختلفة كثيراً. ثانياً: في الواقع كان اللقاء مختصراً جدا بل مختصراً للغاية لدرجة أن روبرت إيجلين لم يتحدث مطلقاً. ثالثاً: ربما رغب سبيرجن في أن تبقى الأداة مجهولة حتى يعود المجد إلى الله وحده وليس لأداة اختارها بسلطانه المطلق لكي يستخدمها.

كان النص الشهير الذي استخدمه الله ليظهر مجد المسيح لسبيرجن ويدعوه لنفسه هو: "التفتوا إليّ، واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض" (إشعياء ٤٥ : ٢٢). تذكر سبيرجن بوضوح كيف أن هذه العظة محفورة في قلبه:

> التفتوا إلي؛ وعرقي يتصبب دماً.
> التفتوا إلي؛ وأنا معلق على الصليب.
> التفتوا إلي؛ وأنا ميت ومدفون.
> التفتوا إلي؛ وأنا أقوم ثانية.
> التفتوا إلي؛ وأنا اصعد إلى السماء.
> التفتوا إلي؛ وأنا جالس عن يمين الآب.
> التفتوا إلي؛ أيها الخطاة المساكين، التفتوا إلي! التفتوا إلي![٣]

---

١ انظر هولدن بايك، حياة وعمل تشارلز هادون سبيرجن، المجلد ٦ ١٨٩٤؛ إعادة طبع، المجلد ٦. ٢ ادينبرج: راية الحق الامينة ١٩٩١) ١:٣٦.

٢ تيموثي ماكوي «الخدمة الإنجيلية لـ ش.هـ. سبيرجن: الآثار المترتبة على نموذج معاصر للكرازة الإنجيلية» (رسالة دكتوراة – الأطروحة، المعهد اللاهوتي المعمداني الجنوبي، ١٩٨٩)، ٣٤٧ – ٣٤٨.

٣ السيرة،١: ١٠٦.

بعد عشر دقائق أو نحو ذلك صوّب الواعظ بصره نحو الشاب سبيرجن الجالس تحت الرواق وصاح قائلاً:

"أيها الشاب يبدو عليك أنك بائس جداً وستكون دائماً بائساً – بائساً في الحياة وفي الممات، إذا لم تطع رسالتي؛ لكن إذا أطعت الآن في هذه اللحظة سوف تخلص». ثم رفع يديه إلى أعلى وصاح كأحد قساوسة نهضة القداسة الأولين، وقال، "أيها الشاب انظر إلى يسوع المسيح. انظر ! انظر ! انظر ! ليس بمقدورك أن تفعل شيئا سوى أن تنظر وتحيا."[١]

كتب سبيرجن، "آه لقد رأيت حالاً طريق الخلاص....! لقد نظرت حتى استطاعت عيناي أن تتطلّع بعيداً.... فقد استطعت أن أرتفع في تلك اللحظة، ورنّمت متحمّساً أكثر منهم جميعاً، بدم يسوع الثمين، والإيمان البسيط به وحده." [٢]

في سنٍ مبكرة، في الخامسة عشر من عمره، نظر سبيرجن إلى الرب فعاش. فحياته الآن مثل أسلافه الذين قبله، معطاة تماماً لإنجيل يسوع المسيح. أرنولد داليمور، في سيرته الممتازة عن ش.هـ. سبيرجن، اشار على نحو مميز أن خدمة سبيرجن بالإنجيل قد تشكّلت بالأحداث التي أدّت الى تجدّده: " لقد سبّب فشل الوعّاظ الذين عاصرهم في تقديم الإنجيل، حيث اقترفوا ذلك بشكل مباشر وعلى الملى، في جعله خلال كل خدمته يخبر الخطاة فى كل عظة بطريقة مباشرة ومفهومة كيف يجب أن يخلصوا"[٣]

وبعد أيام قليلة كتب سبيرجن في مذكراته عهداً بينه وبين الله وقام بتوقيعه تحت عنوان، "التكريس":

أيها الإله العظيم المحتجب، يا من تعرف قلبي وتفحص طرقي؛ أعتمد بكل تواضع على دعم روحك القدوس، وأُخضع نفسي لك؛ كذبيحة حيّة، وأعود لك وحدك. فسأبقى معك الى الأبد صريحاً على الدوام، طيلة وجودي على الأرض سأخدمك وأتمتّع بك وأسبّحك الى الأبد؛ أمين.

---

١ السيرة،١ :١٠٦.

٢ السيرة،١ :١٠٦.

٣ ارنولد داليمور، سبيرجن (شيكاغو: صحيفة مودي، ١٩٨٤)، ٢٠.

١ شباط، ١٨٥٠,[١]

المعمودية

قاد حرص سبيرجن واجتهاده في دراسة كلمة الله لكسر تقاليد عائلته، كما أصبح مداناً لأنه آمن بمعمودية المؤمنين البالغين. حتى في سن مبكرة، كان عقله وقلبه أسيرين لكلمة الله. مع أنه ليس من السهل كسر التقاليد العائلية لشخص مثله صاحب ضمير حساس. كتب لوالده من نيوماركت في ٦ أيار ١٨٥٠، يطلب منه الإذن أن يعتمد من أجل أن يعلن على الملى المسيح ويشارك في مائدة الرب:

«والدي العزيز ... بسبب حيرتي بخصوص أمر المعمودية، لم أشترك في مائدة الرب، لم أستطع ضميرياً أن أفعل ذلك إلى أن أتمّم فريضة المعمودية... كما أن خدمة العماد التي يقوم بها مستر كانتلو سوف تكون خلال هذا الشهر ، وأنا بكل تواضع ألتمس موافقتك، حيث أنني لا أستطيع التصرف ضدّ إرادتك، وأتمنى ان أشترك في مائدة الرب الشهر المقبل. ليس لدي الشك في إذنك».[٢]

لم يتلقّى سبيرجن أي ردّ، مطيعاً وبكل شغف كتب سبيرجن لوالدته بعد بضعة اسابيع في ٢٠ نيسان : "والدتي العزيزة، كل صباح أبحث عن رسالة من والدي، أنا متلهف إلى ردّ منه؛ وقد مضى شهر منذ استلامي آخر رسالة منه. من فضلك ارسلي لي إما إذناً أو رفضاً لموضوع معموديتي؛ أنا في ألم الانتظار."[٣]

أخيراً أُعطي له الإذن من الوالدين حتى وإن كان على مضض، واعتمد تشارلز سبيرجن في عيد ميلاد والدته،٣ أيار ١٨٥٠، بواسطة الخادم المعمداني كانتلو من قرية أيسلام والتي تبعد ثمانية أميال من نيوماركت. وقد شهد نهر لارك بور على طاعة سبيرجن لوصية الرب إلهه، وسجل في مذكراته: "النهر المبارك! الرمز الحلو لموتي عن كل العالم

---

١ السيرة،١ :١٢٩.

٢ السيرة،١ :١٢١.

٣ السيرة،١ :١٢٢.

جون سبيرجن
(١٨١٠-١٩٠٢)

!"[١] يصف سبيرجن اختبار وبركة الجراءة ليعلن عجائب الإنجيل:

استيقظت مبكراً، لكي أقضي بضع ساعات في الصلاة الهادئة والتكريس لله. ثم أمشي ثمانية أميال هبّت الرياح على النهر بدفقٍ حاد... حتى شعرت كما لو أن السماء والارض والجحيم يحدقّون إليّ؛ فحينها كما الآن لم أخجل من جعل نفسي تابعاً للحمل. لقد زال خجلي... وأطلقت المعمودية لساني أيضا ومن ذلك اليوم لم يعد لساني يهدأ. لقد فقدت آلاف المخاوف في نهر لارك هذا، ووجدت أنه في حفظ وصاياه مكافأة عظيمة " فِي حِفْظِهَا ثَوَابٌ عَظِيمٌ ".[٢]

مثل والده وجدِّه، كان قلب سبيرجن وروحه مركّزين على الخدمة الرعوية. لقد استيقظ الآن حماسه الكرازي وقد سعى بقوة لاستغلال كل الفرص للتبشير بالإنجيل.

خدمة سبيرجن في وتربيتش

في عمر يناهز السابعة عشر، استقبل سبيرجن دعوة ليرعى كنيسة معمدانية صغيرة في قرية وتربيتش، وهي قرية صغيرة جداً تقع في شمال شرق كامبريدج. وبينما كان سبيرجن مسافراً إلى القرية كان قلبه مشتعلاً بالنفوس. كتب، "كم آمُل بجدية أن أبذل حياتي لإنارة نفس بعد الأخرى بالشعلة المقدسة للحياة الأبدية ! أتمنى أن تكون نفسي مختفية بقدر الإمكان أثناء عملي حتى أحظى بالنور واللمعان السماوي العلي عند إتمام خدمتي.»[٣] وقد كان الله مسروراً بمنح سبيرجن سؤل قلبه. حيث في غضون أشهر قليلة تحولت وتربيتش الكنيسة الصغيرة المليئة بكوم من القش إلى فيضان من البشر. وقد كانت عظة سبيرجن الأولى والأخيرة في وتربيتش من هذا النص: "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١ : ٢١).[٤]

فقد خدم سبيرجن وجاهد بأمانة من خريف ١٨٥١ إلى نيسان ١٨٥٤. وقد بارك الله جهوده، حيث أنه في خلال سنتين تضاعف عدد الأعضاء من أربعين إلى مئة. وقد

---

١ السيرة،١ :١٣٥.

٢ السيرة،١ :١٥١-١٥٢.

٣ السيرة، ١ :٢٢٧.

٤ السيرة، ١ :٢٢٩.

أعتقد سبيرجن أن الله هنا قد وضع ختم القبول على خدمته. حيث أنه قبل وصول سبيرجن كان هذا المجتمع الصغير مليء بالسكر والنجاسة وأعمال الشغب والظلم والتجديف.

وتعليقاً على خدمته في وتربيتش كتب سبيرجن: لقد سُرَّ الرب أن يعمل آيات وعجائب في وسطنا. وقد أظهر قوة اسم يسوع، وجعلنا شهوداً لهذا الإنجيل الذي به نستطيع ربح النفوس، ونجذب القلوب المقاومة والحياة التي أنتنت وإصلاح سلوك الناس من جديد.[١]

الدعوة الرعوية لكنيسة نيوبارك ستريت

سريعاً ما سمعت كنيسة نيو بارك ستريت المعمدانية في لندن عن الشاب سبيرجن ودعته إلى الوعظ. وبسبب تاريخ هذه الكنيسة العريق[٢] كان ردّ سبيرجن على دعوتهم في بادئ الأمر أنهم قد أخطأوا في الاسم، ربما يبحثون عن سبيرجن آخر، لأنه مجرد شاب في التاسعة عشر![٣] في أيام سبيرجن كانت قد فقدت الكنيسة مجدها السابق والآن تقع في حي رديء فاسد تحيط بها العديد من المخازن.

أُلقيت عظته الأولى في ١٨ كانون الأول ١٨٥٣، في صباح شتاء بارد، كانت بعنوان "أبو الأنوار"، حسب رسالة يعقوب ١ :١٧، وتحدّث سبيرجن بجرأة وحرية عظيمة، كشخص مقتنع أن لديه رسالة من قبل الله. علاوة على ذلك، كان شخصاً ذا خبرة بالرغم من كونه شاباً يافعاً لكنه كان قد وعظ حتى ذلك الحين ٦٧٣ عظة.[٤]ففي خطاب إلى والده كتب سبيرجن أن الكنيسة كانت كلفينية وتاقت أن يُبشَّر لها بالإنجيل بمسحة، أفضل من الخطاب التعليمي من أصحاب الدرجات العلمية. لقد كتب، أن العديد من الناس اعتقدوا أنه جون ريبون الجديد.[٥]

---

١ ارنست باكون، سبيرجن: بطل البروتستانتيين (لندن : جورج ألن ويونون ١٩٦٧)٣٢.

٢ الفصل التاريخي لكنيسة نيو بارك استريت، المستشار شندلّر، من مكتب حاجب إلى منبر الخيمة: حياة وجهاد القس سبيرجن (لندن : باسمور والاباستور ١٨٩٢)٧١-٨٤؛ الكنيسة لديها سلسلة من معلقات الوعاظ، على سبيل المثال بنيامين كيتش (١٦٦٨ إلى ١٧٠٤)، جون جيل (١٧٢٠ إلى ١٧٧١) وجون ريبون (١٧٧٣ إلى ١٨٣٦).

٣ السيرة،١:٣١٧.

٤ السيرة،١: ٣٢١.

٥ السيرة،١: ٣٤٠-٣٤١.

كان الاستقبال الأول لسبيرجن من قبل الكنيسة متردداً. لكنه دُعي مرة أخرى للوعظ في (١و١٥ و٢٩ كانون الثاني ١٨٥٤)، وقبل اليوم الأخير من خدمته اتخذت الكنيسة إجراءات محددة ووجهت له دعوة لرعايتها حيث إتخذت القرار بإجماع الاعضاء.[١]

قبل سبيرجن المتواضع الدعوة لكنه طلب فترة اختبار لمدة ثلاثة أشهر. وقد ظهر تواضعه بوضوح في خطاب ردِّه الذي كتبه عندما كان في التاسعة عشر من عمره. فقد أعدَّ الخطاب ليعلن بشكل كامل عن فهمه الغني للخدمة الرعوية:

٧٥ دوفر رود، بور،
٢٨نيسان، ١٨٥٤.

إلى الكنيسة المعمدانية العابدة للمسيح
في نيو بارك ستريت تشابل، ساوثوارك

أحبائي الأعزاء في المسيح يسوع،

لقد تلقيت دعوتكم لرعاية الكنيسة بالإجماع بناء على قراركم الصادر في ١٩ من الشهر الحالي، رغبةً منكم أن أكون راعياً بينكم. ولا يلزم إطالة الرد عليكم لذلك أقبل دعوتكم الموجهة إليّ. حيث أنني لم أكن متحيِّراً فيما يجب أن يكون ردي، لأن أشياء كثيرة تحدّتني للردّ.

قد حاولت أن لا أقبل دعوتكم، لأنني كنت راعياً لشعب غير معروف لكنه دافئ بمحبّته؛ كما أنني لم أكن أسعى إلى الترقية في منصبي. لم أحسب يوماً بأنني سأبشّر في لندن وهذا ما ورد في الدعوة التي وجّهها لي شمامستكم حيث أنني ارتعشت من فكرة التبشير هناك...

فصممت أن أضع نفسي بين يدي إله عهدنا الذي بحكمته يدير كل الأشياء. وهو سوف يختار لي؛ بقدر ما أستطيع أن أحكم، هذا هو اختياره.

أشعر أنه لشرف عظيم أن أكون الراعي لشعب يستطيع أن يذكر أسماءً مجيدة مثل

---

١ السيرة،٣٤٤:١-٣٥٤.

أسلافي، وأنني أتوسّلكم أن تذكروننني في صلواتكم، حتى أدرك المسؤولية الجليلة التي عُهدت إليّ. متذكرين شبابي وقلة خبرتي؛ فصلّوا لئللا تكون هذه الامور معوقاً لخدمتي. كما إنني واثق بأنكم فيما تتذكّرون هذه الامور سيقودكم هذا لمغفرة أخطائي التي قد أفعلها، أو كلمات في غير محلها التي يمكن أن تخرج مني سهواً.

مبارك اسم الله العلي! إذ أنه هو الذي دعاني لهذا المنصب، فهو الذي سوف يساندني فيه، وإلا كيف يمكن لطفل، لشاب، أن يفترض أنه يحاول أن يقوم بالعمل الذي يملأ قلب ويدي يسوع؟ عطفكم عليّ كان عظيماً، وقلبي مرتبط بكم. أنا لا أخشى ثباتكم، بل أخشى على نفسي... آه، لذلك أتمنى ألا أسبب لكم أذى، بل استفادة دائمة!

ليس لديّ المزيد لأقوله، هذا فقط، وهو إن كنت قد عبّرت عن نفسي بهذه الكلمات القليلة بطريقة غير لائقة فلا تنسبوا لشبابي و قلّة خبرتي بل اغفروا خطَئي.

والآن، أستودعكم لدى إلهنا حافظ العهد، يهوه الثالوث القدوس، أهية.

خادمكم بالإنجيل

ش.هـ.سبيرجن. [١]

من المثير للاهتمام، السيد شريدان نولز، الكاتب المسرحي والممثل الشهير ومدرس فن الخطابة في ستبني، وهي الآن كلية ريجنت بارك، كان يرهب سبيرجن جداً حتى أنه حثّ كل طلابه أن يستمعوا إليه وهو يعظ! وقد أدلى السيد نولز بهذا الكلام النبوي لطلابه بشأن سبيرجن:

«الآن، انتبهوا إلى كلامي يا أولاد، هذا الشاب سوف يعيش ليكون أعظم واعظ لهذا العصر ولأي عصر آخر. سوف يأتي بنفوس للمسيح أكثر من أي رجل آخر بشّر بالإنجيل باستثناء الرسول بولس. سوف يكون اسمه معروفاً في كل مكان، وستُترجم عظاته إلى لغات كثيرة في العالم».[٢]

في غضون أشهر قليلة من وصوله إلى كنيسة نيو بارك ستريت المعمدانية، أشاد سبيرجن بأنها"وايتفيلد الثانية" وارتفع عدد الحضور من ٢٠٠ إلى أكثر من ١,٠٠٠. وبسرعة انتشرت شهرة سبيرجن في جميع أنحاء انجلترا لكن للأسف ارتفع أيضا عدد

---

١ السيرة ١: ٣٥٢-٣٥٣.

٢ السيرة ١: ٣٥٤.

منتقديه. وغالباً ما وجد سبيرجن نفسه مصوراً بأكثر الطرق قساوة. ومع ذلك استخدم الله ذلك للخير، حيث جاء الكثيرون فقط للازدراء والفضول لكنّهم إلتقوا بالمسيح. كتب سبيرجن: "الرجال والنساء الذين جاءوا بدافع الفضول – الفضول الذي غالباً ما ينشىء من بعض القصص التي لا أساس لها من الصحة، أو الحقد وتشويه السمعة من عقول متحاملة؛ هؤلاء قد دعاهم يسوع المسيح، وأصبحوا تلاميذه وأصدقاء حميمين لقلوبنا."[١]

لقد أرجع سبيرجن هذا النجاح طوال حياة خدمته لصلوات رجال الله. فقد كان سبيرجن مقتنعاً بأن اجتماعات الصلاة في الكنيسة كانت مفتاح نجاح الخدمة:

«عندما جئت إلى كنيسة نيو بارك ستريت لم يكن هناك في البداية إلا عدد قليل من الناس من الذين وعظتهم؛ ولا يمكن أن أنسى كيف كانوا يصلّون بجدية. كان يبدو عليهم أحياناً أنهم يناشدون كما لو كانوا حقاً يرون ملاك العهد حاضراً معهم، وكما لو كان يجب عليهم أن يحصلوا على بركة منه. أكثر من مرة، كنا في رهبة ووقار شديد في الاجتماع وكنا نبقى في صمت للحظات بينما تظهر قوة الرب وتظللنا....»[٢]

جلبت هذه التجربة المجيدة قناعة لسبيرجن طوال حياته بأن التبشير بالإنجيل يلاقي البركة والنجاح في صلوات رجال الله.

قاعة شيري جاردين الموسيقية

تزايدت الحشود ومن أجل استيعابها تطلّع سبيرجن إلى قاعة شيري جاردين الموسيقية (تسع لـ ١٠,٠٠٠ مقعد). بعد ذلك، حدث موقف مأساوي ضرب قلب الواعظ الشاب. ذات مساء في القاعة الموسيقية، صاح شخص ما، "حريق! فهلع الجمهور، وتساقط المكان." وانتشر الذعر. فتدافع الناس إلى الأبواب، فسقط البعض ودُهس، وتحطم السلم الحديدي تحت الضغط، وتساقط الناس. ثمانية وعشرون شخصا نقلوا إلى المستشفى؛ وللأسف فقد سبعةً منهم حياتهم. حاول سبيرجن أن يعظ وهو لا يعرف ما الذي يحدث، وبعد أن أدرك ما حدث أغمي عليه وحملوه إلى الخارج. كان المكان في ضجيج. وبعد ذلك عاد سبيرجن إلى المنزل في هذا المساء، وهو رجل محطَّم. حين دخل منزله، سجد

---

١ السيرة، ١: ٣٦٥.

٢ السيرة، ١: ٣٦١.

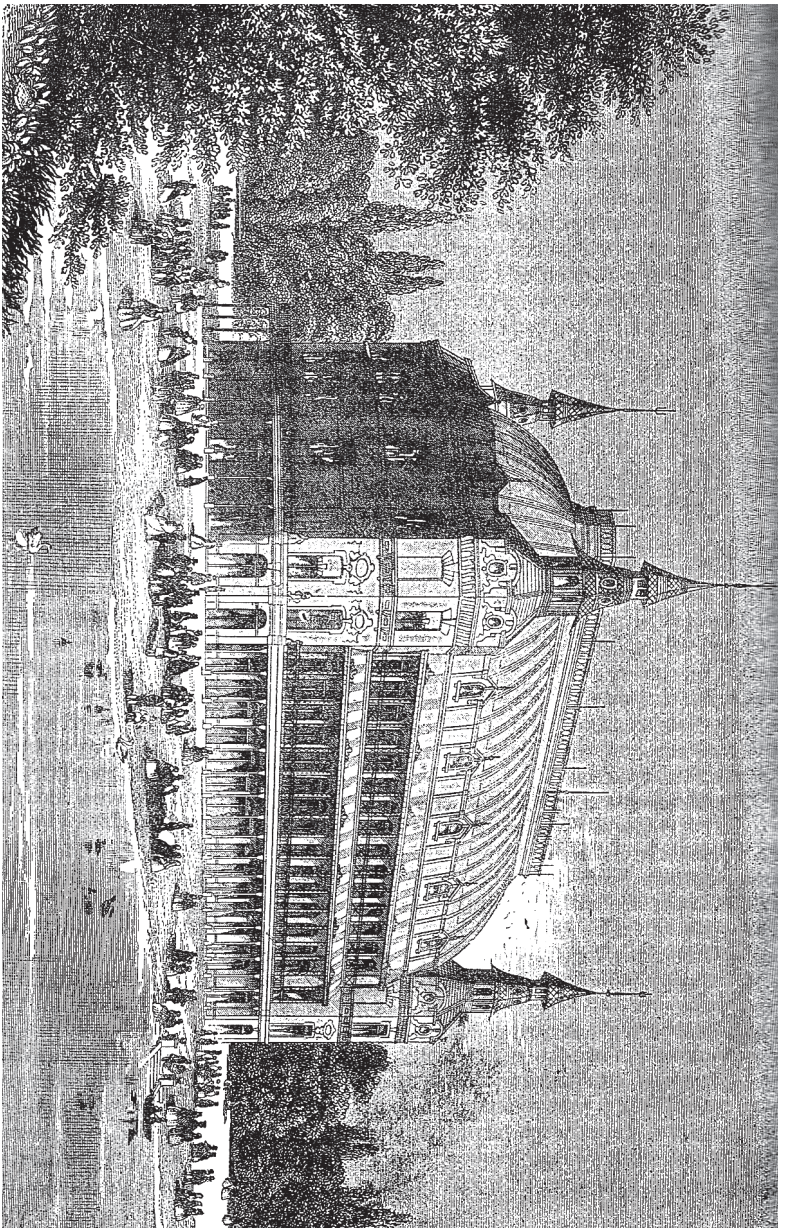

قاعة شيري جاردين الموسيقية

أسفل الأريكة وبكى. في الأيام المظلمة والصعبة التي تبعت الحدث، أصبح سبيرجن الآن رجلاً محطّماً ومكتئباً. وقد كتب تلك الكلمات:

«من يستطيع تصوّر كرب روحي الحزينة؟ لقد رفضت أن أكون متعزياً: كانت الدموع طعامي بالنهار وكانت الأحلام رعبي بالليل...»

كتابي المقدس كان فقط طعامي اليومي، وبل كان اليد التي ترفع سدود محنتي. لم تكن الصلاة المرفوعة بلسماً لي.[١]

بالرغم من أنه كان في وسط التجارب والدموع، التفت من جديد إلى المسيح. " لقد ألقيت أعبائي على الرب....الازدراء، الاضطراب والحرب التي تبدو لا شيئاً من أجله. لقد شدّدت حقوي لكي أجري أمام مركبته وأعلن بقوة مجده."[٢] وبعد ضياع اجتماعين لأيام الأحد، عاد سبيرجن واستبدل الخدمات بجعل الخدمات الصباحية تقام في القاعة الموسيقية والمسائية في كنيسة بارك ستريت. استمر ذلك للثلاث سنوات التالية، من تشرين الثاني ١٨٥٦ إلى كانون الاول ١٨٥٩.

كان الله مسروراً أن يُخرج من المأساة انتصاراً. بين عشية وضحاها، أصبح سبيرجن اسماً مألوفاً بين الجماهير، والجمع تزايد! إحدى الصحف الرائدة التي علّقت على الكارثة قبل ثلاثين عاماً، كتبت، "من الغريب بما فيه الكفاية، أن تلك الحادثة التي كانت ذات طبيعة خطيرة والتي لأول مرة تلفت انتباه العالم بشكل عام هي التي جعلت تأثير مستر سبيرجن يرتفع."[٣]

خيمة المتروبوليتن

من أجل استيعاب الأعداد الضخمة، بُنيت خيمة المتروبوليتن في منطقة إلفينت وكاسل، جنوب لندن. كان سبيرجن يخدم صباحاً ومساء كل يوم أحد حوالي ٦,٠٠٠ شخص. خمسة آلاف كانوا يجلسون و١٠٠٠ شخص وقوفاً. وكان كثيرون يتجددون بسبب عظاته الجريئة عن المسيح.

كانت الجموع تتكوّن بمعظمها من الطبقة ما دون المتوسطة، كثير منهم كانوا أناساً

١ فولرتون، تشارلز سبيرجن: الواعظ الأكثر شعبية في لندن (شيكاغو: صحيفة مودي ١٩٦٦) ٨٣ – ٨٤.

٢ فولرتون، سبيرجن: الواعظ الأكثر شعبية في لندن، ٨٤.

٣ فولرتون، سبيرجن: الواعظ الأكثر شعبية في لندن، ٨٥.

ناجحين وصالحين. ومع ذلك كان هناك أيضاً بعضاً من الطبقة العليا. من بين الشخصيات البارزة من الطبقة العليا الذين حضروا في بعض الأوقات كان اللورد جون راسل، السيدة بيل، اللورد شافتسبيري، لورد كامبل، رئيس أساقفة كانتربيري، فلورانس نايتنجيل، جورج ايليوت، ماثيو أرنولد، رئيس الوزراء وليام جلادستون (الذي جلس على المنبر وراءه) والشاب ديفيد لويد جورج، الذي كان سيُعيّن رئيس وزراء في وقت لاحق.[١]

أثناء فترة رعاية سبيرجن، أُضيف ١٤,٧٠٠ شخص إلى قائمة عضوية خيمة المتروبوليتن، ١٠,٨٠٠ معمداني والباقي منتقلون من كنائس أخرى.[٢]

أول عظة لسبيرجن في خيمة المتروبوليتن كانت في ٣١ آذار ١٨٦١. كانت تحت عنوان (أمجاد الهيكل) وكان تركيزه الواضح على الرب القدير وقدرة الروح القدس. وقال بجرأة:

«دعونا نطلب من الله أن يرسل نار الروح القدس هنا، والخادم سوف يختفي أكثر كثيراً في سيده. وسوف تفكرون قليلاً في الخادم وكثيراً في الحق المنطوق..... افترضوا أن النار ستأتي هنا، والسيد يُرى أكثر من الخادم، ثم ماذا؟ لماذا ستزداد قوة الكنيسة بمقدار اثنين ثلاث أربعة آلاف.... وستكون قاعة المحاضرات التي أسفل هذه المنصة مزدحمة في كل اجتماع للصلاة، وسوف نرى في هذا المكان شباب يكرّسون حياتهم لله؛ وسوف نرى خدام تنهض، وتتدرّب وتُرسل بقوة لكي تحمل النار المقدسة إلى أجزاء أخرى في العالم.... إذا باركنا الله، سيجعلنا بركة لجموع أخرى. دعونا نطلب من الله ليرسل النار، حتى أن أكبر الخطاة في الحي سوف يتجدد؛ أولئك الذين يعيشون في أوكار العار سوف يتغيرون؛ السكير سوف يترك كأسه، الكثير القسم سوف يتوب عن تجديفه، الفاسقون سوف يتركون شهواتهم...»

انهضي أيتها العظام اليابسة من جديد

---

١ جيف توماس، " تقدم الواعظ " في ايرول هولس.

الخدمة: كيف أن كل خدمات سبيرجن تتحدث لنا اليوم (دارلينجتون: صحيفة الكرازة ١٩٩٣) ٣٧ – ٣٨.

٢ باكون، سبيرجن: وريث الطهوريين، ٦٠.

وأيتها القلوب الحجرية تحولي إلى قلوب لحمية.[١]

فقد كان سبيرجن نشيطاً في عدد من المشروعات داخل خدمته في الكنيسة. كانت عظاته تُطبع أسبوعيا وتُقرأ في كل أنحاء العالم، والتي بلغ قرّاؤها ما يقرب من مليون قارئ واستمرّ نشر هذه العظات حتى بعد وفاته وكان عددها ٣,٥٦١ (من١٨٥٥ إلى ١٩١٧).

كان رئيس تحرير المجلة الشهرية (السيف والمنجل). التي نشرت من خلال خيمة المتروبوليتن. وكتب أيضاً سبيرجن عدداً من الكتب: السيرة الذاتية لـ ش.هـ. سبيرجن، مجموعة من مذكراته، العظات والوثائق هي أفكاره التى قامت زوجته وسكرتيرته الخاصة بإعادة صياغتها بشكل كبير؛ محاضرات إلى طلابي وجولة حول الخدمة وكلاهما مليئة بالنصائح لطلاب الخدمة وخريجي كلية الرعاة. (كان سبيرجن مؤسس كلية الرعاة في ١٨٥٦ والتي قد تخرج منها أكثر من ٩٠٠ طالب قبل وفاته) كتب كتابين، الكل بالنعمة والباب الضيق، لهؤلاء الذين يسعون للخلاص؛ وفقاً للوعد، لشرح عناية ومعاملات الله وكتاب شيكات الإيمان، التأملات اليومية، لتهذيب شعب الله. وكتب تفاسير عديدة، كما شملت كتاباته خزينة داود، وإنجيل الملكوت. والكتاب المعروف شرح الإنجيل حسب متى مع التعليقات والتفاسير، الذي كُتب لإرشاد ومساعدة الرعاة في اختيارهم للتفاسير، على سبيل المثال لا الحصر. أسّس سبيرجن أيضا اثنين من دور الأيتام، فضلاً عن العديد من المؤسسات الأخرى (تُقدَّر أعماله في مجموعه حوالي الستين عملاً).

المشهد اللاهوتي

لقد أعلن سبيرجن بصراحة، «عملي اليومي هو إحياء العقائد القديمة لجيل، أوين، كالفين، أوغسطينوس ويسوع.»[٢] وقد تمسك بعناد بما يسمى "عقائد النعمة"، ولأجل ذلك كان يعلن أن الرب القدير هو رب الخلاص، وهو الواحد الذي يدعو شعبه المختار من خلال العمل الكفاري ليسوع المسيح. شعر سبيرجن أن الكلفينية تُظهر بروعة كيف أن الإيمان بسيادة الله وإختياره بالنعمة تُعزز الإنجيل وتُضرم الحماس للتبشير. في الواقع،

---

١ "أمجاد الهيكل" منبر خيمة متروبوليتن (طبعة ثانية، ألباني، آيجيس سوفت وير ٢٠٠٠) ٤٠٨.

٢ لاين موراي، سبيرجن المنسي (ايدنبرج: شعار ثقة الحق ١٩٧٨) ٥٨.

بدلاً من إعاقة وإضعاف الإنجيل، تُظهر الكلفينية قوّته في دعوة الخطاة إلى المخلص. تعلن الكلفينية حقيقة الخلاص بشكل معاكس لإنجيل الاراميين الشمولي. لم يُخفِ سبيرجن أبداً حبه لعقائد النعمة بل كان يعلنها بلا خجل في حياته وخدمته المنبرية. وبدعابة مميزة أعلن سبيرجن الشاب في قاعة ايكستر ستراند في ٤ آذار ١٨٥٥:

العقائد الخاصة بالخطية الأصلية، الاختيار، الدعوة المؤثرة، عدم هلاك المؤمن، فمجمل هذه الحقائق العظيمة تُدعى الكلفينية... فهذه جميعها في اعتقادي هي العقائد الاساسية للإنجيل الذي في يسوع المسيح. الآن أنا لا أطلب منكم أن تؤمنوا بكل هذا وإن كان ذاك ممكنا أو ربما لا. لكنني أؤمن أنكم ستؤمنون قبل أن تدخلوا السماء. ومقتنع أنه كما أن الله يغسل قلوبكم، فسوف يغسل عقولكم قبل أن تدخلوا السماء.[١]

المشهد الجدلي

لم يكن سبيرجن فقط مبشراً بالإنجيل لكنه أيضاً كان مدافعاً عنه. لم يتطلع أبداً لخوض المعركة، لكن عندما تأتي لم يتجنب الخوض في قضايا كثيرة مثل قضايا اليوم. حدثت أربع مناظرات لاهوتية عظيمة خلال حياة سبيرجن.

الجدال الأول: عندما بدأ الناس يقرأون عظات سبيرجن المطبوعة، اندلع الجدال حول الكلفينية. لم يكن»متشدداً» كفايةً بالنسبة للبعض؛ كما كان كلفينياً زيادة عن اللزوم لآخرين![٢] كثر النقد في الصفحات الدينية للصحف، لكن سبيرجن ثبّت عينيه على مخلّصه واستمر في الوعظ. كتب سبيرجن لأحد أصدقائه وقال،" أنا لا أنهزم بسهولة. وسأستمر ولن أبالي بأي إنسان على وجه الأرض."[٣]

---

١ "نوم الحبيب المميز" في منبر نيو بارك ستريت، المجلد ٦ (١٨٥٥ – ١٨٦٠ طبعة ثانية.

٢ المستشار أيان موراي،سبيرجن الكلفيني المتشدد :المعركة للتبشير الإنجيل (ايدنبرج: الثقة براية الحق ١٩٩٥) ٣٩ – ١٢٤.

٣ وارن ورسبي، السير مع العمالقة: مرشد الخادم للقراءة الجيدة والوعظ العظيم (جراند رابيدس: كتاب المنزل لبيكر ١٩٧٦) ٧٣.

الجدال الثاني: في ٥ حزيران ١٨٦٤، وعظ سبيرجن عظة بعنوان "السيد الشجاع في الحق"[١] ضد عقيدة الخلاص بالمعمودية من مرقس ١٦ :١٥ – ١٦. اعتقد سبيرجن أن كثيرين سوف يرفضونه ويرفضون خدمته حول هذه القضية المثيرة للجدل. ومع ذلك كان الرد مثيراً وقد تم شراء الكثير من عظاته أكثر مما مضى – ربع مليون نسخة ! فقد أثار ذلك عش الدبابير، وكتب رجال الدين في كل أنحاء إنجلترا إما بالدفاع أو الهجوم على سبيرجن. بالرغم من هذا الإنجاز المتواضع، واصل مؤيدو التجديد بالمعمودية طريقهم، وأما المعمدانيون فتثبّتت قلوبهم وتقوّوا في موقفهم.[٢]

كانت دعابة سبيرجن واضحة مرة أخرى عندما ردّ على أحد أصدقائه الذي قال له: «أسمع أنك في مياه ساخنة»، قال له صديق. أجاب سبيرجن أوه لا،» بل الأشخاص الآخرون هم الذين في الماء الساخن. أنا الموقد الذي يغلي الماء.»[٣]

الجدال الثالث: ازداد التوتر عندما قام واعظ آخر مشهور في لندن، وهو جوزيف باركر، حيث كان واعظاً في مدينة تامبل، بنشر خطاب مفتوح غير حكيم إلى سبيرجن في صحيفة بريطانيا الأسبوعية، في ٢٥ نيسان ١٨٩٠. وكان مؤتمر سبيرجن للرعاة منعقداً في نفس الأسبوع الذي نشرت فيه المقالة مما جعل هذه المقالة الحاقدة أكثر تدميراً.

في جزء منها يقول: اسمح لي أن أنصحك بتوسيع الدائرة التي أنت مركزها. ويحيط بك مقدمو البخور. وهم يتملّقون ضعفك، ويضحكون على نكاتك، ويغذّونك بالمجاملات. عزيزي سبيرجن، أنت رجل كبير جدًا على هذا. خذ هواءً نقياً أكثر... بدّد حرمك الكنسي. أنا لا أقول لك دمّر دائرتك: بل ببساطة أقول وسّعها...[٤]

الجدال الرابع: الجدال اللاهوتي الأكثر ألماً والذي تطور بين إخوة سبيرجن في الاتحاد المعمداني (١٨٨٧ – ١٨٨٩). روبرت شيندلر، الصديق المقرب، نشر مقالتين ولأسباب

---

١ الشخصية في الجزء الثاني لجون بنيان، التقدم لبيلي جرام.

٢ باكون، سبيرجن وريث البروتستنتيين ١٢٨.

٣ ويرسبي، السير مع العمالقة ٧٣.

٤ ويرسبي، السير مع العمالقة ٧٥– ٧٦.

بقيت مجهولة في صحيفة السيف والمنجل وقد عبّر فيهما عن نمو بدعة في بعض الكنائس المعمدانية. أول مقالتين كانتا بعنوان "الصف الهابط."[١]

كتب سبيرجن بعد ذلك:

لقد أصبح لدينا الآن سؤال خطير، إلى أي مدى يبقى هؤلاء الذين لديهم الإيمان المسلم للقديسين متآخين مع أولئك الذين انحرفوا إلى إنجيل آخر؟ المحبة المسيحية لها متطلّباتها، والانقسامات قد تكون منبوذة مثل الشرور الخطيرة؛ لكن إلى أي مدى نبرّر بقاءنا في اتحاد مع هؤلاء الذين ابتعدوا عن الحق؟[٢]

في وسط هذا الجدال كافح سبيرجن إلى مدى كبير حتى لدرجة فقدان أصدقائه، اختبر تشويه السمعة والرفض والعزلة. و بدأت صحّته تتدهور، لكن مثل كثيرين قبله من الطهوريين الأوائل لم ولن يستطيع سبيرجن تسليم حق الإنجيل. في ٢٨ تشرين الاول ١٨٨٧، انسحبت خيمة المترو بوليتان من الاتحاد المعمداني. وبقلب مُثقل كتب سبيرجن، "صديقي العزيز، أتوسل إليك كصديق حميم وكسكرتير الاتحاد المعمداني، يجب عليّ الانسحاب من المجمع..... وأتوسل إليك أن لا ترسل لي أي شخص لكي يطلب مني إعادة النظر."[٣]

مشهد الوعظ

في عملية فحص لعظات سبيرجن، سنجد أنه كان واعظاً وشارحاً عظيماً للصليب. جون برودس (١٨٢٧ – ١٨٩٥) ومودي (١٨٣٧ – ١٨٩٩) أعجبوا كثيرا بوعظ سبيرجن بالإنجيل. وقد علّقت الصحيفة الرائدة في وقتها، دايلي تليجراف على قوة سبيرجن المنبرية في ١٤ كانون الثاني ١٨٨٨:

كخطيب المنبر كان لديه مزايا خاصة. كان لديه قوة صوت رائعة، اختراق متنوع

---

١ راجع مناظرة الصف الهابط: المواد المجمعة التي توضح وجهة نظر تشارلز هادون سبيرجن... على واحدة من أكثر المجادلات أهمية في خدمته (باسا دينا: منشورات بيليجرم ١٩٧٨).

٢ ويرسبى، السير مع العمالقة ٧٤.

٣ بايك، حياة وأعمال تشارلز هادون سبيرجن ٦ :٢٨٧.

لنبراته الصوتية... كان ذات معرفة، سريع البديهة، شفوقاً ومالكاً لنوع خاص من الدعابة؛ فقد استطاع أن يحيي عظاته بطرق الإلقاء المألوفة، وأحياناً ما تكون مألوفة جداً، أضف إلى الصور الإيضاحية الغنية. لم يعظ أبداً أعلى من مستوى مستمعيه، بل كان دائماً يتحدث مباشرة إليهم. كان دائماً جاداً جدا كما كانت تجرفه عواطفه وبالكيفية نفسها رعيته.[١]

كان سبيرجن الكلفيني بشفتيه وقلبه، يناشد الخطاة أن يتصالحوا مع الله. بالرغم من أنه التصق بشدة بالرب القدير لكنه كان يتوسل النفوس لكي تستجيب. هكذا ختم عظته في ٧ نيسان ١٨٦٧، في القاعة الزراعية في اسلنجتون:

«آه تعالوا أيها المحتاجون، تعالوا إلى سيدي! يا من خابت أمالهم بالطقوس الدينية والاحتفالات والمشاعر والانطباعات، وكل من وضعوا آمالهم في الجسد، تعالوا إلى سلطان سيدي وارفعوا عيونكم إليه!»

فهو ليس هنا بالجسد؛ لأنه قام؛ قد قام ليشفع في الخطاة، و"هو القادر أن يخلّصهم إلى المنتهى فهذا الخلاص قد جاء من الله بواسطته، وانظروا كيف قام ليشفع بهم. «آه لو أستطيع أن أعظ الإنجيل بالكيفية التي تجعلكم تشعرون به، ولن أتردّد في الذهاب إلى أي مدرسة لأتعلم! الرب يعلم أنني بكل إرادتي أتمنى أن أفقد هذه العيون للحصول على قوة كبيرة في خدمتي؛ وأيضا الذراعين، القدمين، وجميع أعضائي. بل على استعداد للموت حتى يشرفني الروح القدس لربح هذا الكم من النفوس لله.[٢]

بعد مضي ثمانية وعشرون عاماً استمر سبيرجن في اشتياقه لرؤية ربح النفوس للمخلّص. في عظة ألقيت في ١٠تموز ١٨٨٧، من منبر خيمة المترو بوليتن – قبل وفاته بأقل من خمس سنوات – كان لا يزال يشتاق أن يرى ثمار عمله كما كان يتوسل الخطاة أن يبحثوا عن الحياة الأبدية:

«آه، أيها المستمعون الأعزاء لو أعرف كيف أحضركم للمسيح! هذه ليلة صيف حارة، وربما تكونون مضجرين من حديثي؛ لكني لا أبالي بهذا إن استطعت أن أحضركم ليسوع. آه وقد أنال ثمر هذه العظة أيضا! هذا الأسبوع أؤمن بما أقوله، حيث أنني قابلت

---

١ فولرتون، سبيرجن: الواعظ الأكثر شعبية في لندن٨٦.

٢ "يسوع في بيت صيدا" في منبر الخيمة.٦٣ (١٨٦٥ – ١٩٠٤) طبعة ثانية باسا دينا: مطبعة بيلجريم ,١٩٧٩) ١٣ :٢٠٤.

وسمعت من المئات الذين في السنين الماضية قد أُحضروا للمخلص بواسطة العظات المطبوعة. لقد أتوا إليّ، وقبّلوا يداي، وشكروني، وقد مجدت الله؛ لكن حينئذ اعتقدت، "نعم، أن الله باركني، وقد بارك تلك العظات المطبوعة؛ لكني أريد ثماراً في الحاضر، وأن أرى خطاة الآن يتّحدون بالمسيح، ويخلصون للأبد... لو أخبرتكم فقط عن الخلاص الحقيقي والمخلص الحقيقي، تعالوا واحصلوا عليه، تعالوا وثقوا فيه الآن، لأنه لا يُخرج كل من يأتي إليه. قد يكون هذا وقت القرار لكثير منكم، من أجل خاطر ربنا يسوع المسيح! آمين.»[١]

من العجيب، يعلّق سبيرجن، أن السبب الأساسي لكثير من الخدمات عديمة الفائدة يكمن في عدم الاعتراف بوضوح بسلطان الروح القدس. توضيح رائع عن اعتماد سبيرجن نفسه على الروح القدس في خدمته المنبرية وُجد في سيرته الذاتية. في مناقشته لحالات تجديد مدهشة خلال خدمته التبشيرية، يروي أنه في إحدى المناسبات أشار عمداً بالإصبع إلى رجل من الجموع وقال:

«يوجد رجل يجلس هناك، وهو صانع أحذية وقد استمر في فتح متجره في أيام الأحد، وكان مفتوحاً صباح السبت الماضي، لقد أخذ تسعة دراهم، وقد حصّل أربعة دراهم منهم كمكسب؛ لقد باع نفسه للشيطان بأربعة دراهم!»

كمبشّر في المدينة، عندما كان يذهب في جولاته، تقابل مع هذا الرجل ورآه يقرأ إحدى عظاته،فسأله السؤال، "هل تعرف مستر سبيرجن؟ "نعم" أجاب الرجل، "لدي كل الأسباب للتعرف عليه، لقد سمعته؛ وتحت تأثير وعظه وبنعمة الله أصبحت خليقة جديدة في المسيح يسوع. هل تسمح لي أن أخبرك بما حدث؟ لقد ذهبت إلى القاعة الموسيقية، واتخذت مقعداً في وسط المكان؛ فنظر إليّ مستر سبيرجن كما لو كان يعرفني. وفي وعظته أشار اليّ وقال للجموع أنني صانع أحذية وقد أبقيت متجري مفتوحاً أيام الآحاد؛ وقد كان هذا صحيحاً لقد فعلت هذا. كان يجب عليّ أن لا أذكر ذلك؛ لكنه قال أيضاً أني قد أخذت تسعة دراهم يوم الأحد السابق، وحصلت منهم أربعة دراهم مكسب. لقد أخذت تسعة دراهم في ذلك اليوم، لكن أربعة دراهم فقط كانت المكسب؛ لكن كيف عرف ذلك ؟ أنا لم اخبر أحداً. لقد أثّر في نفسي لأن الله تحدّث إلى نفسي من خلاله، لذلك أغلقت متجري يوم الأحد التالي. في البداية، كنت خائفاً أن اذهب مرة ثانية لأسمعه خوفا

---

١ "رابح النفوس النموذجي" في منبر خيمة المترو بوليتن٤١ :٣٥٦.

من أن يتحدّث عنّي كثيراً إلى الناس؛ لكن بعد ذلك ذهبت، وتقابل الرب معي وخلّص نفسي."[١]

استمر سبيرجن يقول أنه هناك كان " أكثر من اثنتي عشر حالة مشابهة" مثل التي أشار إليها لذلك الشخص في القاعة الموسيقية "دون أدنى معرفة بالشخص أو اي فكرة عن ما أقوله إن كان صحيحاً إلا أني كنت أؤمن أن الروح يحركني لأقول هذا«.

فما أدهشني كثيراً أن هؤلاء الأشخاص قد ذهبوا بعيداً وقالوا لأصدقائهم " تعالوا، انظروا رجلاً قال لي كل شي فعلته؛ دون أي شك، لابد أنه مرسل من الله لنفسي، وإلا ما كان ليستطيع وصفي بالضبط بهذه الطريقة."[٢]

الخاتمة

لقد رأينا أن روحانية سبيرجن قد شكّلت حياته ومكّنت خدمته. مثل قادة معمدانيين كثر قبله، كان سبيرجن يؤمن بشدة في كلمة الله. لقد ترك للمعمدانيين التراث الكلفيني الغني ممثّلاً في أفضل العظات الإنجيلية. كان سبيرجن يبشّر بالمسيح المصلوب بلا خجل. علاوة على ذلك، كانت عظاته غنيّة باللاهوت، البلاغة، الشفقة والإلحاح. فقد وعظ بضرورة اتخاذ قرار كما شرح الصليب ورفع مخلّصه عالياً. بالإضافة إلى أنه كان مخالفاً للبعض، حيث رأى ضرورة الدفاع عن الإنجيل ضد غارات الحداثة الرومانية الكاثوليكية والطوائف التقليدية.

سوف ننهي هذه اللمحة الموجزة لخادم الله المختار بذكر مقطع شعري من الترنيمة الختامية لخدمة سبيرجن النهائية هنا على الأرض. لقد اختار أن ينهي عظته بالطهوري صمويل روث فورد (١٦٠٠ – ١٦٦١). غير عالم انه في غضون أسبوعين سوف يثبت نظره على وجه مخلّصه الحبيب الغالي:

رمال الوقت تغرق كالماء الهطيل،
وفجر السماء يشق لا مستحيل،
لِضحى الصيف تنهدت للرحيل،
يستيقظ صباح ذاك اليوم الجميل،

---

١ السيرة ٢: ٢٢٦ – ٢٢٧.

٢ السيرة ٢ :٢٢٧، الآية المشار إليها من يوحنا ٤ :٢٩.

أمام سرداب سبيرجن في مقبرة نوروود غرب جنوب لندن

منتصف الليل ظلام لا لن يطيل،
فجر الربيع قريب المنال يميل،
مجداً نسكن أبداً ارض عمانوئيل.[١]

تشارلز هادون سبيرجن تلقى دعوة إلى محضر ملكه في ٣١ كانون الثاني ١٨٩٢، في منتون فرنسا. جرت مراسيم الجنازة في خيمة المترو بوليتن من ٧ إلى ١١شباط ١٨٩٢، وقد وُضع جسده ليستريح في مقبرة نوروود وست.

جنوب لندن. من الرأس والقدم في تابوت الزيتون كانت هناك لوحات نقش عليها التالي: «جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان".[٢]

مدح القس أركيبولد براون (١٨٤٤ – ١٩٢٢) من خيمة شرق لندن، صديق الخدمة الحميم وخريج سابق لكلية الرعاة. بكثير من الرّثاء حيث توقف لشدة التأثر عدة مرات ومما قاله:

أيها الرئيس المحبوب، الراعي الوفي، أمير الوعاظ، الأخ المحبوب، عزيزي سبيرجن _ نحن لم نُدعى» للوداع» لكن فقط للحظات قليلة «ليلة – طيبة". سوف تقوم قريباً في الفجر الأول في يوم قيامة الفادي... أيها العامل الجاد في الميدان، لقد انتهى كدحك! لا توجد نظرة للوراء أفسدت سبيلك. يتبعك حصاد زرع صبرك. يا بطل الله، لقد انتهت المعركة الطويلة والتى حاربت بنبل فيها. السيف الذي كان ملتصقاً بيديك سقط في النهاية؛ جزع النخيل أخذ موقعه، لم تعد الخوذة تضغط على حاجبك، كثيراً ما أنهكتك أفكار المعركة العاصفة؛ لقد كان إكليل المنتصر الذي أخذته من يد القائد العظيم برهاناً على مكافأتك العظيمة. هنا، للحظات قليلة، يبقى هذا التراب الثمين. ثم سيأتي الحبيب وصوته يقيم المضطجعين في الأرض ويغيرهم مثل جسده الممجد. ثم الروح والنفس والجسد يعظمون رب الفداء. إلى ذلك الحين، أيها المحبوب الراقد! نحن نمجد الله لأجلك؛ وبدم العهد الابدي، نحن نرجو ونتوقّع أن نمجّد الله معك. أمين.»[٣]

---

١ السيرة ٤ :٣٧٠.

٢ السيرة ٤ :٣٧٠.

٣ السيرة ٤ :٣٧٥ – ٣٧٦.

٢

حياة جون بنيان، الخدمة والروحانية

تأثير جون بنيان

هذا مشهد لحياة وخدمة جون بنيان (١٦٢٨ – ١٦٨٨)، والذي سيُمهّد الطريق لإظهار كيف أن هذا الواعظ الذي من بدفوردشير كان له تأثير دائم وهام أكثر من أي معمداني آخر على حياة وأفكار وخدمة تشارلز هادون سبيرجن. تكشف كتابات بنيان ووعظه الهلع من الخطيئة والسعي الجاد والمتحمس مدى الحياة للروحانية الشخصية والتي أصبحت نموذجاً لسبيرجن ليتبعه. كانت قناعة بنيان الشخصية هي أن الخدمة الناجحة تجد أساساتها في روحانية الخادم الشخصية وهذا أثر بعمق في حياة وخدمة سبيرجن.

الخلفية التاريخية

كان جون بنيان مؤمناً انفصالياً (يؤمن بعقيدة الانفصال) وقد عانى طويلاً من الاضطهاد لأجل إيمانه. أثّر هذا الواعظ على المجتمع المسيحي في أيامه كما ساهم في تشكيل التراث المعمداني لأجيال عديدة.

ولد بنيان في أرض كانت تمر باضطرابات سياسية ودينية. أشار بكلند أنه لم يكن هناك سوى مئة عام بين ظهور الكتاب المقدس باللغة الانكليزية وبين ولادة جون بنيان. كما أن مشهد الأسطول الأسباني كان لا يزال حيّاً في ذاكرة الكثيرين بالإضافة إلى أن

حكم إليزابيث العظيم كان قد بدأ منذ حوالي خمسة وعشرين سنة.[١]

في الساحة السياسية ثار الصراع بين الملكيين والبرلمانيين وتطورت الأحداث إلى حربين أهليتين (١٦٤٢ – ١٦٤٦ ؛ ١٦٤٨ – ١٦٤٩) وفي الساحة الدينية، واجهت كنيسة إنجلترا الاضطراب الداخلي من الطهوريين الذين كانوا يتوقون إلى الإصلاح فأصدرت الكنيسة قانون التوحيد (١٦٦٢) محاولة منها لإعادة السيطرة، لكن بدلاً من ذلك كانت النتيجة بأنها طردت ٢,٠٠٠ من الوعّاظ الطهوريين الأتقياء، والذين يشكلون نخبة الكنيسة الأنغليكانية. هذا هو الحافز الذي ساعد في تشكيل حركة الانفصال التي تشكلت أساساً من الكنيسة المشيخية والمعمدانيين. كما صدر في تشرين الأول ١٦٦٥ قانون الميل الخامس كمحاولة أخرى للسيطرة على الانفصاليين، الذي جعل من المبشرين أشخاصاً خارجين عن القانون إذا بشّروا داخل دائرة نصف قطرها خمسة أميال من البلدة التي يخدمون فيها. هذا القانون الذي صدر في أكسفورد بسبب الطاعون في لندن، ونفي العديد من الرعاة إلى أماكن غامضة وحرمهم من لقمة العيش.

لكن في وسط هذا الاضطراب السياسي و الديني، أقام الله عدداً من العمالقة الروحيين رجال مثل ريتشارد سايبس وجيمس أوشر (١٥٨١ – ١٦٥٦) وألكسندر هند رسون (١٥٨٣ – ١٦٤٦) وصموئيل روثرفورد وريتشارد باكستر (١٦١٥ –١٦٩١) وجون أوين وجون هو (١٦٣٠ – ١٧٠٥) ويقف على القمة بين هؤلاء العمالقة في الإيمان جون بنيان.

ميلاد بنيان

ولد بنيان في ١٦٢٨ في قرية إيلستو وهي تبعد حوالي ميلاً واحدًا من بيد فورد. كان والديه كلاهما فقراء وغير متعلّمين ومع ذلك تأكدا أن جون تلقى على الأقل تعليم المدرسة الأساسية. تعمد جون بنيان في كنيسة إيلستو باريش في ٣٠ تشرين الثاني ١٦٢٨. وفي سن السادسة عشر، التحق بنيان بالجيش الكرمويلي وتحت تأثير إلهي لأوليفر كرومويل (١٥٩٩ – ١٦٥٨) خدم عدداً من السنين. أشعلت هذه التجربة قلمه لسنوات عديدة في وقت لاحق.

السمات الشخصية لبنيان وظهوره

---

١ بوكلاند، جون بنيان: الرجل وعمله (لندن: جهاز المجتمع الديني ١٩٢٨) ١٥.

فيما يتعلق بالسمات الشخصية لبنيان وظهوره ونمو شعبيته، يعطي أوستن كيندي دبلوا بعض الافكار:

إنه ليس الشخص الذي يمكنك التغاضي عنه. على الرغم من أنه يبدو خشناً نوعاً ما لكن خامته الداخلية تبرز شخصية قيادية وجذابة.

كان يمشي ثلاثة عشر ميلاً إلى الخدمة. لقد كان رجلاً ذا صحة قوية ومليء بالحيوية، وبالرغم من كونه غير متعلّم لكنه صاحب قلب عظيم، بسيط وبليغ الكلام، رجل من عامة الناس لكنه مميز بالفعل كقائد، وفي ليلة أصبح ذلك الرجل الذي لفت انتباه الناس. وأصبح اسمه ينتقل من شفاه إلى شفاه ومن منزل إلى منزل فأصبح واعظاً معروفاً، وعندما كان يعظ تحتشد الجموع حوله في انصهار وشركة، بسبب أنّ توهّج شديد من رب الجنود كان عليه، وكانت كلماته تأسر قلوب الناس.[١]

كانت هناك خمس نقاط تحول رئيسية في حياة بنيان : تجديده ودعوته إلى الخدمة وعظه وسجنه وسعيه المستمر في الروحانية.

تجديد بنيان

كانت حياة بنيان في وقت باكر غير تقية فاتسمت حياته الباكرة بالشهوة واللغة الدنسة. وتعبيراً عن هذه المرحلة كتب: " كنت مليئاً بكل إثم... ألعن وأسب وأكذب وأجدّف على اسم الله القدوس»[٢]. كان الخوف من الدينونة والجحيم الأبدي سبباً لإثارة الكثير من الكوابيس لبنيان. وكجندي تحت قيادة كرومويل كان يرى ما مدى قصر حياته عندما يحلّ شخص ما محله في الخدمة ويُقتل. وفي هذا السياق كتب: "عندما أكون مستعداً للذهاب إلى خدمتي العسكرية، يأتي أحد الزملاء راغباً في الذهاب إلى موقعي؛ فيقنعني أن أترك المكان ويأخذ مكاني، وبينما كان يقوم بالحراسة، يصيب في رأسه برصاصة بندقية ويموت. «[٣]

بعد وقت قصير تزوج بنيان بإمرأة تقية وفقيرة، والتي أحضرت الى بيتها الجديد كتابين فكان بنيان يقرأهما من وقت الى آخر وكان عنوان الكتابين:» طريق الرجل البسيط إلى

---

١ أوستن كيندي ديبلوا – جون بنيان الرجل (فيلادلفيا:صحافة جدسون ١٩٢٨).
٢ جون بنيان – كثرة النعمة لأول الخطاة ٣ مجلدات (١٨٦٠).
٣ كثرة النعمة لأول الخطاة وأعمال جون بنيان.

السماء" للكاتب آرثر دينت و"ممارسات التقوى" للكاتب لويس بايلي. وسرعان ما أصبح بنيان شخصاً متدينًا.

في يوم من أيام الأحد المميزة في حياة بنيان، تذكر بأن القس تحدّث عن كسر يوم السبت. في بادئ الأمر اعتقد بنيان أن القس صاغ العظة لكي يوجهها إليه! ضربت العظة بعنف ونخست ضميره، "ذهبت إلى المنزل عندما انتهت العظة وكان هناك ثقل كبير في روحي». بعد فترة وجيزة عاد بنيان إلى طرقه القديمة الدنسة، عندها راوده سؤال كان له الأثر البليغ على قلبه: "هل تترك خطاياك وتذهب إلى السماء أم تبقى في خطاياك وتذهب إلى الجحيم ؟ "[١]

بعد هذه المعاملة الإلهية ولعدة أشهر عاد بنيان إلى طرقه القديمة – حتى وبّخته إمرأة خاطئة وخليعة بسبب نجاسته! فحدث نوع من اليقظة في قلب بنيان لكنها لم ترقى لدرجة التجديد. حاول إنشاء برّه الذاتي ولكنه كان جاهلاً بالإنجيل. وبعد مرور عام على معاملات العناية والمراحم الإلهية، سمع بنيان ثلاث أو أربع نساء يتحدثن عن أمور الله. وقد أثار ذلك بنيان فكتب:

... كان حديثهن عن الولادة الجديدة، وعمل الله في قلوبهن، وعن قناعتهن بحالتهن البائسة بالطبيعة، وكيف أن الله افتقد نفوسهن بمحبته في الرب يسوع... كما احتقروا، ومقتوا برّهن الذاتي كأنه شيء بذيء وغير كاف ليعمل لهن أي فائدة. وبدا لي وكأن شدة فرحهن جعلهمن يتحدّثن بسرور بلغة الكتاب المقدس وكانت النعمة ظاهرة في كل ما تحدّثن به، بدوا لي وكأنهن قد وجدوا عالماً جديداً فشعرت بأن قلبي بدأ يهتز.[٢]

تأمل بنيان في تلك الكلمات وغالباً ما كان يعود لكي يستمع إلى حديث النسوة. وبدأ بكل جديّة يبحث في الكتاب المقدس فدخل في صراع كبير مع نفسه.

في يوم ما سمع شخصا ما يعظ عن "ها أنت جميلة يا حبيبتي،ها أنت جميلة" (نشيد الانشاد ٤:١). فكتب بنيان:

امتلأ قلبي بملء الراحة والرجاء والآن آمنت أن خطاياي قد غُفرت، آه... أنا الآن مأسور بحب ورحمة الله، فإني أتذكر كيف أنني لم أتمالك نفسي حتى وصلت إلى المنزل، لقد اعتقدت أنه يمكنني أن أتحدث عن محبته ورحمته لي حتى للغربان التي تجلس فوق

---

١ كثرة النعمة لاول الخطاة – أعمال جون بنيان ١ :٨.
٢ كثرة النعمة لاول الخطاة – أعمال جون بنيان ١ :٩.

الأرض الموحلة أمامي...[١]

دعوة بنيان للتبشير

كانت دعوة بنيان للتبشير مركزية في حياته وعمله. فوق كل الأشياء الأخرى كان بنيان كالطهوريين الآخرين مبشراً بالإنجيل. وقد وصف بنيان دعوته للخدمة في تفاصيل عظيمة:

«هكذا، وفيما كنت أفتكر في ذاتي، وجدت نفسي الأقل استحقاقاً بين كل القديسين العظماء، وبخوف عظيم ورعدة من مشهد ضعف نفسي، ركّزت على الخدمة وفقاً لعطيتي. فنصيبي في الإيمان أن أبشّر بذلك الإنجيل المبارك الذي أظهره لي الله في كلمة الحق المقدسة، والتي عندما كرزت بها في المنطقة التي أخدم، جاء الناس بالمئات لكي يسمعوا كلمة الكتاب المقدس كاملة ومن كل أجزائه، بالرغم من وجود اعتبارات مختلفة ومتنوعة. وكم أشكر الله الذي منحني أحشاء رأفات وشفقة لنفوس الناس حيث وضعني في مقدمة العمل بعناية عظيمة، وبجدية رحت أكتشف كيف أن هذه الكلمة تمتلك قوة وبركة الله، حيث أنها توقظ الضمير، وفيها وجدت كيف أن الرب الصالح يحترم رغبة خادمه.[٢]

استمر بنيان مندهشاً لاستخدام الله إناء مثله،

في الحقيقة أنني أُرسلت لخدمة الناس كشخص عائد من الموت، لقد وضعت نفسي في سلاسل لكي أبشرهم من خلال السلاسل وأحمل تلك النار في ضميري فأقنعهم أن يعيشوا متيقظين. أستطيع أن أشهد حقاً وبدون أي خداع أنه عندما ذهبت للوعظ، ذهبت وأنا مليء بشعور الرهبة والذنب من المنبر وهناك تحررت فكنت طليقاً في ذهني حتى أتممت خدمتي، ثم في الحال وحتى قبل أن أنزل من على سلم المنبر كنت أشعر بأنني إنساناً سيئًا أكثر من شعور الذنب السابق، لكن الله كان يدفعني للأمام بيده القوية، لذلك لا ذنب ولا جحيم يستطيع أن يعوقني عن تتميم خدمتي.[٣]

---

١ كثرة النعمة لأول الخطاة – أعمال جون بنيان ١ :١٧.

٢ كثرة النعمة لأول الخطاة – أعمال جون بنيان ١ :٤٠ – ٤١.

٣ كثرة النعمة لأول الخطاة – أعمال جون بونيان ١ :٤٢.

يلخص جون بيبر قوة وتأثير وعظ بنيان:

لم يصرّح له بلقب قسيس في كنيسة بيد فورد إلا بعد سبعة عشر سنة لكن شعبيته كواعظ قوي ازدادت كثيراً. وقد نما امتداد عمله. «عندما علم الشعب.... أن العابث تحول واعظاً» يخبرنا جون براون،»لقد جاء الناس لسماع الكلمة بالمئات، ومن كل الأنحاء». يقول تشارلز داو صانع العسل في لندن (لاحقاً في حياة بنيان)، "السيد بنيان وعظ كثيراً من العهد الجديد مما جعلني أعجب وأبكي من الفرح وأعطيه حبي."وفي أيام التسامح شوهد ذات يوم جموع غفيرة أكثر من ١,٢٠٠ شخص جاءوا لكي يستمعوا إلى وعظة الساعة السابعة صباحاً في إحدى أيام الأسبوع.

ذات مرة وبينما كان بنيان في السجن، تم القبض على كل الجماعة المصليّة، كان عددهم ستين شخصاً وأحضروهم ليلاً. ويخبرنا شاهد من هذه الجماعة:"... سمعت السيد بنيان يعظ ويصلي بقوة روح الإيمان بامتلاء وبمؤازرة إلهية جعلتني أقف وأتعجب." فجون أوين وهو أعظم لاهوتي طهوري معاصر لجون بنيان، سأله مرة الملك تشارلز: لماذا وأنت عالم عظيم تذهب للاستماع لواعظ غير متعلم وعابث؟ فقال له لقد أردت أن أبدّل تعليمي بقوة هذا العابث التي تلمس قلوب الناس.[١]

سجن بنيان

عندما مات أوليفر كروموبل في ٣ أيلول ١٦٥٨، كان جون بنيان في الثلاثين عاماً من عمره. أعلن تشارلز الثاني من بريدا، هولندا، أنه يوافق على الحرية الدينية. لكنه وبعد تتويجه، قلب تشارلز الثاني الطاولة على وعوده واستعرالاضطهاد الديني تجاه الانفصاليين. وسريعاً تم إصدار الإنذارات: الامتثال أو السجن. فرفض بنيان أن يتوقف عن الكرازة فأُرسل إلى السجن. وللمفارقة عزّز الاضطهاد ضد الانفصاليين التصميم على إكمال السعي وصولاً إلى الاستشهاد. نقلاً عن اثنين من الانفصاليين الإنجليز واثنين من الاسكتلنديين، أشار ماركوس لوني أن أصل القضية يكمن في جهاد ونضال بنيان مع آخرين في سبيل الحرية الدينية:

هؤلاء الرجال الأربعة (ألكسندر هندرسون وصموئيل روزرفورد وجون بنيان وريتشارد

---

١ جون بيبر "المعاناة وسيادة الله" في جريدة المعمداني الجنوبي للاهوت، المجلد ٤ رقم ٢ (٢٠٠٠).

باكستر) كانوا جميعا في طليعة المناضلين من أجل الحرية في عصرهم وقد حاربوا من أجل حرية الحق والضمير وحرية الحياة والعبادة، الحرية على حد سواء كمواطنين وكمسيحيين... كما كانوا مشتعلين بدافع روحي نبيل ومثالي والذي رفعهم فوق الانتقاد التافه وأعطاهم لقباً دائماً حيث عُرفوا كرجال سياحة المسيحي الذي لجون بنيان، شجاع – لأجل – الحق.[١]

وأيضاً كتبت فيرا بريتان، "هو الشخص الذي أنشأ من خلال الاضطراب السياسي والاضطهاد الديني الحق في الحفاظ على العلاقة المباشرة بينه وبين الله. نحن مدينون له بتلك الحرية في العبادة التي لم يصادرها العالم الناطق بالإنجليزية مثل الدول الأخرى في أيامنا هذه.»[٢] وقد أشارت بشكل كبير إلى الطبيعة الناضجة لبنيان في سجنه من شاب خفيف إلى شخص في نضج متزايد. كما كتبت: «ذهب جون بنيان الشاب المشتعل والمتمرد صاحب الاثنين والثلاثين عاما إلى سجن بيد فورد كول وخرج رجلاً ناضجاً ذا خبرة عن عمر يناهز الثلاثة والأربعين عاما، وفي فترة سجنه فارق الكثير من المساجين الحياة."[٣]

بينما كان بنيان في سجن بيد فورد كتب كتاب سياحة المسيحي، وهو تشبيه رائع للسعي وراء القداسة. في السجن وبينما كان يواجه صعوبات عديدة وأوقات الحرية المحدودة، لم يكن بنيان كسولاً. فخلال الاثني عشر عاماً في سجن بيد فورد، كتب بنيان العديد من الكتب:

تأملات مثمرة (١٦٦١)، الصلاة (سوف أصلّي في الروح) (١٦٦٣)، السلوك المسيحي (١٦٦٣)، يعوزك شيء واحد (١٦٦٥)، المدينة المقدسة (١٦٦٥)، قيامة الموتى (١٦٦٥) وكثرة النعمة لأول الخطاة (١٦٦٦).[٤] ولربما كانت فترة سجنه هي النقطة

---

١ ماركوس لوان – صنّاع تاريخ الطهوريين (جراند رابيدس: شركة إيردمنس للطباعة والنشر ١٩٦١).

٢ فيرا بريتان – في خطوات جون بنيان: سياحة الطهوريون الإنجليز (لندن: ريتش وكوان ١٩٥٠).

٣ بريتان – في خطوات جون بونيان ١٤.

٤ إدوارد هندرسون – مقدمة للاهوت الطهوري (جراند رابيدس: دار الكتاب بيكر ١٩٧٦) ٢٢١ – ٢٢٢.

الأعلى في قمة خدمته حيث بدأ هناك كتابه سياحة المسيحي، الذي غيّر حياة عدد لا يحصى من الناس بما فيها حياة سبيرجن ولأجيال عدة.

سعي بنيان للروحانية الشخصية

خلاصة شغف وقلب بنيان للروحانية الشخصية نجدها في مقالة بعنوان «الحياة المقدسة – جمال المسيحية» والمقال كان شرحاً لرسالة (تيموثاوس الثانية ٢ : ١٩). نُشر العمل الأصلي للمقالة عام ١٦٨٤، لكنها أصبحت مقالة نادرة جداً ذلك لأن المحررين السابقين لأعمال بنيان فقدوها حتى أُعيد اكتشافها ونشرها عام ١٧٨٠. في المقالة نرى نفاذ بصيرة بنيان العظيمة للأشياء الدقيقة كما للخطية وفظاعتها. على سبيل المثال وفي المقدمة، يشير بنيان إلى الاختلاف بين الإيمان الحقيقي والإيمان المزيف، ففي الأول نبحث بسعى للقداسة بكل مبادئها، بينما الآخر ينتقي ويختار الطريق السهل. فالإيمان الحقيقي يتبرهن في السعي نحو حياة القداسة في كل جوانبها كما السعي إلى الطاعة.

يشير بنيان بشكل مباشر:

هناك أعمال لا تكلف شيئاً، كما أنه هناك أعمال مكلفة جداً. ولاحظ أن الإيمان الغير سليم سوف يختار لنفسه الأعمال الأكثر يسراً وهي متاحة وبوفرة. على سبيل المثال، هناك القراءة والصلاة والاستماع إلى العظات والمعمودية وكسر الخبز والشركة الكنسية والوعظ وما شابه ذلك، كما أنه هناك الاهانة من الشهوات والبساطة والقلب المفتوح واليد الممدودة للمساكين وأمثال هذه الامور. فالإيمان الغير سليم ينتقي و يختار ويأخذ ويترك لكن الإيمان الحقيقي ليس كذلك.[١]

كما يشرح بنيان هذا الموضوع، فيذكر ثماني نقاط لتشجيع القراء على مواصلة القداسة برفض الخطيئة:

١. تذكر أن الله يراك، وعيناه مفتوحتان عليك...
٢. تذكر أن غضب الله يبقى ضد [الخطية]، فمن يفعلها سينال بالتأكيد العقاب جزاء لها ولأعمالها.

---

١ أعمال جون بنيان – ٢ :٥٠٨.

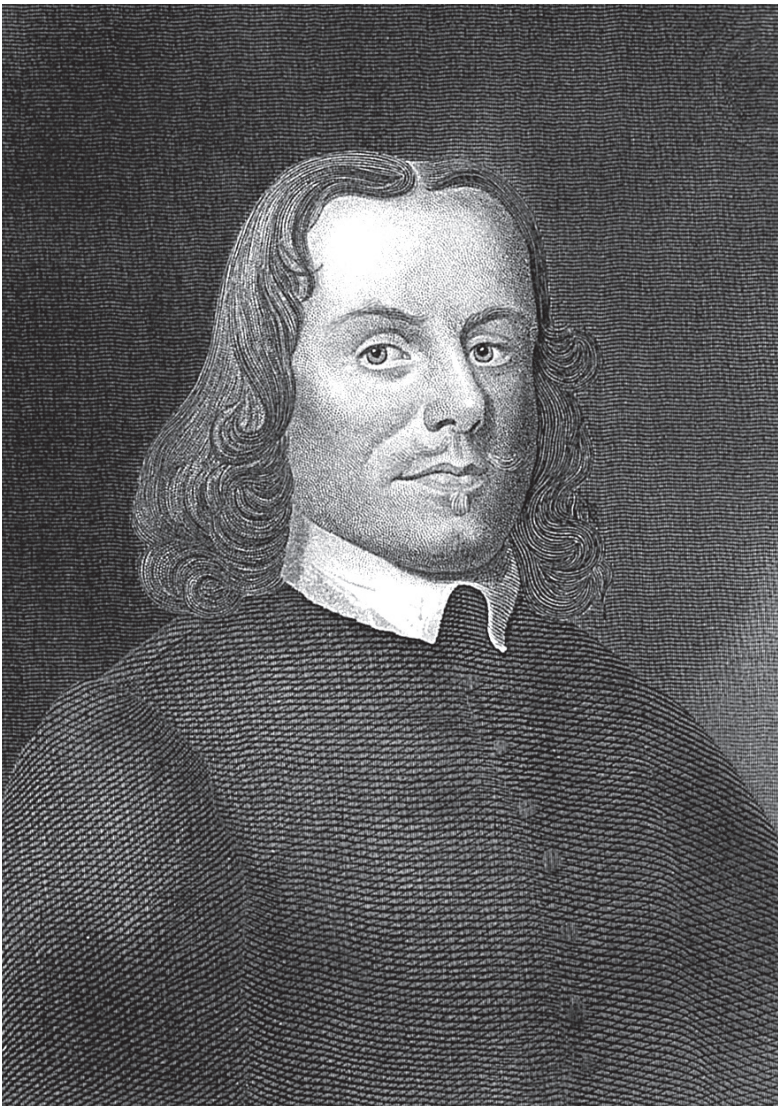

جون بنيان
(١٦٢٨ – ١٦٨٨)

٣. تذكر الضرر الذي أحدثته في حياة هؤلاء الذين احتضنوها وتأثيرات الضيق على حياة الآخرين.
٤. تذكر أن المسيح قد عانى بسببها، وهو يستطيع أن يخلّصنا من قوتها.
٥. تذكر أن هؤلاء الذين هم الآن في نار الجحيم قد توغّلوا بعيداً لأنهم أحبوا الخطية ولم يحيدوا عنها.
٦. تذكر أن المهنة لا تساوي قرشاً إذا جعلت شاغلها لا يحيد عن الشر.
٧. تذكر أن لحظات الموت ستكون صعبة جداً وأنت على فراشه إذا كان ضميرك موسوماً بذنب إثمك في ذلك اليوم.
٨. تذكر أنه في يوم الدينونة سيقول المسيح لهؤلاء «ابعدوا عني»، ذلك لأنهم لم يتركوا خطاياهم ولا شرورهم الحاضرة.

أخيراً، تذكر جيداً وفكّر كثيراً في هذا، فيا لها من مكافأة مباركة سوف يمنحها ابن الله في ذلك اليوم للذين وضعوا إيمانهم العامل به في محادثة مقدسة ومباركة.[١]

لم يعتقد بنيان أن الإنسان يستطيع أن يسعى بنفسه إلى القداسة بدون المساعدة الإلهية.

ظلّ بنيان يشجّع قرّاءَه لكي يلتمسوا مساعدة الروح القدس حتى يمكّنهم من عيش النعم الإلهية الأربع: الإيمان والتوبة والمحبة والرجاء. المحبة بالنسبة لبنيان هي بشكل أولي أمراً عملياً كما أنها مشروطة بالطاعة المسبقة. وفي هذا السياق قال:"الإنسان الذي لا يحب القداسة لا يستطيع أن يحب الله، والذي لا يحب القداسة لا يحب كلمة الله، والذي لا يحب كلمة الله لا يعمل بها."[٢] لم يضع بنيان في سعيه للقداسة قانوناً لكنه اعتمد بشدة وصلابة على نعمة الله:

احصل على المزيد من النعمة، فالنعمة جزيلة بل وأكثر لكل من انكفأ قلبه عن الشر، ولكل من أصبح في عداوة معه وبالأولى جداً لمن اقتدر في الانفصال عنه حينما يأتيه محاولاً أن يرغّبه بالمتعة. فطريق الحصول على النعمة الجزيلة هي بالحصول على معرفة جزيلة عن المسيح، والصلاة بحماس جزيل باسمه، وبإخضاع نفسك وشهواتك بكل قوتك لسلطان النعمة التي حصلت عليها، وتحاكم وتدين نفسك بصدر رحب أمام الله على كل

---

١ أعمال جون بنيان–٢ :٥١٨.
٢ أعمال جون بنيان –٢: ٥٢٠.

رغبة سريّة في الجسد.[١]

أخذ بنيان على محمل الجدّ النضال المتواصل ضد الخطيئة والسعي إلى القداسة. وقد اعتاد على التأمل الالهي، الأمر الذي أدى إلى الاعتراف القلبي وتمكين الروح القدس من تحقيق النصر في الحياة اليومية.

نجاح الخدمة يتطلب الروحانية الشخصية

تكشف كتابات بنيان عن قناعته الشخصية بأن الخدمة الروحية هي جوهر أساسي للخدمة الأمينة. تمسّك بنيان جداً بفكرة الخادم المتجدد والمدعو. كما تمسك بإصرار بالاستقامة والتقوى والأمانة والروحانية والرأفة في الخدمة. كما قام بنيان أيضا في تحذير الرعاة الكذَبة بشدة.

١. الخادم المتجدد

يؤمن بنيان إيماناً راسخاً في الخادم المتجدد أكثر ممن يحمل فقط لقب خادم. وقد حذّر وبشكل صريح الوعّاظ والمدافعين عن الإنجيل ليتأكدوا من حقيقة تجديدهم.[٢] وهذا الأمر كان واضحاً في الكتاب الذي كتبه جون بنيان في السنين الأولى من خدمته وهو بعنوان تنهدات يسيرة من الجحيم. ارتكز هذا الكتاب على الشروحات التفسيرية من إنجيل لوقا ١٦ :١٩ – ٣١. نُشر الكتاب لأول مرة في عام ١٦٥٨، وصدر منه تسع طبعات خلال حياة بنيان. فأوّل إصدار له احتوى على مقدمة نادرة من جون جيفورد وهو قسيس بنيان في بدفورد. يحذر بنيان خدّام الإنجيل للتأكد من أنهم قد اختبروا التجديد بشكل واضح لا لبس فيه. وقد كتب في هذا السياق:

انتبهوا من أن تقنعوا أنفسكم وأذهانكم بمجرد فكرة من الكتاب المقدس، والتي قد تذهب بكم بعيداً لدرجة فيها تصبحون قادرين على الجدال من أجل الحق، والتبشير بالإنجيل، والعمل على إثباتها كحق في مواجهة المعارضين، وبعد هذا كله تكتشفون أنكم موجودون في اليد اليسرى للمسيح في يوم الدينونة، وذلك لأنكم كثيراً ما أقنعتم أنفسكم بهذه الفكرة أو بمعناها التقليدي التاريخي.

جورج أوفر، رئيس تحرير بنيان أضاف على هوامش كتابات بنيان، « الأكثر تعاسة

---

١ أعمال جون بونيان–٢ :٥٤٦.

٢ أعمال جون بونيان–٣: ٧٢٣.

من بين جميع الناس هم هؤلاء (رجال الدين والقادة الدينيون) الذين في اليوم العظيم سوف يقولون، يا رب، يا رب، أليس باسمك تنبأنا، حينها سيقول لهم الرب، أنا لا أعرفكم، اذهبوا عني يا ملاعين."[١]

لم يكن تجديد بنيان مجرد قبول لفكر عقلاني لمجموعة من الحقائق الكتابية، أو بعض الخبرة الروحية أو النفسية، بل بالحري تحوّل لحياة عاشت تحت سيادة المسيح.

ويلخّص بنيان في مقالة:

يجب عليك أن تتأكد من الهرب من تلك الصخور الخطرة التي على يمينك ويسارك، كن متنبهاً إلى أن إيمانك هو بحسب ما هو مدوّن في الكتاب المقدس. ولا ترضى بغير ذلك، فهو إيمان مصنوع بعمل الله القدير، وبإعلان المسيح لك وفيك بعد أن تحرّرت كلياً من خطاياك بدمه الثمين. وهو الإيمان الذي إذا حصلت عليه سوف يعمل في قلبك، وسوف يكتب أولاً روح الناموس بداخلك، و(ثانياً) طبيعة الإنجيل، كما أنك سوف تبتهج في مجده، وستجد قلبك ونفسك مرتبطة بيسوع المسيح، حيث يسلم الإنسان نفسه بالكلية له، ويصبح تحت سيطرته ولمجده كما يختبر راحة الإيمان بالرب يسوع نفسه.[٢]

٢. الخادم المدعو

تاريخياً، آمن الخدّام الانفصاليون بقوة أن منصب الراعي هو منصب مقدس حيث أن الله القدير هو الذي يدعو ويعيّن خدّامه الذين اختارهم. كتب أوفر في أيام جون بنيان عن دعوة الخدّام الانفصاليين:

أولاً: تعتبر موهبة الصلاة من أهم الامور المميزة لحياتهم الروحية كما التحدث عن الأمور الإلهية والجدارة في توضيح وتأكيد ما يقدمون من كلمة الكتاب المقدس. ثانيًا: يتم تشجيعهم على الصلاة مع الأطفال الفقراء وتربيتهم في مدارس الأحد. وبعد أن يظهروا جدارة في تعليمهم، تأتي الخطوة الثالثة، حيث يتم دعوتهم لتقديم عظة في الكنيسة بشكل شخصي، وبعد ذلك وفي خطوة رابعة، يتم تشجيعهم على الصلاة والتبشير بين الفقراء في القرى وفي الرحلات الكرازية. وسريعًا ما يفتح الله الذي أعطى الرغبة والموهبة الطريق لكي تكون الفائدة أكثر شمولية. وفي معظم الحالات كانوا يدخلون المدارس اللاهوتية ليتجهّزوا لتتميم مهامهم الخطيرة، لكن العديد من خدّامنا المقتدرين مثل بنيان يعتمد كلياً

---

١ بالإشارة إلى متى ٧ :٢٢ – ٢٣.

٢ تنهدات يسيرة من الجحيم – أعمال جون بنيان ٣ :٧٢٤.

على الصلاة ودراسة الكتاب المقدس. وكانت كليّته هي الزنزانة، ومكتبته الكتاب المقدس فخرج بقوة هائلة للتعامل مع أمير الظلام. لم يوجد تعليم بشري يستطيع أن يؤهّله لهذه الحرب الرهيبة والضروسة.[١]

ويعلّق بنيان على اختباره الشخصي كخادم حيث يؤكّد على الحقيقة الراسخة كون كل خادم للإنجيل يجب أن يكون مدعواً ومفرزاً من الله لأجل هذا المنصب العظيم والمجيد.

وفي هذا السياق كتب بنيان:

بعدما تجددت بحوالي خمس أو ست سنوات، وجّهت نفسي لأن ترى كل ما يريده ويستحقّه يسوع المسيح ربنا، وسعيت للمغامرة بنفسي من أجله، كما أدركت أن أكثر القديسين اقتداراً بيننا هو ذاك الذي يسعى في سبيل تقويم وقداسة حياته الشخصية، كما أيقنت أن الله حسبني مستحقًا أن أفهم شيئا من إرادته من خلال كلمته المقدسة والمباركة، ووهبني كلاماً من لدنه لكي أعبّر عما اختبرته للآخرين من أجل تهذيب حياتهم الروحية؛ لذلك رغب هؤلاء الاخوة في أن أكون متواجداً معهم، فحقّقت هذا بكثير من الجدية والاستعداد، وفيما كنت متاحاً دُعيت لإحدى اجتماعاتهم لأتكلّم بكلمة نصح لهم...، وبالرغم من أنها كانت كلمة وجيزة وقصيرة، بقيت الرغبة لديهم ككنيسة بأن أخدم في وسطهم، وبعد تكريس صوم وصلاة للرب، قاموا بدعوتي حيث عُيِّنت لأقوم بمزيد من الوعظ للكلمة ليس فقط بين المؤمنين، لكن أيضا للتبشير بالإنجيل لهؤلاء الذين لم يؤمنوا بعد.[٢]

٣. الاستقامة في الخدمة

كان بنيان مقتنعاً بشدة أن الاستقامة الشخصية والروحانية الداخلية هما ضرورة للخادم الأمين حيث يعتبر الخادم دعامة للكنيسة وبالتالي يجب أن يبقى دائماً مثال التقوى في الحياة والسلوك. في كتاب هيكل سليمان الروحي(١٦٨٨)؛ بحسب حزقيال (١٠:٤٣-١١) سعى بنيان إلى أن يقدم إلى قرّائه عجائب من "مجد الإنجيل" من هيكل سليمان. حيث حذّر بشدة الخدّام بشأن الطمع:

«الطمع يجعل رائحة الخادم نتنة، كما يجعله يبدو مثل الكلب الجشع، وليس كرسول ليسوع المسيح... الخدّام هم الآن أعمدة الكنيسة، ويقفون مثل الكهنة في رواق الهيكل...

---

١ أعمال جون بنيان ٢ :٤١.

٢ كثرة النعمة لأول الخطاة – أعمال جون بنيان ١ :٤١.

والكنيسة تتعلم منهم كيف تكون أمام الجميع حذرة فيما يتعلق بالأمور الدنيوية وأيضاً أن تكون غنية في الحب والإحسان تجاه الإخوة. إن الخادم الطمّاع هو شيء حقير... لأن كل العيون التي في الشرفة تراقبه. لذلك كونوا نموذجاً ومثالاً للأعمال الصالحة... أيتها الكنائس ليكن خدامكم مجمّلين بحبكم، كما هم بدورهم يجمّلونكم بحبهم؛ وليكونوا مزينين بالإنجيل الذي يكرزون لكم به، لأجل يسوع المسيح «.[١]

٤. التقوى في الخدمة

تقديماً لمحبة المسيح، يتوقع بنيان من كل خادم أن يكون مخلصاً للرعية التي التزم برعايتها. وهذه المحبة تظهر من خلال الصلاة بجدية وإخلاص لأجل الرعية.

الصلاة لأجل الرعية تظهر في المقام الأول أصالة محبة خادم يسوع المسيح. هكذا كان بولس الرسول في رسائله وبشكل عام يؤكد للكنائس أنه بكل إخلاص يصلّي إلى الله من أجلهم...

وليس هذا فقط بل التمس من الله لاجلهم، رحمة وبركة ومعونة.[٢]

٥. الأمانة في الخدمة

هناك مخطوطة مكتوبة ومعدّة بواسطة بنيان للنشر وهي بعنوان "رحيل بولس والإكليل»، وكانت واحدة من عشر مخطوطات تمّ اكتشافها بعد وفاة بنيان. حسب أوفور، تحمل هذه المخطوطة الملاحظات حول نهاية الرحلة الطويلة لحياة بنيان الأرضية. يشرح بنيان في هذه المخطوطة من (٢ تيموثاوس ٤ :٦ – ٨)، الحاجة الملحّة للأمانة في ضوء كلمة الله:

هذا الشر يجب أن يُمنع: بالاجتهاد والتيقّظ في حياة الخدّام، بالاجتهاد في وعظ كلمة الله، والتوبيخ العلني والخاص، وتوجيه التحذير لهؤلاء الذين ينحرفون ويتحوّلون بعيداً عن الإنجيل. فلدى كل خادم من خدّام الإنجيل هذا السلطان الذي هو جزء من دعوتهم ومنصبهم، فتفويض الناس ورضاهم على الخادم ليس أمراً ضرورياً في سبيل وضع قوانين

---

١ هيكل سليمان الروحي – أعمال جون بنيان ٣ :٤٧٣ – ٤٧٥.

٢ معرفة القديسين لمحبة المسيح – أعمال جون بنيان ٢ : ١٢.

السيد المسيح حيّز التنفيذ الكامل في رعيته وبين شعبه.[١]

وفي نهاية المخطوطة يضع بنيان عدداً من النقاط تخصّ أمانة خادم الإنجيل:
أولاً: كن أميناً في العمل الذي خصّصه الله لك لكي تعمله في هذا العالم لأجل اسمه، واجتهد كثيرا بأن تعيش بالنعمة وتتمتّع بحريتك، الحرية التي في المسيح يسوع... ثانياً: اجتهد أن ترى الجمال والمجد في القداسة، وفي كل عمل صالح: هذا يرتبط بشكل وثيق بقلبك... ثالثاً: الاجتهاد في السعي للقداسة يسبّب الكثير من الصحوة في القلب والضمير... رابعاً: اجعل من العبادة العمل الوحيد الذي يأخذ أفكارك ووقتك... خامساً: كن حذراً، لا تتوقف وتتبلّد عندما يواجهك عمل شاق... سادساً: اجتهد أن تملأ قلبك بالفهم الصحيح من دروس الحياة لهذا العالم الحاضر، والأمور المتعلّقة بالابدية... سابعاً: احذر من الانزلاق، أو من التهاون بالفرصة الحالية التي وضعتها العناية الإلهية أمامك... ثامناً: آمن أنه مهما فعلت من أعمال صالحة لأجله، حتى ولو كانت هذه الأعمال بحسب الكلمة، لن تكون مقبولة لديه الآن فقط، لكن ستُحفظ وتُذكر استعداداً لليوم الأخير؛ نعم، لقد أُعددت لك كنوزاً في خزائن وصناديق لكي تُقدَّم مكافأة لك أمام كل من الناس والملائكة في الراحة الأبدية التي بيسوع المسيح إلهنا.[٢]

٦. الروحانية في الخدمة

استمر بنيان بالكتابة في نفس هذا المقال عن الروحانية في الخدمة. كان يشرح النقطة السادسة بعدد من النقاط الفرعية، مصمِّماً على توضيح أهمية مراعاة القداسة العملية في القلب:

١. اجعل قلبك وكلمة الله معاً يومياً، وازن بها قلبك وامتلىء أيضاً منها...
٢. تذكّر باستمرار في كل يوم وأنت تقوم بالأعمال الخاصة بك، أنه يكفي اليوم من الشرور التى تواجهك...
٣. دع قلبك يكون أكثر تأثراً بما يخصّ إكرام الله، كما بفائدة ومجد الإنجيل بما له علاقة بالإنسان مع كل البركات الأرضية المصحوبة...
٤. صفِّ حساب قلبك كل يوم قبل الاستلقاء للنوم. اجمع كل ما استلمته من الله

---

١ "رحيل بولس والإكليل" – أعمال جون بنيان ١ :٧٢٢ – ٧٢٣.

٢ رحيل بولس والإكليل – أعمال جون بنيان ١ :٧٣١ – ٧٣٧.

وما فعلته من أجله، وما كان دور إرادتك البشرية في تحقيق هذا. حينئذٍ سوف يُولد التسبيح والتواضع، وسيعوّضك إلهك عن اليوم الذي مضى...[١]

باستخدامه للمقطع الكتابي من (١ تيموثاوس ٣)، يركّز بنيان على منصب الراعي ويؤكّد على المطالب والتوقّعات للروحانية الشخصية في المنزل. وقد ألقى الضوء على أربعة أساسات للروحانية الشخصية. أولاً: يجب أن يتمتع الراعي بفهم عميق للحق الكتابي وممارسة دوره الكتابي كرأسٍ لعائلته (تي ١:٩، أف٦ :١ – ٤). ثانياً: يجب أن يكون الراعي موهوباً لكي يُعلّم، ويوبّخ ويعظ، كما ينبغي أيضاً على ربّ الأسرة (١ تيموثاوس ٣ :٢ و تثنية ٦:٧). ثالثاً: يجب أن يكون الراعي نفسه مثالاً في الإيمان والقداسة كما ينبغي ذلك أيضاً لربّ الأسرة (١ تيموثاوس ٣ :٢ – ٤و ٤ :١٢). رابعاً: على الراعي أن يمارس قيادته في جمع الكنيسة معا للصلاة والوعظ، كما ينبغي أيضا لكل ربّ اسرة.[٢]

٧. الكرم في الخدمة

كان لبنيان الكثير ليقوله فيما يتعلق بقسوة خدّام اليوم وصعوبة رسالتهم. اعتقد بنيان حقاً في أهمية الكلام الشخصي مع الناس من القلب إلى القلب، فهذا الأمر أكثر فعالية من ارتياد الجموع إلى الكنيسة من أحد إلى أحد. وأكثر تأييداً للحاجة إلى خدّام يعملون ويتحدّثون بلغة القلب وبلطف، يقول للخدّام:

«هناك مشكلة في داخلنا (يهاجم الأخوة بعضهم بعضاً وهم معاً في نفس الفريق – المحرر). لا أعرف كيف يمكن لهكذا مشكلة أن تكون في داخلنا. فعندما نتجدّد نقوم باحتقار هؤلاء الخطاة والمساكين الذين هم في نظرنا في مؤخرة الحياة. فكم نحن فقراء وحمقى، حيث ننسى أننا أنفسنا كنا كذلك، حتى أننا لم نكن أفضل، إلى أن ذقنا أن الرب كريم، حيث يجب أن نحمل اختبارنا هذا إليهم، لربما نعطيهم خلفية مقنعة كي يؤمنوا أننا قد وجدنا تلك الرحمة التي تجعل الباب مفتوحاً لهم لكي يأتوا ويشاركونا فيها. أيها الخدّام، هكذا يجب أن تفعلوا في كل نواحي حياتكم كلٌ بحسب عقائده. فلا نحمل في داخلنا عملاً متزمّتاً قاسياً لا في العقيدة ولا في الحوار. فنحن أنفسنا نعيش بالنعمة، دعونا نعطي مثلما أخذنا، ونجتهد أن نقنع إخوتنا الخطاة، بما وهبنا الله، لكي يتبعونا ويشاركونا النعمة. فقد

---

١ رحيل بولس والإكليل – أعمال جون بنيان ١: ٧٣٣.
٢ "السلوك المسيحي" – أعمال جون بنيان ٢ :٥٥٦.

خلّصنا بالنعمة، لذلك دعونا نعيش حياة الامناء. دعونا نفعل كل الأشياء بإحسان وبشفقة، وبالصلاة من أجلهم، والتآلف معهم، لأجل رفعتهم. دعونا لا نمشي في الشوارع بالسلوكيات التي تدلّ على أننا نادراً ما نلمس هؤلاء الفقراء المتروكين خلفنا، لا ليس بملقط نلمسهم أو نتعامل معهم. فلن نكون خدّاماً حقيقيين ما دمنا نتصرف هكذا".[١]

٨. التحذير من الرعاة الكذبة

حذّر بنيان بشدّة من الرعاة الكذبة. وقد سرد ستة علامات تحدّد الرعاة الكذبة وواحدة لتحديد الراعي الحقيقي:

ثم ينبغي أن نعلّم الناس أن يكونوا حذرين جداً من هؤلاء الذين يقدمون بتعليمهم وإرشادهم. يوجد أنواع عديدة من الرعاة في العالم:

١. هناك رعاة مهملون وخمولون (زكريا ١١:٥).
٢. هناك رعاة حمقى (زكريا ١١:١٥).
٣. هناك رعاة يغذّون أنفسهم ولا يطعمون رعيتهم (حزقيال ٣٤:٢).
٤. هناك رعاة قساة القلب وعديمو الرحمة (زكريا ١١:٠٥).
٥. هناك رعاة، بدلاً من تضميد الجراح، يؤذون ويزجرون ويجرحون المرضى (حزقيال ٣٤:٤،٢١).
٦. هناك رعاة هم السبب في "ضلال رعيتهم» (إرميا ٥٠ :٦).
٧. وهناك الرعاة الذين يطعمون رعيتهم، هؤلاء هم الرعاة الذين يمكن أن تعهد نفسك لهم للتعليم والإرشاد.[٢]

بدون أدنى شك، إن اقتناع بنيان بنجاح الخدمة أساسه الروحانية في الخدمة وهذه حقيقة ثابتة لا يمكن إنكارها.

الخلاصة

توفى جون بنيان عام ١٦٨٨ سعياً نحو القداسة طوال حياته فارتبطت بكل كيانه. كانت عظاته وكتاباته تعكس هذا الشغف المتواصل في قلبه للروحانية الشخصية، وقد تلخّصت في "أقواله المأثورة" عن الخطية: "الخطيئة تحوّل نعمة الله إلى فجورعندما تتجرّأ

---

١ خاطي أورشليم خلص – أعمال جون بنيان ١ :٩٨.

٢ "عظمة الروح وعدم القدرة على وصف رداءة فقدانها" – أعمال جون بنيان ١ :١٤٣.

على عدالته، وتغتصب رحمته، وتسخر من صبره، وتزدري بقوته، وتحتقر محبته.»[١]

كانت الروحانية الشخصية لبنيان شرطاً أساسياً لأمانة ونجاح الخدمة. رسّخت هذه العاطفة نفسها في عقل وقلب ش.هـ. سبيرجن، حيث سنرى هذا الامر في الفصل التالي بتمعّن في كتابات بنيان كشاب، والذي استمر في السير بهذا الطريق طوال حياته وخدمته.

---

١ « أقوال مأثورة عند الموت« – أعمال جون بنيان ١ :٦٥.

٣

تأثير بنيان على حياة وخدمة سبيرجن

إعجاب سبيرجن بجون بنيان

ليس لإعجاب ش.هـ. سبيرجن بجون بنيان حدود. عندما كان سبيرجن شاباً، طُبعت شخصية بنيان الحيّة والصور من صفحات كتابه سياحة المسيحي في عقله وقلبه، فاخترقت شخصية بنيان حياة وأفكار سبيرجن. فاستخدم سبيرجن شخصية بنيان على نطاق واسع من أجل الشرح في عظاته. فكانت شخصية بنيان سبب بهجة لسبيرجن على المستوى الشخصي. كما كان حُب سبيرجن الخاص لكتاب «سياحة المسيحي» واضحاً، حيث كتب تفسيراً لهذا الكتاب الشهير بعنوان صور من سياحة المسيحي تكوّن من ٢٣٧ صفحة. حيث يبدأ سبيرجن كتابه هذا بحماس: «الكتاب الذي أقدّره جداً إلى جانب الكتاب المقدس، سياحة المسيحي لجون بنيان.“أشار سبيرجن بحماس وقال: ”أعتقد أنني قرأت (سياحة المسيحي) مئة مرة على الأقل. إنه المجلّد الذي لا أتعب منه أبداً، فسِرّ نضارته إلى حد بعيد أنه نبع من فكر الكتاب المقدس.“[١]

---

١ ش.هـ. سبيرجن، صور من سياحة المسيحي (لندن: شركة فليمنج ريفل ١٩٠٣) ١١.

تأثير بنيان على سبيرجن

اخترق حب سبيرجن لجون بنيان وكتاباته حياته الشخصية. على سبيل المثال، ذُكِر جون بنيان اثنتي عشرة مرة في سيرة ش.هـ.سبيرجن الذاتية "السنوات المبكرة»[١]، وتسع مرات في الجزء الثاني من سيرته الذاتية "الحصاد الكامل".[٢]

في طفولته، أصبح سبيرجن مُطّلعاً على أعمال الطهورين أثناء إقامته مع جده. ها هو ذلك الشاب الذي من خلال قراءته سياحة المسيحي الذي لجون بنيان أصبح الكتاب نفسه صديقاً له مدى الحياة. كتب سبيرجن في هذا الخصوص: «لقد صُعقت بالاطلاع على سيرة الشهداء، وبالأخص الذين أحرقهم أولد بونر[٣]. ولاحقاً جون بنيان مع سائحه.

لقد استمتع سبيرجن بجون بنيان كثيراً وذلك في سن مبكرة حيث حفظ أجزاء كبيرة من كتاباته غيباً. لقد كانت حدّة ذكائه واضحة، فعندما كان شاباً في الخامسة عشر من عمره، وفيما كان تلميذاً متمرّساً كان يساعد زميلاً له في المدرسة يُدعى إيفرت، والذي عُرِف بعد ذلك بالبروفسير ايفرت حيث درّس في الكلية الملكية – بيلفاست. كان متأثراً جدًا بذاكرة سبيرجن وكتب في مجلة العالم المسيحي بعد موت سبيرجن، "لقد سمعته يذكر مقاطع طويلة من كتاب النعمة الجزيلة لبنيان".[٤]

امتزج قلب سبيرجن ونفسه مع بنيان. حيث كانا روحاً واحدةً، فنستطيع أن نرى ذلك عندما كتب سبيرجن بعد عدة سنوات:

آه، أنت وأنا قد ندخل معاً في قلب كلمة الله، لكي نحصل على عصارة هذه الكلمة بأنفسنا! كدودة القزّ التي تأكل الورقة وتلتهمها، هكذا يجب علينا أن نفعل بكلمة الرب، ليس الزحف على سطحها لكن أكلها بحق حتى نُدخلها إلى الأجزاء الأكثر عمقاً داخلنا. إنه لعديم الجدوى أن نسمح للعين بالمرور فوق الكلمات في لمحة خاطفة أو تذكر التعبيرات الشعرية أوالوقائع التاريخية ولكن كم يكون الأمر مباركاً بأن نأكل في الروح من الكتاب المقدس حتى نستطيع في النهاية أن نتكلّم لغة الكتاب المقدس،

---

١ سيرة ش.هـ. سبيرجن الذاتية: السنوات الباكرة ١٨٣٤ ـ ١٨٥٩ (إدنبرج : شعار الحق الصادق ١٩٦٢) ٤٠.

٢ سيرة ش.هـ. سبيرجن الذاتية: الحصاد الكامل ١٨٦٠ ـ ١٨٩٢ (إدنبرج : شعار الحق الصادق ١٩٧٦) ٢٦.

٣ إدموند بونر (١٥٠٠ ـ ١٥٦٩) أسقف لندن.

٤ السنوات الباكرة ١١.

وأسلوب حياتك قد تشَكَّل على نماذج كتابية ويبقى ما هو أفضل حيث تكون روحك قد انتعشت بكلمات الرب. وأود أن أقتبس جون بنيان كمثال على ما أعنيه. اقرأ أي شيء له وسوف ترى أنه يكاد يكون كقراءة الكتاب المقدس نفسه. لقد درس الكتاب المقدس بنسخته المعتمدة من قبلنا والتي من وجهة نظري لا توجد نسخة أفضل منها الآن على الإطلاق حتى إلى أن يأتي المسيح، لقد قرأ حتى تشبّع كيانه من الكتاب المقدس، ففي كتاباته المتميزة التي كانت مليئة بالشعر، نجده لا يستطيع أن يقدم لنا كتابه (سياحة المسيحي) الأحلى من كل قصائده الواقعية، من دون أن يجعلنا نشعر باستمرار ونتساءل «ما سبب كون هذا الإنسان كتاباً مقدساً حياً!» ذلك إنك إذا قمت بوخزه في أي مكان سوف تجد أن دمه إنجيل يتدفق منه جوهر الكتاب المقدس. لا يستطيع أن يتكلم بدون أن يقتبس نصاً، لأن نفسه ممتلئة من كلمة الله.[١]

تأثير بنيان على وعظ سبيرجن

كان اطِّلاع سبيرجن على أعمال جون بنيان مدى حياته واضحاً، وخصّيصاً في خدمته المنبرية. حيث انتعشت عظاته بالرسوم التوضيحية والاقتباسات والتشبيهات المستمدة من كتابات بنيان. يكشف لنا التدقيق في عظاته أنه يوجد عدد قليل من العظات والتي يغيب عنها تأثير بنيان.[٢]

من أوائل التشبيهات الوعظية الخاصة التي اقتبس فيها بنيان، كان سبيرجن يناهز الخامسة والعشرين عاماً من عمره وذلك في ٦ تشرين الثاني ١٨٥٩، حيث وعظ لجمع يُقدَّر بنحو ١٠,٠٠٠ شخص في صالة سيريجاردن الموسيقية.[٣] حيث كان عنوان عظته "أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن عندي" (مزمور ٧٣:٢٨). حيث أشار إلى صحة الحق الكتابي عن الحياة المتغيّرة عندما نتعلّم مباشرة من الله، فذكر سبيرجن جون بنيان كمثال:

يقول جون بنيان أنه لا ينسى أبداً التعليم الإلهي الذي تعلّمه لأنه كان مولعاً

---

١ الحصاد الكامل ١٥٨ ـ ١٥٩.

٢ مادة بنيان موجودة في منبر خيمة المتروبوليتان، المجلدات ١، ٢، ٣، ٤، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.

٣ صفحة يهوذا، ش.هـ. سبرجن حياته وخدمته (لندن: بارتريدج ١٨٩٢) ٧١.

به عندما يركع على ركبتيه. فهذه هي الطريقة التي نتعلّم بها الإنجيل. فإن تعلّمته وأنت على ركبتيك فلن تنساه أبدًا.

فإن كان هناك بشر يعلّمونك، فقد يأتي من يعلّمك شيئاً مختلفاً. حتى ولو اقتنعت بمنطق ما فحسب، فقد يأتي منطق أفضل ليقنعك بشيء آخر. حتى وإن تمسكت بآرائك العقائدية لمجرد أنها تبدو لك صحيحة، فيمكن لك أن تنقاد لفكرٍ مختلفٍ في يوم آخر. لكن إذا كان الله هو من علّمك الحقّ حيث أنه وحده الحقيقة النقية، فبذلك لن تتعلم شيئاً ناقصاً، لكنك ستتعلّم الذي لم تتعلّمه من قبل، والذي لن تنساه البتة.[١]

في خيمة المتروبوليتن في صباح يوم الأحد بعد بضع سنوات، ١٥ كانون الثاني ١٨٦٥، أشار سبيرجن إلى سياحة المسيحي في مقالة بعنوان، "مدح الفهم» معتمداً على (دانيال ١١ : ٣٢ ٣٣)، حيث وضّح الحاجة لقراءة منهجية للكتاب المقدس. يكتب سبيرجن في هذا السياق:

قراءة الكتاب المقدس بشكل منهجي: لا تقرأ مجرد آية هنا أو هناك فهذا ليس عدلاً. لن تعرف شيئاً عن كتاب جون بنيان سياحة المسيحي إذا قمت بفتحه كل صباح وبقراءة ستة أسطر في أي جزء ثم ركنِه جانبا مرة أخرى، يجب عليك قراءته بشكل كامل إن رغبت بأن تعرف عنه شيئاً.

تأثير بنيان على كلية الرعاة

رأى ش.هـ.سبيرجن أن كلية الرعاة التي أسّسها، خدمتها خدمة مصيرية. على سبيل المثال، في خطاب بسيط بعنوان «الإيمان» ألقاه في مؤتمر الخدام أمام طلبة كلية الرعاة في ١٦ نيسان ١٨٧٢، أشار سبيرجن إلى سياحة المسيحي لإقناع سامعيه بالضرورة المطلقة للإيمان الصامد في وجه الأعداء والعقبات الكثيرة. فأعلن بشكل لا لبس فيه:

أصلّي إلى الله أن يهب هذه الكلية الإيمان. ويهبنا بأن ننشئ كنيسته على الصخر ويجزل علينا بركات عهد نعمته، فتذكّروا أيها الإخوة بأننا ملتزمون بالإيمان. لقد فات الأوان للتقاعد. نحن في حالة من حالات سياحة المسيحي التي لبنيان، فيجب أن نتقدّم للأمام. هناك العديد من المخاطر الماثلة أمامنا، فوادي

---

١ السنوات الباكرة ٣٢٠ . ٣٢٧.

ظلال الموت يقف في طريقنا، والسهام سوف تطير بغزارة شديدة من حولنا حيث سنجتاز بين ظلالها.

سيكون ذلك صعباً لانه لا يمكننا الاستدارة رجوعاً لأنه لا يوجد درعٌ واقٍ لظهورنا.

ولنفترض أننا أخذنا جانب المنطق أي أن نتخلّى عن ثوابت إيماننا وعقيدتنا، فما الذي يتبقّى لدينا؟[١]

يذكر سبيرجن بنيان في "محاضرات إلى طلابي"، وذلك في المحاضرة الرابعة بعنوان «كُتب عن الأشعار، الخرافات والأمثال" حيث يقتبس من كتاباته على نطاق واسع وعلى مسمع من طلاب الكلية:

نصل الآن إلى الأمثال الصحيحة، وأفضل شيء يمكن أن أفيدكم به أيها الإخوة، هو الإشارة إلى موضع تواجد هذه الامثال، حيث هناك منها الكثير كما تعلمون جميعاً في كتاب سياحة المسيحي لجون بنيان. تلك المشاهد التي كان المؤمنون يشاهدونها في قصر المفسّر الذي يُسمّى الجميل، فهي بعض من أغنى وأفضل الأمثال التي يمكن العثور عليها في الأدب الإنساني، باستثناء تلك التي لربنا نفسه، حيث لايوجد ما يمكن ان يتفوق عليها. وهناك المثل الخاص بالرجل الذي كان يكنس الغرفة، حيث كاد أن يخنق السائح بالغبار، الى أن قامت الفتاة الواقفة برش الماء بالقرب منه.

ثم هناك طفلا العاطفة والصبر، وهناك النار المشتعلة على الحائط، والتي لا يمكن إطفاؤها بالمياه، لأن اللهيب يتغذّى سراً من الزيت، كما هناك الرجل في القفص الحديدي، وغيرها من الأمثال التي لن أذكرها الآن لكن ينبغي عليكم جميعاً أن تعرفوها عن ظهر قلب.[٢]

واستمر سبيرجن يشيد بكتاب بنيان للأطفال الغير معروف، الذي كان على دراية تامة به. وقد اقتبس من الكتاب حيث شمل اقتباسه بعضا من شعر بنيان:

ربما أنكم لا تعلمون مع أن الجميع يعرف، أن جون بنيان كتب كتباً للفتيان والفتيات مثل "الأشعار الإلهية» أو «أشياء زمنية روحانية» والتي فيها بعض

---

١ جولة ش.هـ. سبيرجن حول الخدمة (ايدنبرج: راية الحقيقة المؤكدة ١٩٧٨) ٣٠.

٢ ش.هـ.سبيرجن، محاضرات إلى طلابي المجلد ٤ (١٨٧٥ ـ ١٩٠٥ إعادة طبع جراند رابيدس١٩٨٠) ٣:١٢٠.

الأمثال الممتازة. إنها حقاً رموز قيّمة يمكنك أن تجدها في طبعة أوفور الرائعة لأعمال بنيان، حيث تشكل ثلاثة مجلدات والتي يجب الحصول عليها إذا استطعتم. لن أقول أن الشعر الذي في هذه الأشعار يفوق شعر ملتون، أو حتى منافس لشعر كوبر، لكنها ذات إحساس جيد. إليكم هذا الجزء، على سبيل المثال:

«من العقلِ يرتاحُ هذا الصوانُ هناكْ،
ينابيعٌ كريستاليةٌ عليها تعبرُ طريقاً يُحاكْ،
صوانٌ تبقى قاصيةً طبيعتها طبيعةُ الهلاكْ،
قبلما لمست ينابيعُ المياهِ الحيةِ هناكْ.

لم تضعفْ صلابتها رغمَ غزراةِ المياهْ،
لم يُخترق كيانها رغم صراخِ الافواهْ،
فللماءِ طبيعةٌ رقيقةٌ نبعها سماءُ علاهْ،
وللصوان جوهرٌ يوماً يذوبُ حينما يلقاه.

على الرغمِ منَ الغزارةِ القساوةُ باقيةْ،
بطبيعتها تحتفظُ عنيدةً صلبةً ناريةْ،
إذا صدمها النقيضُ بفاجعةٍ أو بليةْ،
تبصقُ في وجهكَ نارها والاذيةْ.

هذه الصوانةُ رمزٌ للذين سقطوا،
تحت الكلمة مثل الحجارة صقلوا،
تياراتُ الكلمةِ كريستاليةْ لا تتغيروا،
لولا عمل نعمتها عن شهواتهم لم يبعدوا.[١]

قل، ما الذي أحببته في القصيدة؟ فالاستعارة الواردة أعلاه مهمة جداً.

---

١ سبيرجن، محاضرات إلى طلابي ٣ :١٢١.

تأثير بنيان في مجلة السيف والمنجل

السيف والمنجل، هي مجلة شهرية لسبيرجن (أنظر الأعداد ١،٣،٤،٥،٦). فقد حضر بنيان في الاقتباسات، التلميحات والتوضيحات العملية العديدة. على سبيل المثال في مقالة بعنوان "هل أنتم مخلّصون بالنعمة ؟» في العدد الأول من المجلة (شباط ١٨٦٥)، نرى سبيرجن يترجّى الخطاة لكي يتوبوا مستخدماً جون بنيان وهروبه من الضيقة بالموت

كتوضيح مؤثّر ومُلحّ لقبول المسيح، حيث كتب سبيرجن:

إن الخطاة محفوظون من الموت الحتمي من خلال نعمة الله، فإن فأس العدالة الحاد سوف يسقط قريباً على الشجرة الجافة، إذا لم ينادي صوت الشفيع يسوع «اتركها قليلا»، خطاة كثيرون وبعد أن تجددوا، اعترفوا بامتنان أنه من رحمة الرب عليهم أنهم لم يهلكوا. لقد هرب جون بنيان ثلاث مرات من عمل نعمة الله قبل تجديده، وهذه الاختبارات الثلاثة كانت جديرة بالذكر حيث قام بتدوينها في كتابه "النعمة الفيّاضة»، حيث أصبحت أمثلة لامعة لطول أناة ورحمة الله. كثيراً ما تكون اختبارات الخلاص هذه، مثالاً ووسيلة مؤثّرة في القلب، من خلال المشاعر الرقيقة لمحبة الله، والممزوجة بمشاعر الحزن على الإساءة إليه. أفلا ينبغي لنا أن نعتبر أن طول أناة الله هي مقدمة للخلاص؟ (٢ بطرس ٣ : ١٥). أطلقت رصاصة على ضابط في معركة، فخرقت جيب معطفه، لكنه بقي على قيد الحياة ولم يصب بأذى، لأن قطعة فضة أوقفت الرصاصة القاتلة. وقطعة الفضة هذه هي عبارة عن عملة معدنية، كتب عليها هذه الكلمات، دي غراثيا (بنعمة الله). أثّرت هذه الظروف التي ظهرت فيها العناية الإلهية بعمق في كيانه، وقادته ليقرأ نبذة أعطتها له أخت تقيّة. فبارك الله قراءة النبذة، وأصبح بنيان مؤمناً بالمسيح يسوع من خلال وجه الله الغني بالرحمة. أيها القارئ، هل أنت غير مُخلّص؟ هل اختبرت فرص النجاة من الموت مراراً في حياتك، من خلال غنى العناية الالهية؟ إذاً اعبد والتمس نعمة الله المجانية، و صلّ حتى تقودك هذه النعمة إلى التوبة![1]

نظراً لمرضه لم يكن سبيرجن قادراً على الاحتفال بعيد ميلاده الخمسين، فاضطرّ للاعتزال في منتون بفرنسا للراحة والعلاج، وهناك أعدّ مقالة قيادية لمجلة

---

١ ش.هـ. سبيرجن، "هل أنتم مخلصون بالنعمة "السيف والمنجل شباط ١٨٦٥(طبعة مكررة – الباني سوفت وير ٢٠٠٠) ٣٠.

السيف والمنجل بعنوان، "في سنتي الخمسين وكبر السن». كان سبيرجن يمر بفترة جفاف، لا شك أنها تفاقمت بسبب المرض وضغوط الخدمة المستمرة. وقد تم الاشارة إلى صراعه في إعداد عظاته، من خلال تشبيه مقتبس من كتاب سياحة المسيحي:

لم تمرّ السنة الخمسين من عمري من دون فحوصات طبية خاصة بالقلب. فعندما شعرت بالإنهاك من العمل المتواصل، بدأت أخشى من أن تكون هذه هي علامات تقدُّم عمر الإنسان، أضف إلى ذلك، عملي المكتبي الذي كان يسبّب لي إرهاقاً ذهنياً. وهنا أتذكر ما قاله بنيان في سياحة المسيحي "كما جذبتها جاءت". كذلك فعلت بعظاتي، لكنها احتاجت مزيداً من الجذب بل وأكثر.[١]

من المثير للاهتمام، كيف أن سبيرجن قام بالدفاع وبإيمان ثابت ضد الانتهاكات الليبرالية والمساومات العقائدية، فمن خلال مجلة السيف والمنجل قام بنشر كتاباته المعروفة مثل "إسقاط الصف الجدلي»، حيث دافع عن نفسه ضد مهاجميه الذين اتّهموه بالابتعاد عن التراث المعمداني. لقد كان لأعدائه الجرأة أن يستشهدوا بجون بنيان ضده! فرد سبيرجن بسرعة، وبشكل حازم في عدد كانون الاول ١٨٨٨ لمجلة السيف والمنجل من خلال مقالة بعنوان «محاولات المستحيل»:

هكذا عرفنا جون بنيان، كمحرّك بقوة ألف حصان، اتجه نحو إسقاط هذا الصف الجدلي، هكذا عرفناه معارضاً للمحتجّين علينا، فلابد أن ننظر إلى أعماله، لنرى إن كان قد سبق له أن وقف ضد العقيدة الصحيحة. فكما خطر على بال قُرّائنا، سرعان ما وجدنا أن بنيان كان منسجماً مع نفسه عقائدياً وبشكل كامل وواضح. فالأمر يبدو وكأنه مزحة، حيث أن المتهوّرين من خصومنا، حاولوا وضع جون الصادق على الجانب الخاطئ، ليس بروح الدعابة، بل بجدية وبكل ما للكلمة من معنى، فإننا نقترح على الذين يميلون إلى تكرار هذه التجربة الخرقاء، أن يدرسوا أولاً اعتراف إيمان بنيان الشخصي. لكن لدينا بعض التخوّف من أنّهم سيرفضون هذه المهمة، عندها سنقدّمهم هديةً لإيمانه بعقيدة الاختيار. وإن لم يجدوا سروراً في قراءة هذا الاعتراف، فهناك الكثير ممن يودّون وبكل سرور قراءته. على أية حال، التعليم الكتابي هو الذي يُحدّد وبطريقته الخاصة من الذي يستحق أن يُقدَّم له الاعتبار.

هكذا كتب مؤلف سياحة المسيحي.[٢]

---

١ الحصاد الكامل ٣٨٦.

٢ ش.هـ. سبيرجن، "محاولات المستحيل» السيف والمنجل، كانون الاول ١٨٨٨

حتى بعد موت سبيرجن، أُخذ بنيان إلى أقاصي الأرض من خلال عظات سبيرجن المنشورة في السيف والمنجل. وهذا مثال رائع لعظة نُشرت في ٥ آذار ١٩٠٨، بعد رحيل سبيرجن بستة عشر سنة (٣١ كانون الثاني١٨٩٢) بعنوان "هأنذا» (١ صموئيل ٣ :٤):

يتحدّث جون بنيان عن بوابات الأذن المغلقة بالبذاءة، وغالباً ما يكون الأمر كذلك. حيث أن الأشخاص الذين لا يسمعون صوت الله بسبب وجود خطيئة ما، أو حتى بعض الخطايا المحببة، لا يملكون البصيرة الكافية ليدركوا أن ما يسمعونه سيكون وسيلة خلاصهم أو دينونتهم. فسماع عظات البشارة الحقيقية هو واحد من أكثر الأعمال الجليلة التي يمكن للأذكياء استخدامها. فالآذان السامعة موجودة لدى الجميع، فيا لبهجة أولئك الذين يمتلكون تلك الآذان التى تدرك ما تسمع.[١]

مرة أخرى، وبعد عشرين عاماً على رحيل سبيرجن، نُشر في السيف والمنجل في ٢٢ شباط ١٩١٢، مقتطف من عظة بعنوان "يد الله في المساء"، استناداً إلى (حز٣٣ :٢٢):

«في المساء سيكون هناك نور». في بعض أجزاء هذا العالم لا يوجد مغيب، فبمجرد غروب الشمس يتبعها الليل فوراً، لكن عندنا في إنجلترا الأمسيات الطويلة هي فرحة كبيرة، كذلك وبكل تأكيد الحياة التي أشرفت على الغياب بعد أن أُنفقت بشكل جيد، حيث أنك انتهيت من كدح واضطرابات الخدمة الأرضية، ولنفسك الآن هذا الموسم المبارك من الراحة، كما كان أيضا نصيب السائح بنيان في أرض بيولاه، إلى أن أتته دعوة لعبور النهر، لكي يكون في محضر الملك. سيكون شيئاً مباركاً، أن نشعر بيد الله علينا في هكذا أمسية، سواء كانت طويلة أو قصيرة، ستكون ليلة مباركة لكل واثق في الرب يسوع المسيح.[٢]

---

١ ش.هـ. سبيرجن، "هأنذا" السيف والمنجل ٣١ كانون الثاني ١٨٩٢(طبعة مكررة – الباني: إيجيس سوفت وير ٢٠٠٠) ٥٤: ١٤٥.

٢ ش.هـ. سبيرجن، "يد الله في المساء" السيف والمنجل ٢٢ شباط ١٩١٢(طبعة معادة – الباني: إيجيس سوفت وير ٢٠٠٠) ٥٨ : ٧٧.

ترابط بنيان وسبيرجن في الصحف

حتى في الصحف، ظهر تماثل سبيرجن مع بنيان في البداية الباكرة لخدمته. فعند انطلاق شهرة سبيرجن كواعظ شاب للإنجيل، انتقد بشدة أسلوب وعظه الحماسي وصلواته العاطفية. وقد ظهر مقال تهكّمي قاس في الإسيكس ستاندرد في ١٨ نيسان ١٨٥٥، موجّه إلى رئيس التحرير تحت عنوان "محب اللياقة". والمقال كان بمثابة تهكّم مرير على صلاة سبيرجن "الدنسة» و»دعارة المنبر»[١]

في الأسبوع التالي، نُشرت رسالة من نوع آخر ومختلفة تماماً:

سيدي، في جعبة قُرّائك آراء لمؤيدي الكنيسة المؤسسة على وعظ القس ش.هـ. سبيرجن، وإني على ثقة بعدالتك المعروفة، والتي ستتيح الفرصة لانفصاليٍّ نظيري للتعبير عن تعاطف الكثيرين من الذين استمتعوا بالاصغاء للكلمات الحماسية الصادرة عن خادم الإنجيل المتميّز هذا.

فالسيد سبيرجن يؤسّس لحقبة جديدة، وبأكثر دقة، فهو يحيي الأسلوب الصحيح القديم لبنيان، وسلي، ووايتفيلد، حيث زرعت البلاغة المشتعلة لهؤلاء الرجال قناعةً في قلوب مستمعيهم، فهؤلاء لا يهتمون لتصفيق البشر، لكي يكون الكل لمجد الله. وعلى إثر خطوات هؤلاء الرسل مشى السيد سبيرجن. فمن لا يرغب أن يكون بين القادة الأكثر نبلاً؟

خادمك المطيع، فوكس بوبالي.[٢]

تأثير بنيان الطويل الأمد على حياة سبيرجن

في عام ١٨٦٢، حضر سبيرجن حفلاً لتكريم ذكرى جون بنيان. في هذا السياق يشير إريك هايدن:

في ربيع عام [١٨٦٢] كان هناك حدثان مهمان ومثيران للاهتمام. تم ترميم قبر جون بنيان في حقول بن هيل[٣]، وحضر سبيرجن المراسيم مع إيرل الذي من شافتسبيري. تكلّم سبيرجن عن بنيان كواعظ، وكاتب ومتألّم.

---

١ السنوات الباكرة ٣١٦ . ٣١٧.

٢ السنوات المباكرة ٣١٧ . ٣١٨.

٣ مقبرة في شمال لندن حيث دفن العديد من المستقلين أو الخدّام الانفصاليين.

كما ذكر سبيرجن أن بنيان ثمّن الحرب المقدسة أكثر من سياحة المسيحي نفسه.[١]

بعد مضي ثلاثين عاماً، وقبل أسابيع معدودة من موته، شارك سبيرجن الكلمة مع بعض الأصدقاء المقرّبين في ليلة رأس السنة الجديدة وفي صباح اليوم التالي. فتم نشر الخطابين بعد وفاته في مجلة السيف والمنجل تحت عنوان "كسر الصمت الطويل»[٢] في شباط ١٨٩٢. في الساعات الأخيرة من حياته، وجد سبيرجن مرة أخرى في سياحة المسيحي وسيلة للتعبير والتوضيح وتطابقت أفكاره مع كتابات صديق عمره جون بنيان:

أصدقائي الاعزاء، لست قادراً على التكلم لوقت طويل في الوقت الحاضر، لكنني بسرور دعَوتكم لكي نصلّي كل صباح لكي نكون سوياً، لكن اعذروني لأنني لا أملك القوة الكافية. لكنني لا أستطيع الامتناع عن مشاركتكم ولو بالقليل. فبشيء من التذكر بالماضي، في هذا المساء الأخير من العام، أو ربما صباح السنة الجديدة، أودّ أن أضيف كلمة من الأمل والتطلع للمستقبل. إلى هنا قد وصلنا برحلة الحياة، حيث نقف على حدود عام أخر، وفيما ننظر إلى الوراء، لنترك لكل واحد منا أن يدقّق النظر على خطاه وطرقه الخاصة. لن تحتاجوا إلى الكلمات أو العبارات الجميلة التي قد تصدر مني، فكل واحد وبعينيه الخاصة سوف يفحص طرقه الشخصية. من بين الأشياء المدهشة رؤيتنا للمخاطر التي نجونا منها. فبعدما اجتاز السائح بنيان بسلام عبر وادي ظلال الموت، بزغ عليه ضوء الصباح، فجلس يتطلّع إلى الوراء على الطرق الرهيبة التي اجتازها. وبدا له فظاعة مسيره عبر ذاك الوادي ليلاً، لكن عندما تمعَّن بالنظر إلى الوراء، رأى الأهوال التي نجا منها، وكم كان سعيداً عندما أدرك أن الظلام قد أخفى الكثير من خطر ذاك الوادي فيما كان عابراً في وسطه.

كثيرا ما يحدث هذا الأمر بعينه معنا: فشكراً لله، لأننا الآن نرى بوضوح المخاطر، التي عبرناها بأمان.[٣]

---

١ إريك هايدن، أضواء بارزة في حياة سبيرجن (طبعة مكررة – الباني: إيجيس سوفت وير ٢٠٠٠) ١٩.

٢ الحصاد الكامل ٥٠٣.

٣ "كسر الصمت الطويل" السيف والمنجل شباط ١٨٩٢ (طبعة مكررة – الباني: إيجيس سوفت وير ٢٠٠٠) ٢٨١.

٤

حياة جون جيل، الخدمة والروحانية

تأثير جون جيل

هذا الفصل يشكل مشهداً لحياة وخدمة جون جيل (١٦٩٧ ١٧٧١)، حيث يكشف عن ذلك اللاهوتي والواعظ اللندني، الذي ترك تأثيراً جوهرياً على حياة، فكر، وخدمة ش.هـ. سبيرجن. لقد استخدم سبيرجن كتابات جيل اللاهوتية على نطاق واسع ليس فقط لتدريب رعاة المستقبل، بل أيضاً لدعم موقفه اللاهوتي الشخصي، وخصيصاً بعد انخراطه في عملية الجدل اللاهوتي. فمع التركيز على كتابات ووعظ جيل، سوف يكشف هذا المشهد عن سعي جيل للروحانية الشخصية، والتي أصبحت نموذجاً يتبعه سبيرجن وقناعةً راسخة، بأن نجاح الخدمة يجد جذوره في روحانية الخادم الشخصية.

حياة جيل الباكرة

ولد جون جيل عام ١٦٩٧ في كيترينج، من أبوين مؤمنين تابعين للمبدأ المعمداني الانفصالي، فإدوارد وإليزابيث جيل اعتقدا وبصدق أن ابنهما سوف "يثبت الخدمة المتفوقة للمعمدانيين».[١]

---

١ روبرت اوليفر – جون جيل: حياته وخدمته.

حجزت قدرات جيل العقلية المتفوّقة له مكاناً فى مدرسة كيترنج للّغات، وسرعان ما تجاوز زملاءه الطلاب في التمكّن من اللغتين اللاتينية واليونانية، كما أسّس بسرعة سمعة بكونه قارئاً متعطّشاً للكتب. وفي ذلك الوقت، قام مدير المدرسة بفرض قانون يحتّم على كل طالب أن يدرس كتاب التعليم الأنغليكاني كما عليه حضور الخدمات الكنسية. احتجاجاً على هذا القرار، قام أبوا جيل الانفصاليين بإبعاده عن المدرسة، وبهذه الخطوة حكم على دراسته الرسمية بالانتهاء في سن الحادية عشرة. لكن بالرغم مما حصل لم يرتدع جيل ولم يتوان عن السير قدما في تتميم شغفه وولعه للدراسة، فأتقن العبرية، فضلاً عن علوم الفلسفة، والمنطق والبلاغة.[١]

تجدّد جيل في سن الثانية عشر من عمره في الكنيسة المعمدانية التي كان يرعاها القس وليام واليس (١٧١١م)، من خلال عظة من سفر التكوين٣: ٩ «فنادى الرب آدم، وقال له، أين أنت؟". فحينها أدان جيل نفسه بسبب إثمه واحتياجه الكبير للمسيح. لقد كان مهتماً بعدم جعل الإيمان أمراً سطحياً ومزيفاً، لذا انتظر حتى بلغ التاسعة عشر قبل أن يعتمد في ١ كانون الاول ١٧١٦ على يد خادم الرب توماس واليس (١٧٢٦م).[٢] في الأحد التالي انضم إلى عضوية الكنيسة وشارك في مائدة العشاء الرباني. وفي ذلك المساء، قام جيل بشرح إشعياء ٥٣، فظهرت موهبته وبشكل واضح أمام الجميع. وبعد عام من التدريب في هيغام– فيريرز، والتي تبعد سبعة أميال من كيترنج، التقى هناك بإليزابيث نيجوس وسرعان ما تزوجها عام ١٧١٨م (توفيت عام ١٧٦٤م). ففي إحدى المذكرات نقرأ عن نظرته وتقديره لزوجته، «لقد اعتبر جيل أن زواجه من هذه المرأة الممتازة، كان الهدف الرئيسي الذي لأجله أرسله الله إلى ذلك المكان، حيث أثبتت نفسها كزوجة محبة ومدققة، فاستمر زواجهما لمدة ٤٦ عاما.»[٣] عاد جيل لاحقاً إلى كيترنج حيث بدأ يخدم هناك، فسرّ الرب بأن يبارك خدمته من خلال تجديد عدداً من أصدقائه المقرّبين.

---

١ جون جيل – اللاهوت المتجسد (١٧٦٩ طبعة مكررة، جورجيا: ترنر لاستر ١٩٥٧) ٥–٧.
٢ جيل – اللاهوت المتجسد ٦.
٣ جيل – اللاهوت المتجسد ٧.

دعوة جيل إلى ساوثورك

أرسلت كنيسة بنيامين كيتش القديمة (١٦٤٠-١٧٠٤) في ساوثورك- لندن، دعوة لجيل لكي يرعاها. وقد عُقدت الخدمة التنصيبية في ٢٢ آذار ١٧٢٠. لكن وبعد مرور وقت على خدمته هناك لم تكن أمور الكنيسة على ما يرام. فحدث انقسام للكنيسة وسرعان ما تبعه انتقال مؤقت لجيل ولغالبية أعضاء الكنيسة، إلى الكنيسة القديمة التي كان جيل يخدم فيها وذلك في عام ١٧٢٠، وفي وقت لاحق قامت الكنيسة بإنشاء مبنى جديد في كارترلين – ساو ثورك، حيث بقي جيل خادماً للكنيسة حتى وفاته عام ١٧٧١,[١]

كتابات جيل اللاهوتية

كان جيل كاتباً مثمراً حيث كتب بغزارة واجتهاد، فترك للمسيحية تراثاً غنياً من الكتابات اللاهوتية والتفاسير. على سبيل المثال لا الحصر، كتب جيل شرح نشيد الأنشاد (١٧٢٨)، شرح العهد الجديد (١٧٤٦ ١٧٤٨)، شرح كتب أنبياء العهد القديم (١٧٥٧ ١٧٥٨) إضافة إلى شرح العهد القديم (١٧٤٨ ١٧٦٣). عالج جيل في كتاباته الكثير من الخلافات اللاهوتية في عصره، والتي شملت البحث في عقيدة الثالوث، والدفاع عن تعاليم الثالوث الأرثوذكسي ضد غارات السابلية (آمن السابليون أن الآب والابن والروح القدس هم أوجه مختلفة لإله واحد)، كما دافع عن عقيدة وجود الله والحق الكتابي المعصوم، وعقائد النعمة. فعلى الرغم من أن جيل تمتع بصداقة وثيقة مع اثنين من قادة الكنيسة الأنغليكانية، أوغسطس توبلادي (١٧٤٠ – ١٧٧٨) وجيمس هارفي (١٧١٤- ١٧٥٨)، لم يساوم أبداً على قناعاته المعمدانية، والتي كانت سبباً لانفصاله عن كنيسة إنجلترا عام ١٧٥١. كما أنه هناك أمثلة أخرى قد ساهمت في هذا الموضوع، كالاتِّهام التي روّجت له الكنيسة الانغليكانية الويلزية بأن الانفصاليين هم جماعة من المنشقّين، أضف إلى أن جيل نفسه رفض معمودية الاطفال، وكتب عام ١٧٦٦ كتيباً بعنوان: «الطفل المعمّد هو جزء من ركيزة البابوية» ضد الممارسة الأنغليكانية الخاصة بمعمودية الاطفال، والتي تضعف كنيسة المسيح الحقيقية. وهذه واحدة من أفكار جيل التعليمية الخاصة بعقيدة التبرير، والتى تستحق الإشادة:

---

١ روبرت أوليفر، "جون جيل»، المعمدانيون البريطانيون المستقلون ١٦٣٨-١٩١٠ (سبرنج فيلد: صحيفة المعمداني المستقل ١٩٩٨) ١ :١٤٧.

نحن نؤمن أن تبرير الله بالاختيار، مؤسَّس فقط على برّ المسيح المحسوب للمؤمنين، بدون أيٍّ من أعمال البر الذاتي الممارس من قبلهم، فهذا هو العفو الكامل والمجاني عن كل آثامهم وتعدياتهم، في الماضي والحاضر والمستقبل، على أساس غسل دم المسيح حسب غنى نعمته.[١]

عظات جيل

تميّزت عظات جيل بالأسلوب التفسيري، والدقة، والاجتهاد، والتوثيق. فالجزء الأكبر من تطبيقات عظاته، كان على الطريقة الطهورية النموذجية، حيث يقوم بإلقائها في نهاية العظة. ففلسفته في الوعظ مبنيّة على التالي:

كان حريصاً ومهتماً بأسلوب الخدمة كما على الخدمة نفسها. فتكلّم بالإنجيل بصراحة، ووضوح، وجرأة، كما ينبغي أن يتكلم: فن الخطابة هو موهبة الكلام، وحرية التعبير، بما يتناسب مع اللغة. فهذا الفن هو واحد من المواهب المناسبة للفائدة العامة في عمل الخدمة، والتي يمكن تطويرها من خلال استخدام الوسائل المناسبة.[٢]

كثيراً ما اتُهم جيل باستخدام الفكر الكلفيني بإفراط. ففي هذا السياق، قدم توم نتلس احتجاجاً منطقياً، بأن القضية أو المشكلة لا تكمن هنا. حيث أن جيل يعتقد أنه في الوعظ يسلّم الخادم روحه الخاصة بدافع من رغبته لخلاص سامعيه. وهنا يستشهد نتلس من كتاب واجبات الواعظ لجيل: "عظّ الكلمة بنعمة الروح، وبالكلمة الحية القادرة أن تخلّص الخطاة، وبالإنجيل المبرهن بإظهار الروح الذي هو قوة الله للخلاص."[٣]

روحانية جيل

تتحدث مقالة غريغوري ويلّس الرائعة، عن روحانية جون جيل وتحوّله من رجلٍ رزينٍ مخيف، إلى قسٍ وراعٍ محبّ. وفيما يتعلق بروحانية القلب، أشار ويلّس إلى أن جيل كان مقتنعاً، بأن "القلب المسيحي يجب أن يفيض بمحبة وبهجة الرب: «العاطفة الملتهبة تجاه الله ولمجده... والمحبة الحارة المشتعلة نحوه».[٤] ولكن جيل شدّد بالتوازي على أن جمال المسيح يبقى الجاذب الوحيد للمؤمن:

---

١ اوليفر، جون جيل: حياته وخدمته ٢٠.

٢ توماس نتل، جون جيل الصحوة الإنجيلية، حياة وفكر جون جيل ١٤٥-١٤٦.

٣ توماس نتل، جون جيل الصحوة الإنجيلية ١٤٩.

٤ غوريغوري ويلّس، النار التي تحرق في الداخل: روحانية جون جيل، حياة وفكر جون جيل ١٩٣-١٩٤.

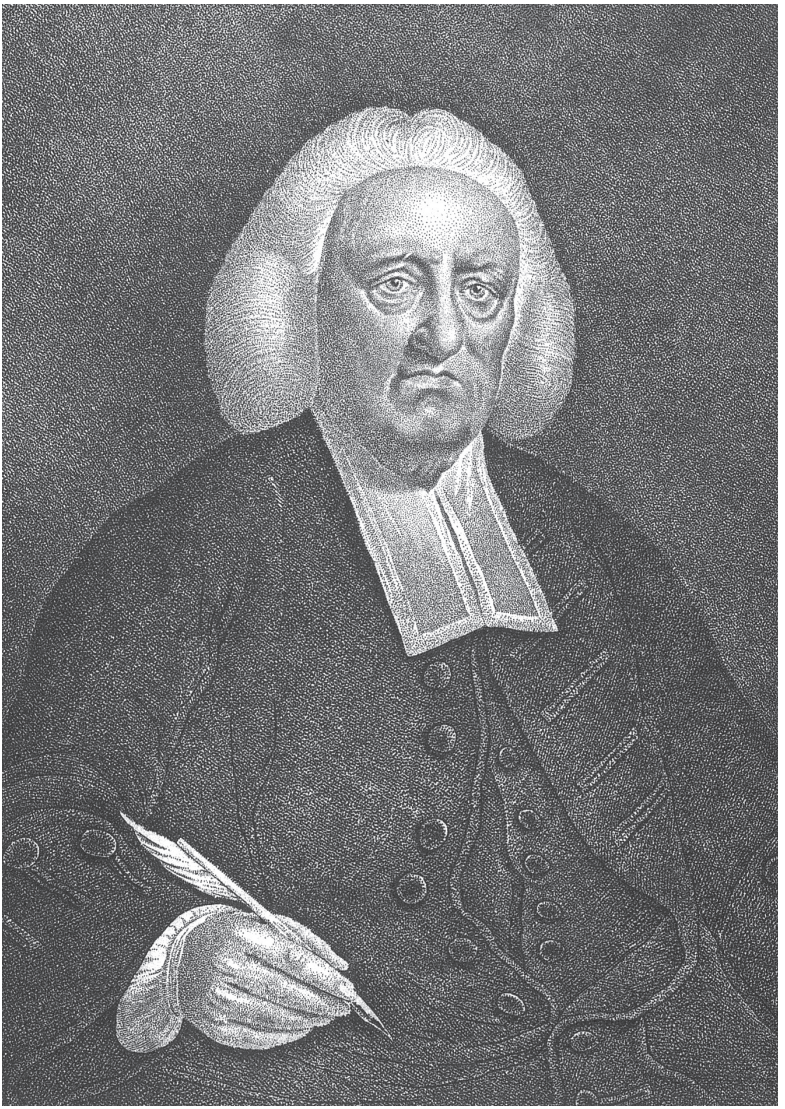

جون جيل
(١٦٩٧ – ١٧٧١)

المسيح بجملته «كله مشتهيات"، لأنه صاحب "الجمال، القوة، الحكمة والنعمة... فالقداسة تظهر في هذا الجمال، المعرفة والحكمة في هذا الكمال... تراه الكامل في جماله، فهذا المشهد الساحر، يملأك بفرح لا يوصف مشحون بالمجد.[١]

أيّد جيل هذه الروحانية بأربعة عناصر مميّزة. أولاً، الروحانية تتضمن شراكة واتحاد مع المسيح، فهذا يشمل محبة المسيح، وعشق جماله، والتأمل في شخصه ونعمته. ثانياً، الروحانية تتضمّن العبادة. وهذا يشمل المظاهر الخارجية للصلاة، التسبيح، والاستماع بالكلمة الالهية، كما يشمل المحتوى الداخلي الأثمن، ألا وهو مخافة الله، الإيمان، الثقة، المحبة والشكر. ثالثاً، الروحانية والعقيدة يشكلان الجوهر المطلق للنمو الروحي. أخيراً، الروحانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكنيسة. ويتضمّن هذا العنصر، بركات الحضور الإلهي، شركة المؤمنين (المحبة والواجب) ومائدة الرب.[٢]

موت جيل

توفى جيل في ١٤ تشرين الاول ١٧٧١، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين. كان عنوان عظة جنازته: "لأني لم أعزم على أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (١كرونثوس ٢:٢). كتب جون فيلوس (١٧٥٨) رثاءً عن جيل، حيث نختم بأبيات هذا الرثاء:

ها أنت أيها القديسُ المباركُ! من مشهد حياتنا رحلتْ،
ملائكةٌ رحبّت بك ومحبةُ فاديك التقيتْ،
أبداً تتلألأ أمامنا صفحاتُ حياتك نشرتَ ألقيتْ،
وذكرُ اسمكَ أيها العزيزُ باقٍ حتى وإن وليتْ،
يا ليتَ كلُ من يجاهدُ بحبك يُلهمْ يا ليتْ،
يحملُ أبناءُ النعمة ناراً مقدسة كما سعيتْ،
يا ليت أنفسنا لكلماتك تميلُ طائعةً وإن فنيتْ،
فننيرُ مصابيحنا المنطفئةُ منكَ أينما حلّيتْ،

---

١ ويلّيس، النار المشتعلة في الداخل ١٩٤.
٢ ويلّيس، النار المشتعلة في الداخل ١٩٦ ـ ٢٠٣.

عجيبٌ، كياننا وحياتنا مع نفسك الحلوة اتّحدتْ،
نعيشُ، نحبّ ونموت كما حياتك الناصعة أُنفقتْ،
أعمالك أمامنا للذين يقرأونها بطول الحياة امتدّتْ،
خطواتكُ نتبع إن قصرت بنا السنينُ أو أُلّفتْ،[١]

نجاح الخدمة يتطلب الروحانية الشخصية

طُلِب من جيل الوعظ في رسامة جورج براثوايت (١٦٨١ ١٧٤٨) في ٢٨ آذار ١٧٣٤. فاختار لعظته الآية الكتابية من (١ تيموثاوس ٤ : ١٦): «لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً". فكانت العظة تحت عنوان، "واجب الراعي نحو شعبه»[٢]. فمن خلال شرح الآية الكتابية، يمكننا أن نلاحظ كيف أن جيل يربط الروحانية بنجاح الخدمة، فرغبته المحدّدة كانت واضحة حيث قال: «في سبيل هذه الغاية [الحفاظ على القيم الروحية الشخصية] سوف تكون على الأرجح الوسيلة في تجديد الخطاة، وتهذيب القديسين. ليت إلهنا الحي يعطيكم النجاح في جميع نواحي خدمتكم.»

فَوِفقاً لجيل، دعونا نتفحّص عظته لنرى كيف أن براثوايت، أو أي خادم آخر، يمكنه أن يصير خادماً ناجحاً للإنجيل، حيث أن مفهوم جيل الثابت للنجاح، مرتبط ارتباطاً مباشراً بالروحانية الشخصية.

أولاً، أكّد جيل على حاجة الخادم الناجح لافتداء الوقت. فبالنسبة لجيل، افتداء الوقت يتطلّب سعياً للروحانية الشخصية. فشدّد على الصلاة، التأمل والقراءة اليومية للكتاب المقدس. وفي هذا الإطار أكّد جيل:

الوقت ثمين، لذا يجب أن يُفتدى، ويُستغل بإتقان من قبل كل البشر. لكن على خدّام الإنجيل أن يكونوا الأكثر حرصاً، حيث ينبغي أن يقضوه في صلاة مستمرة، وبالتأمل المستمر واليومي من خلال قراءة الكتاب المقدس، وكتابات الرجال الصالحين الأتقياء المتناقلة عبر الأجيال، من أجل بنيان وفائدة كنائس المسيح. فيجب أن يجتهدوا بأن يقيموا أنفسهم لله مزكين، عاملين لا يخزون مفصّلين كلمة الحق بالاستقامة.[٣]

---

١ جون فيلوس، رثاء على موت القس جون جيل (لندن ١٧٧١).
٢ «واجب الراعي نحو شعبه» مجموعة عظات ونبذ (لندن: جورج كيث ١٧٧٣) ٢: ١ – ١٣.
٣ واجب الراعي نحو شعبه ٢ : ٥.

عزّز جيل السعي للروحانية الشخصية من خلال تأكيد السيطرة على انفعالاته وأهوائه. ففي الواقع ومن دون هذه الروحانية الداخلية، يمكن لخادم الإنجيل أن يؤذي كنيسة المسيح:

فيجب على الخادم أن ينتبه لروحه، انفعالاته وعواطفه لئلا تسيطر عليه. فالمبشرون بالإنجيل هم بشر ذوو عواطف مماثلة لعواطف الآخرين: فبعضٌ من تلاميذ المسيح كانوا حارين جداً، سريعي الغضب، وعاطفيين... فالشخص الذي يتحكّم بعواطفه، ويملك قوة السيطرة على روحه وانفعالاته، يمكنه أن يقود ويخدم كنيسة الله. اَلْبَطِيءُ الْغَضَبِ خَيْرٌ مِنَ الْجَبَّارِ، وَمَالِكُ رُوحِهِ خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً (أمثال ١٦ : ٣٢). ولكن إن كان الخادم سريع التأثر ومحكوم من عواطفه، فسوف ينقاد بها، فيتّخذ خطوات غير محسوبة وغير حكيمة، كما يمكن أن يدير شؤون الكنيسة بتحيّز، مما يؤدي إلى ضررها.[١]

اقتنع جيل بأن الروحانية الشخصية هي جوهر أساسي للخادم الناجح. والخادم يجب أن يكون مثالاً للكنيسة في القداسة الشخصية والصلاح. سوف نلاحظ في الاقتباس التالي كيف أن جيل دعّم قناعاته بالكتاب المقدس:

يجب على الخادم أن ينتبه لحياته وتصرفاته، فيكون مثالاً لأولئك الذين تحت رعايته. فعلى المؤمنين أن يكونوا قدوة كل واحدٍ للآخر، بل يجب أن يكونوا جادين في إظهار سلوك الأعمال الحسنة أمام بعضهم البعض وأمام الاخرين (تيطس ٣ : ٨)، لكن تحديداً وبشكل خاص، على الخدّام أن يكونوا قدوة للرعية. هذه هي النصيحة التي أعطاها الرسول بولس لتيموثاوس، كن قدوة للمؤمنين، في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الروح، في الإيمان، في الطهارة (١ تيمو. ٤ : ١٢).[٢]

---

١ واجب الراعي نحو شعبه ٢ : ٦.

٢ واجب الراعي نحو شعبه ٢ : ٦.

كان جيل على ثقة أن الروحانية الشخصية ضرورية لنجاح الإنجيل والعكس صحيح أيضاً، فنتاج وثمر الخادم الغير صالح في الخدمة، غير مجدية وغير مربحة. وبهذه الكيفية حذّر بريثوايت وآخرون:

على الخّدام أن يكونوا حذرين بتصرّفهم بين أسرهم، في الكنيسة والعالم، حتى لا يصدر منهم أذى في أي شيء، لكي لا تُلام الخدمة، فتصبح غير مجدية وغير مربحة. وهذا ما فعله الرسول بولس بدقة، حيث احترم نفسه وخدمته،"بل أقمع جسدي وأستعبده" (١ كورنثوس ٩ : ٢٧).

... خوفاً من أن يكون مذنباً جراء سوء سلوكه وتصرفاته بين الناس، وبالتالي يصبح مرفوضاً، وغير مقبول من قبلهم، فيصبح عديم النفع في خدمته. فيُجدَّف على اسم الله، وسُبل المسيح، وحقائق الإنجيل، والتكلم بالسوء عليهم، لسبب الحياة المخزية للمعلمين وخصيصاً الخدّام. فليس هناك ما هو أكثر بغضاً من شخص، يحاول تقويم وتوبيخ الآخرين، وهو نفسه يكون ملوماً.[١]

ختم جيل عظته بقيادتهم لأهمية الروحانية الشخصية لنجاح الخدمة:

أختم... هذه الأمور سوف تجذب انتباهكم لتهتموا بعقيدتكم، حيث يجب أن تكون وفقاً للكتاب المقدس، وتعاليم المسيح ورسله، وبحسب التقوى الحقيقية، فهذا مفيد لمن يسمعونكم، وبالتالي كونوا أنتم أنفسكم غير فاسدين، أنقياء وبلا زغل، ومتصالحين مع أنفسكم، فتصل هذه الصورة الى الناس على أكمل وجه. دافعوا عن هذه الأمور بكل قدرتكم وإلى أقصى الحدود، وبذلك سوف تستمرون بالقيام بذلك، كما ستتحولون على الأرجح إلى وسيلة لتجديد الخطاة، وتهذيب القديسين. ليت إلهنا يهبكم النجاح في جميع خدماتكم.[٢]

في ٢٠ أيلول ١٧٦٧، وعظ جيل في جنازة وليم أندرسون (١٧٦٧) الصديق والقس المعمداني الشريك. حيث افتتح عظته بشرح مفصّل لـ (٢ تيموثاوس٤ : ٧. ٨)، والتي كانت بعنوان "خادم المسيح الأمين المكلل". فبعد شرح النص بعناية، قدّم جيل عدداً من التعليقات حول شخصية ويليام أندرسون. وشدّد على أن خدمة

---

١ واجب الراعي نحو شعبه ٢ : ٧.

٢ واجب الراعي نحو شعبه ٢ : ١٣.

أندرسون كانت ناجحة حيث أنه كان نموذجاً يُحتذى به، ليس فقط في أعماله الأمينة للمسيح، بل أيضاً في سلوكه الكريم بين شعب الله، حيث أكّد أن أندرسون ترك وظيفة مربحة في قطاع الأعمال ليخدم جماعة فقراء، مما أدى إلى ضائقة اقتصادية شخصية، استمرت حتى نهاية حياته، وبدون أي شكوى أو تذمّر عمل أندرسون جاهداً وبكل مثابرة، فنال بركة عظيمة من الله، حيث تحوّل شاهداً قديساً للمتجدّدين ومهذباً لشعب الله. وفي النهاية أردف جيل مشيراً إلى الكنيسة التي تباركت ببركة عظيمة إلى حد بعيد جراء خدمته، رفضته وأهملته، فأصبح في آخر أيامه معوزاً، لكن وبالرغم من ذلك لم تتطفئ روح أندرسون الكريمة. فبالرغم من الحزن والرفض استمر في خدمته بإخلاص لمجموعة صغيرة من الكنيسة. وهنا نرى أن الشخصية التقية، تتجلّى في الخدمة الأمينة الناتجة عن بركة الله:

إنني مقتنع، أنه لا يوجد مشابهة مثيلة لهذه الحالة، فلم نسمع عن رجل عاش في الماضي، أو حتى في تاريخنا المعاصر، خدم بحقّ وأمانة الانجيل، فتم تجريده من منصبه، وإبعاده عن خدمته، بالرغم من أنه لم يرتكب فساداً أخلاقياً، ولا اتّبع عقيدة مزيفة يمكن استخدامها كممسك ضده. هذا الاستخدام الدنيء الذي قوبل به خادم المسيح الأمين، كان بمثابة جروح مؤلمة تلقّاها، في بيت أولئك الذين اعتقد أنهم أصدقاؤه الأوفياء. وماذا عن الألم الذي نحر قلبه، والكرب الذي شربته روحه حتى الثمالة. ومع ذلك لم ينقطع عن عمل سيده، حيث خدم بكثير من القوة، الراحة والبهجة، أكثر بكثير من المتوقع، بين القلة ممن التجاؤا إليه وعاشوا معه.[١]

وفقا لجيل، أنتج إخلاص أندرسون نجاحاً في الخدمة. فقد تجلّى هذا النجاح في النمو العددي للكنيسة، فكان أداة فعّالة لبنيانها. ولتسليط الضوء على الأعمال الأمينة لأندرسون أعلن جيل أن أندرسون ترك وظيفة مربحة لكي يخدم المسيح من خلال الاهتمام بالأخوة من خلال العيش معهم؛ فقد كان قلبه مثقلاً بهم، فسّر الله بأن بارك أعماله سواء في بنيان الأخوة أو تجديد الخطاة، فحصل تزايد في جمهور الكنيسة وأعضائها. لقد وضع نفسه دون كلل لخدمتهم، سواءً بالأمور الزمنية أو الروحية. فمن خلال وسائله الدؤوبة واهتمامه، بنى مكاناً واسعاً للعبادة، وهذا ما كان يريده الكثيرون.[٢]

---

١ خادم المسيح الأمين المُكلل، مجموعة عظات وكتيبات ١ : ٦٠٧.

٢ خادم المسيح الأمين المُكلل١: ٦٠٦ ـ ٦٠٧.

اختتم جيل عظته عن طريق تشجيع القطيع الصغير الذي فقد راعيه. فعندما قام بتشجيعهم، نلاحظ الترابط القوي بين الروحانية الشخصية ونجاح الخدمة في ذهن جيل:

أتمنى أن يرسل الله لكم راعياً ليقوتكم بالمعرفة والفهم. فإنني أرى ان لديكم رجاءً في تحقيق ذلك، حيث سيعظّم الله عمله في وسطكم، ويوسّع تخوم خيمتكم، كما ستمتد حدود مساكنكم، والله سيزيدكم كقطيع. فاجتمعوا معاً وبمواظبة، وصلّوا بجدية وباستمرار، فمن يعلم غير الله ما لديه من بركات مخزونة على حسابكم؟ ختاماً، بما أن لنا جميعاً، بشكل أو بآخر حرباً روحية نحاربها، أو سباقاً نجري فيه، وثقة في داخلنا من أجل تتميمه، دعونا نحارب بشجاعة حتى نجتاز الحرب، ونجري بصبر واجتهاد، فيما تبقّى من السباق الموضوع أمامنا، ونحيا بأمانة بالثقة الموضوعة فينا، وعند إتمام الكل، نتمتّع بإكليل البرّ، إذ يُقدّم لكل من يحب ظهور المسيح.[١]

الخاتمة

في دراسة معمّقة لكتابات جيل العلمية، ومخطوطات عظاته، ليس هناك أدنى شك، في أن جيل ساهم إلى حد كبير، في فهم الفكر المعمداني ونظام الإدارة الكنسية. لا يمكن للمرء إلا أن يشكر الله من أجل هذا العملاق الفكري، الذي تكرّم بعدما واجه بحزم صعود الهرطقة في جيله، والأجيال التي لم تولد بعد من خلال كتاباته. فسبيرجن تبع جيل في هذا الصدد، كما أنه كجيل، حارب من أجل الحقيقة ضد العديد من الجدليات والهرطقات المتدنية.

إن تطابق بصيرة جيل اللاهوتية الواضحة، وتكريسه الوجداني، الذي كان لمجد وجمال وقداسة الله الحي، جعله بصمة متأصّلة في كيان وقلب ش.هـ.سبيرجن، وعلى وجه الخصوص قناعة جيل، بأن للروحانية علاقة مباشرة مع نجاح الخدمة.

---

١ خادم المسيح الأمين المُكلل١ : ٦٠٨.

٥

تأثير جيل على حياة وخدمة سبيرجن

إعجاب سبيرجن بجون جيل

أظهر سبيرجن إعجابًا بجون جيل طوال حياته، حيث اقتبس من عظاته وتوضيحاته في المحاضرات التي قدمها لطلابه في الخدمة، كما في مقالاته الشخصية ومكتبته الخاصة.

تأثير جيل على عظات سبيرجن

كانت عظات سبيرجن تعكس احتراماً عالياً لجيل فمن الأيام الباكرة لخدمته في كنيسة بارك ستريت المعمدانية إلى السنين الأخيرة لعمله في خيمة المتروبوليتن، كان جيل يُذكر بتوسُّع.[١]

فعلى سبيل المثال، وفي مرحلة ما ذكر سبيرجن تفسيراً لجيل، لتوضيح نقطة في إحدى عظاته الأولى في كنيسة بارك ستريت المعمدانية، والتي كانت بعنوان "الكنيسة المتزايدة بهول" حيث استند على إشعياء٦٠ : ٨:

"أعتقد أنه هناك فكرة أخرى متضمنة هنا، فالدكتور جيل هو من أوردها في

---

١ منبر خيمة المترو بوليتن، المجلدات. ١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ٢٧، ٣١، ٤٥، ٤٨...

تفسيره القيِّم جداً. مَنْ هؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ، لا حظ أنه لم يقل كسحب والتي هي بصيغة الجمع بل كسحاب.

إذاً، ليس المشهد هنا كسحابتين أو ثلاثة، لكن كوحدة واحدة ككتلة مدمجة! وهنا يكمن سرُّ القوة. قُسِّمنا إلى أجزاء فسوف نُقهَر، وحِّدنا إلى جماعة ثابتة، فسوف نكون غير قابلين للهزيمة، اربطنا معاً كرجلٍ واحد، فالشيطان نفسه لا يستطيع أبداً أن يفرّقنا. قسِّمنا إلى خيوط واجعل أساسنا ونسيجنا متفرقاً، فسنصبح مثل أنسال الكتان الرديء، الذي يحترق أمام شرارة واحدة من نيران العدو. لكن شكراً لله، إذ أننا كقلبٍ رجل واحد."[١]

في عظة أخرى بقاعة إكستر، يذكر سبيرجون جيل إلى جانب جون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤) كمرجع لاهوتي، إلا أنه يرى بأن كلمة الله يجب أن تظل مرجعنا النهائي لتأسيس عقيدة الاختيار، وليس الناس. ففي عظة "الاختيار والتقديس" التي قُدمت في ١١آذار ١٨٦٠، والتي اختار نصَّها الكتابي من سفر (التثنية١٠ : ١٤ ١٦)، أشار سبيرجن: "يرتعش الأرمينيون خوفاً من الذهاب إنشاً واحدا أبعد مما علَّمه أرمينوس أو وسلي، وكثيرون من الكلفينين يشيرون إلى جون جيل وجون كالفن كمراجع عقائدية نهائية."[٢] لكن في السنين الأخيرة لسبيرجن وبينما كان يعظ عظة "خوذة الرجاء" استنادًا إلى (١ تسالونيكي ٥ : ٨) في خيمة المتروبوليتن عام ١٨٦٦، ذكر سبيرجن حدثاً في حياة جيل، حيث أن شخصاً في الكنيسة هدّد جيل بتركها، إذا استمر بإعلان العقائد الكلفينية، وعندها سوف تعاني الكنيسة مادياً لانه كان عضواً ثرياً. وهنا أشار سبيرجن إلى ردِّ جيل على هذا العضو، "سوف أتحمل حتى ولو أصبحت فقيراً، قال الدكتور جيل عندما هدّده أحد المتبرعين بترك الكنيسة، وبعدم الحضور إذا وعظ الدكتور جيل عن هذه العقيدة."[٣]

تأثير جيل على السيف والمنجل

في مقالة بعنوان "استخدم القلم" والواردة في العدد ١٨٧١ للسيف والمنجل، كتب سبيرجن لكي يشجِّع الشباب ألا يعظوا بالكلمة فقط، لكن مثل جيل وآخرين أراد الرب لهم بأن يلتقطوا ريشاتهم ويكتبوا:

---

١ "الكنيسة المتزايدة بهول" منبر نيو بارك ستريت ٢ : ٧٥.
٢ "الاختيار والتقديس" منبر نيو بارك ستريت ٦ : ١٣٣.
٣ "خوذة الرجاء" منبر خيمة المترو بوليتن ٥٥ : ٥٠٩.

كلام الحق بصوت حيٍّ هو عملهم الأساسي، فيجب أن يستحوز هذا الامر على انتباههم الرئيسي فنشر الحق الموعوظ عن طريق الصحافة، يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، فينبغي استخدام هذه الوسيلة، بكل ما لدى الفرد من قدرة... ياشباب، تطلعوا إلى ريشاتكم، وإلى تلك التي استخدمها جيل وويفرليز، وعندها سترى إن كنت لا تستطيع الكتابة ليسوع.[١]

تأثير جيل في رسائل سبيرجن الشخصية

هناك ثلاث رسائل لسبيرجن، ذكر فيها جيل بوضوح. في واحدة كتبها لوالده في شبابه، وبأخرى يطلب من صديقه تفاسير جيل لكي يهديها لابنه، والأخيرة كُتبت في وسط جدال عقائدي لقادة خيمة المتروبوليتن.

في بداية خدمته، كتب سبيرجن لوالده جون سبيرجن في أوائل عام ١٨٥٤، "الصور التي لجيل وريبون، والتي لها قيمة مشابهة لقيمة الحياة، معلقة في قاعة مجلس الكنيسة".[٢] (سبيرجن مثل جيل وريبون، تميّز بصغر سنه عندما دُعي ليرعى كنيسة ساوثوارك، حيث كان في العشرينيات من عمره). والرسالة الأخرى كُتبت إلى صديقه كيز (سكرتير تحرير سبيرجن – باحث ومدقق لغوي) ليضمن حصوله على مجموعة من تفاسير جيل وغيرها من الكتب، ليقدمها لابنه شارلز في عيد ميلاده." أريد نسخة جيدة ورخيصة من تفاسير جيل لابني تشارلز... أرغب بأن أقدمها هدية بمناسبة عيد ميلاده يوم الجمعة القادم، فأرجو أن لا تكون رثّة، لكن بطبيعة الحال مستخدمة من قبل."[٣]

في أتون الحزن الناجم عن فيضان الانتقادات أثناء معركة إسقاط الجدليين الليبراليين، كتب سبيرجن إلى القس الشريك وشمامسة خيمة المتروبوليتان لكي يشجعهم في وسط المعركة، حيث ذكر جون جيل كمثال للثبات في وسط الجدال: منتون، فرنسا، في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٨٧.

---

١ السيف والمنجل ١٨٧١– ٣ : ٧٢.
٢ رسائل تشارلز هادون سبيرجن (ادنبرج: شعارأمانة الحق ١٩٩٢) ٤٧ ـ ٤٩.
٣ رسائل تشارلز هادون سبيرجن ٨٨.

عندما قام سلفي القس الدكتور جيل، بنشر كتابه "علة وجود الله والحق"، قال عضو من أعضاء كنيسته المعروفين، بأنه وفي حال نشر جيل هذا الكتاب، سوف يفقد أفضل أصدقائه، كما أن دخله سيتلاشى.

ردّ الدكتور جيل فقال: "أستطيع أن أتحمل فقري، ولكنني لا أستطيع تحمل جرح ضميري"، لقد ترك الدكتور جيل عباءته فضلاً عن كرسيه في مجلس شيوخ كنيستنا... تفضلوا بقبول فائق الاحترام، ش.هـ.سبيرجن.[١]

تأثير جيل في كلية الرعاة

تجسَّد إعجاب وتقدير سبيرجن بجون جيل، في مقالة لطلبة اللاهوت في كلية الرعاة مدونة في التعليقات والتفاسير. حيث ظهر تفضيل سبيرجن لجيل كقس لاهوتي بوضوح شديد:

للدكتور جيل مكانة مميزة للغاية. فبعيداً عن كل جدل، كان جيل واحداً من أعظم أساتذة العبرية تمكّناً في أيامه، كما كان بارعاً في مجالات أخرى... لقد نال عمله العظيم في الكتاب المقدس، تقديراً كبيراً من أفضل الكتاب اللاهوتيين، وهذا دليل قاطع على قيمته منذ انطلاق تيار الفكر اللاهوتي الحالي، والذي يعتبر مناقضاً تماماً للفكر اللاهوتي عند د. جيل... لا تزال أمجاد جيل كمفسِّر مزدهرة. فقد نُبذ كثيراً لكن تمّ احترام تعليمه: لقد سارع كل من العالم والكنيسة للاستفسار عن ثبات عقيدته، حيث انحنى كل منهما أمام معرفته الواسعة. ربما لم يوجد إنسان منذ أيام جيل حتى الآن، يعادله على الإطلاق في مسألة التعليم الرباني... كان جيل المُغربل الرئيسي لنفايات الترجوم والتلمود، المشنة والجيمارا...[٢]

ظهرت دعابة سبيرجن في التصريحات التالية، حول تقديره لغزارة إنتاج جيل المتألق، حيث كان يشاركها مع طلابه:

لقد كان دائم العمل، حيث أننا بخجلٍ نذكر، أنه وبُعيد رحيله كان قد كتب حوالي ١٠٠٠٠ صفحة من الكتابات اللاهوتية. فصورته الموجودة في هذه الكنيسة، معلقة في حجرة مجلس الكنيسة الخاصة بي، والتي طُبع منها كل الصور

---

١ السيرة ٤ : ٢٦١ ـ ٢٦٢.

٢ ش.هـ. سبيرجن التعليقات والتفاسير (لندن ١٨٧٦ طبعة معادة– إيدنبرج: شعارأمانة الحق ١٩٦٩) ٨.

المنشورة اليوم، وفيها يظهر جيل وقبالته رجل أرميني مهذَّب، يرفع أنفه لأعلى بطريقة معبّرة، كما لو أنه لا يستطيع تحمّل رائحة الإرادة الحرة.

فبمثل هذا الروحية كتب جيل تفاسيره. حيث كان يطارد الأرمينية بكل ما فيها. فهو أبعد ما يكون عن كون كتاباته شيّقة القراءة كمتى هنري. لكنه كان يعلِّم شعبه من السبت إلى السبت، بعيداً عن السطحيّة الغريبة.[١]

قيَّم سبيرجن آراء جيل اللاهوتية، حيث صرَّح عنها: "رائعة في أحاسيسها ومعناها، أضف إلى عمق الحسِّ الجماعي والواعي لتطبيقاتها، فمن يمكنه أن يفوق جيل؟". لم ينجرف سبيرجن بإعجابه هذا لدرجة العمى. حيث أنه حذَّر طلابه، نادراً ما كان يسمح جيل لنفسه بأن ينجرف بعيدا في التفسير المجازي، إلاَّ بين الحين والآخر، وفي سياق معالجته لمقطع رمزي، كان يجدُّ بالتدقيق بالمعنى والظرف والتفاصيل المحيطة، وإذا توصَّل الى بعض الخيارات لمعاني لا تتجانس مع عقيدته، كان ينحت ويبحث بمشقّة، الى أن ينتج ويقدم كلمة الله في شكل أكثر تنظيماً ومتانة.[٢]

تعليقاً على تفسير جيل لنشيد الأنشاد، كتب سبيرجن:

إنها أفضل ما عمله جيل، وأهمّ من أي عمل سابق، مع أنه لم يستطع معالجة الموضوع كاملاً، لكنه ذهب بعيداً قدر استطاعته نحو إتمام ذلك. ففي بعض الأحيان جنح نحو الخيال، لكن عمله قيّم جداً. فأولئك الذين احتقروه لم يقرأوا كتاباته أبداً، فهم غير قادرين على تقييم المشاعر الروحية.[٣]

احتفظ سبيرجن بصورة جيل وكرسيه وعظاته، حيث استُخدمت منبريات وعظات جيل من قبل الطلاب للمحافظة عليها، كما وضعها سبيرجن كمادة تُدرَّس في الكلية لتبقى صوت صارخ حافظ للاهوتهم!

تقدير سبيرجن لكتب جيل

كانت لسبيرجن متعة في الحصول على كتب موقَّعة من المؤلفين أنفسهم، وخصيصا أولئك الذين يستمتع بقراءة مؤلفاتهم. من حين إلى آخر قام بتسجيل

---

١ التعليقات والتفاسير ٩.
٢ التعليقات والتفاسير ٩.
٣ التعليقات والتفاسير ١١٣.

بعض من الاحداث المميزة في حياته، على صفحات هذه الكتب ذات القيمة الكبيرة على قلبه.

هنا نرى احترام سبيرجن الكبير لجيل. فقد بدأ سبيرجن كراعٍ شاب، فيما كان يخدم في ووتربيتش، باقتناء مجلدات وكتابات جيل. وقد قام بادخار جزء من مدخوله الشهري، لكي يسدّد أقساطاً شهرية ثمن مجلدات التفاسير الخاصة بجيل. تجدر الإشارة إلى أن سبيرجن استمتع بكتابة بعض اختبارات حياته الهامة، في أرجاء أقسام هذه المجلدات. وهذا العادة استمرّت طوال خدمته الرعوية، من شبابه في وتربيتش إلى سنوات الكِبر في خيمة المتروبوليتن.

هذه بعض من العبارات المقتبسة من كتابات مستر سبيرجن، والتي كتبها في مجموعة من مجلدات التفسير الخاصة بالدكتور جيل:

في المجلّد١. لقد سدّدت اشتراك هذا المجلد وحصلت على الأجزاء الشهرية.
ش.هـ. سبيرجن، ١٨٥٢

لقد نجحت بإنهاء استكشاف تعليم هذا الكاتب، في عام ١٨٥٤.
ش.هـ. سبيرجن،
أعيش في كامبريدج،
خادم معمداني في ووتربيتش

في نيسان ١٨٥٤ انتُخبت بالإجماع قساً للكنيسة نفسها التي اجتمعت ذات مرة في كارتر، تحت قيادة الدكتور جيل ومن بعده الدكتور ريبون، حيث أنها تجتمع الآن في بارك ستريت ساوثوورك.

في المجلد ٥ لقد اشتركت في تقسيط مجلدات جيل من خلال الدفعات شهرية، حيث التزمت بها كاملةً. كانون الأول١٨٥٢.

في المجلد ٦. كثيرون يسخرون من جيل، لكنه شخصية تعليمية لا يمكن تخطّيها. وفي بعض النواحي لا يفوقه أحد. كما أنه جدير بأن تستشيره وتتبادل معه الرأي.ش.هـ.سبيرجن ١٨٨٦,[١]

---

١ السيرة الذاتية ١ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

تلخيصاً، وفيما لا يدع مجالاً للشك، كان لسبيرجن تقديراً عميقاً طوال حياته لعقل جيل اللاهوتي، كما بقناعته الخاصة بالارتباط الواضح بين الروحانية ونجاح الخدمة.

٦

حياة أندرو فولر، الخدمة والروحانية

تأثير أندرو فولر

هذا الفصل يقدم مشهداً لحياة وخدمة أندرو فولر (١٧٥٤ – ١٨١٥)، فكتابات هذا الرجل وحياته الروحية الشخصية تركت تأثيراً كبيراً على حياة وخدمة تشارلز سبيرجن، وعدد لا حصر له من المعمدانيين في أيامنا الحالية. فبالاضافة الى كتابات جون بنيان وجون جيل، تجد قناعات سبيرجن عن روحانية الخدمة، جذورها في أندرو فولر.

حياة فولر الباكرة وتجديده

ولد أندرو فولر في ٦ شباط ١٧٥٤، من روبرت فولر(١٧٢٣ – ١٧٨١) وفيليبا جنتون (١٧٢٦ – ١٨١٦). كان والداه معمدانيي القناعة، كما تحدّرا من أسر انفصالية. فبالرغم من أن أندرو فولر، تربّى في منزل مسيحي وكان يواظب على حضور الكنيسة بأمانة، إلا أنه لم يستمع إلى وعظ أمين للإنجيل، بالرغم من أن الكلفينية المتشددة كانت آنذاك في رواج. شكَّل هذا الامر عائقا أمام فهم فولر لنعمة الله. فقد كان مقتنعاً بأنه لا يملك المؤهلات التي تخوّله الالتجاء للمسيح. مع ذلك، وعندما كان شابًا في الخامسة عشر من عمره اختبر التجديد سنة ١٧٦٩. وهذا وصف مقتضب عن الحدث الرائع:

كم فكرت بكلمة يجب أو حتى بتعبير سوف في سياق تسليم حياتي للمسيح، إلى أن قلت نعم، نعم أسلّم نفسي الضائعة وخطيتي بين يديه. فإذا مُتّ فأنا هالك للأبد. لذلك قررت أن ألقي بنفسي على المسيح لعلّه ينقذ نفسي... فتطلُّع فكري وعقلي أصبح أكثر فأكثر مثبتاً عليه، حيث مُحِيت ذنوبي وتبددت مخاوفي تدريجياً ومن ثم تماماً، وأنا لا أعلم كيف... لقد وجدت راحةً لنفسي المضطربة. فعندما آمنت أن الإنجيل هو طريق الخلاص، شربته كالماء البارد الذي يشربه رجل عطشان. أحسست أن قلبي توحَّد بالمسيح، فمُتّ عن كل شيء آخر حولي... لقد عرفت بالاختبار، كيف يجب أن أكون ميتاً عن العالم من خلال صليب المسيح.[١]

اعتمد فولر في العام التالي، في كنيسة سوهام المعمدانية في كمبريدج شاير. فبالرغم من أنه تلقّى التعليم الابتدائي فقط، إلا أن فولر كان مهتماً جداً بالمناقشات اللاهوتية في أيامه. فقرأ بتوسُّع لبنيان وللاهوتي الطهوري جون أوين (دعي بكلفين انجلترا)، جون جيل وجونثان إدوارد (١٧٠٣ ١٧٥٨) والذي قد يكون أعظم لاهوتي في القرن الثامن عشر. في عام ١٧٧٥ تمت رسامة أندرو فولر ليرعى كنيسة سوهام المعمدانية حتى عام ١٧٨٢، وبعد ذلك انتقل لخدمة الكنيسة المعمدانية في كيترينج.

وعظ فولر

عند قراءة عظاته، لا يمكنك إلا أن تلاحظ، بأن أندرو فولر مفسراً مدققًا لكلمة الله. لقد كان مجتهداً وماهراً في توضيحه للنص بطريقة رائعة، وتقديمه كالحق المحيي لأذهان وقلوب سامعيه. فعلى سبيل المثال، أعلن في عظته والتي كانت بعنوان "المسيح المبشِّر"، أنه لا بد لنا بأن نبشِّر بالمسيح بوضوح وجرأة، وكذلك دعوة الكل للعيش بتقوى وورع في محضر المسيح:

بَشِّر بالمسيح، وإلا من الأفضل لك أن تكون أي شيء آخر على أن تكون مبشراً. فلم تكن الضرورة موضوعة على بولس لكي بالكاد يبشِّر، بل لكي يبشِّر بالمسيح. "ويل لي إن كنت لا أبشِّر"... فيوجد بعضٌ من الذين يقلّلون من قيمة المسيح. لكن ماذا عنك أنت، فهل تكرمه؟ وهناك بعضٌ من الذين يتحدثون كثيراً

---

١ جون ريلاند، العمل بإيمان ومحبة – حياة وموت القس أندرو فولر(لندن: بوتين وابنائه ١٨١٦) ٢٠ . ٢١، ٢٩ . ٣٠.

عنه، لكنهم لا يبشرّون به، إذ هم بسلوكهم المعتاد يثبتون أنهم أعداء لصليبه... فإن كنت تبشِّر بالمسيح، فلن تخاف من أي أمر. فإن شخصه وعمله أغنياء بالكمال. كل الصفات الإلهية كائنة فيه. كل العلامات ترمز إليه. والنبوات ايضاً تشير إلى شخصه. كل حقٍّ يحمل مؤشِّراً ما منه. فالناموس والشريعة نفسها يجب أن تُشرح بالكيفية التي تقود إليه.[١]

بطولة فولر في الحقّ

عرَّف المؤلف الويلزي ديفيد فيليب فولر، بأنه لاهوتي معمداني عظيم في أيامه (القرن الثامن عشر)، حيث وبكل محبة وصفه بأنه مثل فيل كاترينج.[٢] في الواقع كان فولر، بطلاً قديراً للحق. فخلال حياته، حارب بأمانة ضد الهرطقة.[٣] وبإسلوب جريء ومهذَّب نستطيع أن نشعر بعاطفته للحق من خلال عظته "طبيعة الإنجيل وإسلوب وعظه". حيث أعلن فولر:

إن الذي يخاف أو يخجل من وعظ كل الإنجيل في كل معانيه واتجاهاته، فليتنحّى جانباً: فهو غير مستحق أن يكون جندياً ليسوع المسيح. فإن نطقت بالحق كاملاً وعُولمت كمهرطق. فلا تخضع لتذمّر الناس لان الحق بجانبك. قف ثابتاً ضد كل المعارضة.[٤]

صمِّمت الكثير من كتابات فولرمن أجل مواجهة الهرطقة في أيامه. في واحدة من أعظم إبداعاته، الإنجيل المستحق كل القبول (١٧٨٥)، أعلن الحقّ الكتابي الكامل بكل بطولة، بأنه لا يوجد تناقض بين الاختيار ومسؤولية الإنسان.

المثال الثاني من كتابات الجدل، نجده في بحث لفولر ضد السوسيانية في سلسة من خمسة عشر رسالة، حيث يكشف فولر بدعة وخراب عقائد السوسيانيين، والتي ترفض ألوهية المسيح وكفارته.[٥]

---

١ اندرو فولر– الأعمال الكاملة للقس أندرو فولر، المجلد ٥ (لندن: هولدزورث ١٨٣١) ٤ : ٤٨١.

٢ ديفيد فيليب – سيرة حياة القس كريسماس إيفانس (نيويورك ١٨٤٣) ٧٤.

٣ قد يكون المعنى مبتعدًا عن المعتقدات، لكن ليس متبايناً بما فيه الكفاية بحيث يتم تسميته بالهرطقة.

٤ الأعمال الكاملة لأندرو فولر ٣ : ٤٧٠.

٥ الأعمال الكاملة لاندرو فولر ٢ : ٢١١.

مساندة فولر للإرساليات

ظهرت عاطفة اندرو فولر نحو النفوس، من خلال إصراره على استحداث اجتماع شهري، للصلاة والتضرّع من أجل نهضة في تجديد الخطاة حول العالم. ومن رحم اجتماع الصلاة هذا، وُلدت الجمعية المعمدانية الإرسالية. حيث أصبح فولر سكرتيراً لها من عام ١٧٩٣ حتى وفاته في عام ١٨١٥. سعى أميناً لجمع الاموال لكي يدعم وليم كاري في الهند (١٧٦١ ١٨٣٤)، الذي كان أول مرسل للجمعية، وصديق حميم لاندرو فولر. استمر فولر في تطوير جمعية الإرسالية، فسافر باتساع في كل نواحي انجلترا، اسكتلندا وويلز، ومرةً إلى ايرلندا، طالبا جمع الدعم. فإن أردنا التكلم بشرياً، بدون أندرو فولر لما كان هناك وليم كاري.

في هذا السياق كتب توماس نتلس:

لم يكن أندرو فولر بطلاً لسبب خدمته للإرساليات حول العالم، بل لانه كان مدافعاً قوياً عن عقائد النعمة أيضا. كما كان من مؤسسي حركة الارساليات الأجنبية المعاصرة، والتي قامت على الاعتماد الكامل على الله القدير صاحب السلطان المطلق، بالتوازي مع التشديد على مسؤولية الإنسان الكاملة.[١]

روحانية فولر الشخصية

كافح اندرو فولر بإخلاص ليعيش حياة تقية. كان يملك إيماناً قوياً بأن الروحانية لها علاقة أكثر مما لمواهبنا الروحية في تحديد مكافآتنا الأبدية. ففي عظة له عن موضوع "العقيدة المسيحية والمكافآت" أعلن: "إن المكافأة كما وعد بها الإنجيل، لن تكون بحسب المواهب التي نمتلكها، أو حتى بحسب كيفية استخدامها، ولن تكون أيضاً وفق مستوى نجاحنا، لكن حسب أصالة إخلاصنا ".[٢]

---

١ توماس نيتلس – بنعمته ولمجده (جراند رابيدس: بيكر بوك هاوس ١٩٨٦) ١٢٩.
٢ الأعمال الكاملة لاندرو فولر ٤ : ٩١.

لكي نفهم صراعات فولر الداخلية، في سعيه لعيش حياة التقوى، لابد أن ننتقل إلى تعليقاته الواردة في مذكراته الخاصة بعمله الكرازي، كما دوّنها في عام ١٧٨٠، حيث أعرب عن شوقه بأن يخدم الله: "اشتاق إلى الصلاة ليلاً لأكون أكثر نفعاً، لكيما يعمل الله القليل بواسطتي! فثقتي لا تكمن في طموحي هذا، بل بتلك الرغبة الخالصة، لخدمة الله ولفائدة الخطاة رفاقي".[١] أما بالنسبة للصراع مع روحانيته الشخصية والربط بينها وبين نجاح خدمته، كتب فولر في ٤ شباط ١٧٨١:" أشعر ببعض المتعة في الوعظ... ولكنني أخشى من أن تكون خدمتي قليلة الفائدة. فما أخشاه حقًا، هو ذلك الثقل المميت للذهن الجسديِّ، والذي عادة ما يكون عقبة قوية في سبيل هذه الفائدة."[٢] لقد كان فولر واعياً لجاذبية ورهبة الوعظ، وكيفية تأثير ذلك على كيانه. ففي هذا السياق صرَّح:

٥ شباط ١٧٨١، يبدو المنبر لي كأنه مكان مرعب! فهو يشكل فرصة لمخاطبة مجموعة من الخالدين، عن موضوع اهتماماتهم الأبدية، آه... يا لها من أهمية! ها نحن نبشِّر بالأبدية. فمن جهة نحن موضوعون لقيام وسقوط الكثيرين في إسرائيل. ومن جهة أخرى موضوعين لسقوطنا وقيامنا على قدم المساواة.[٣]

عائلة فولر

كان فولر معتاداً على التجارب الشخصية. فقد تزوج سارة جاردنر (١٧٥٦–١٧٩٢) في ٢٣ كانون الأول من عام ١٧٧٦. فرزقهم الله بأحد عشر طفلاً، سبعة منهم ماتوا في سن الطفولة. كما ماتت سارة بعد ستة عشر عاماً من الزواج، فتزوج فولر بعد ذلك بنحو عامين. ولدت له زوجته الثانية آن كولز (١٧٦٣–١٨٢٥) ستة أطفال، ثلاثة منهم لقوا حتفهم في طفولتهم أيضا. فعند قراءة مذكراته، نجد أن اختباره لتعزيات الله في الأيام القاتمة والمظلمة، كان بمثابة تشجيع عظيم له. لم يهتزّ إيمان فولر أبداً، ولم ينبت الغضب في قلبه البتة، تجاه السماح الإلهي بهذه الظروف القاسية، حتى عندما بقي طوال الليل، يراقب ابنته الرضيعة ذات الأحد عشر شهراً، وهي في ساعاتها الاخيرة. في صباح اليوم التالي، وجدت زوجته قصيدة مكتوبة بيديه، حيث أعطى فيها المجد لإلهه.

---

١ ريلاند – عمل الإيمان ١٣١.
٢ ريلاند – عمل الإيمان ١٣٤.
٣ ريلاند – عمل الإيمان ١٣٤.

آه أيها الرب إلهنا، معيننا وفادينا
في الشدائد اسمع صلاتنا وأمانينا!
نسلِّم الوديعة المقدسة لك الآن
ليتها تجد فيك الملجأ، عند الموت والأمان
ففي حضنك تسكن إذ اقتلعت من هذا الزمان!
في يديك نستودع روحها يا حنَّان
على رجاء اللقاء الطويل، حيث لا افتراق مدى الزمان.[١]

عاش روبرت، الابن البكر لفولر حياة غير مستقرة، فأحزن قلب والده إذ انجرف نحو العديد من المهن الفاشلة، لكن ما شكل الحزن الأعمق لفولر، هو أن ابنه لم يعلن بوضوح إيمانه بالمسيح. ومع ذلك، لم تتناقص محبة فولر تجاهه أبداً. فكأب محبّ، تضرع إلى الله من أجل نفس ابنه يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام. لكن في آذار ١٨٠٩، مات هذا الشاب بعد صراع مع المرض.[٢] بعد ذلك بوقت وجيز، حصل فولر على تأكيد إلهي، من أن صلاته قد استجيبت، حيث سلَّم ابنه حياته للمسيح في آخر أيام حياته.

كتبت زوجته الثانية آن، تعليقاً عن شخصية زوجها: " لابد أن أشهد أنني منذ أن ارتبطت به، وأنا في سعادة دائمة، فهو من الشخصيات الأكثر مودّةً وحباً."[٣]

وفي سياق تعليقها على ساعات عمله الطويلة، كتبت آن: " إن طريقة حصولنا على الفرح، هي أن نبتهج بكل أعمالنا وإنجازاتنا، حينئذ نحظى بقدرٍ وافر من الفرح."[٤] لم يضيِّع فولر الوقت أو الطاقة في التفاهات. بل كان يسعد، في مناقشة قضايا المسيح اللاهوتية مع أصدقائه المقربين. فذات مرة علَّقت زوجته عليه،" كان لديه قلب قد تشكل خصيصاً للصداقة الدافئة والحميمة، مع هؤلاء الذين يملكون أذهاناً ملائمة لذهنه، ويرتبطون بأهداف متشابهة."[٥]

لقد تجلَّت بوضوح محبته لله، ليس فقط في أعماله الطويلة والمتعددة الأوجه، بل وحتى على فراش الموت.

---

١ ريلاند – عمل الإيمان٤٧٤.
٢ ريلاند – عمل الإيمان ٤٨٣.
٣ ريلاند – عمل الإيمان ٤٧٥.
٤ ريلاند – عمل الإيمان ٤٧٥.
٥ ريلاند – عمل الإيمان ٤٧٦.

أندرو فولر
(١٧٥٤ – ١٨١٥)

في صباح يوم الرب، ذلك اليوم الذي توفي فيه، في٧ أيار ١٨١٥، قال لابنته سارة: " أتمنى لو أنني أملك القوة الكافية،... فسألته ابنته : لتفعل ماذا ؟ فأجابها: لأعبد كطفل."[١]

تحدث في جنازة فولر، صديقه الحميم والأمين جون ريلاند (١٧٥٣ ١٨٢٥)، حيث لخّص محبة فولر وتكريسه لله. فقال:

لقد عمل الكثير لمجد الله، أكثر مما يمكن لكثير من الرجال الصالحين تحقيقه على مدى عشرين عاماً. فبينما أُعجِبَ الآخرون بحماسه ونشاطه، كان يلاحظ باستمرار قلبه، كما كان يُخضع نفسه للسؤال الالهي، لماذا فعلت هذا لأجلي أنا الخاطي؟ لم يشكّ أحد من معارفه بإخلاص ونقاء نيّته... فعلى الرغم من نزاهته الواعية (التي لم أرى في حياتي مثيلا لها، في أي رجل آخر من معارفي)، كان واعياً لنفسه من العيوب التي لا تُحصى، حيث ألقى بنفسه بين ذراعي المخلّص القديرة، ومات كما عاش طويلاً، باحثاً بعمق في نعمة ورحمة إلهنا يسوع المسيح للحياة الأبدية.[٢]

نجاح الخدمة يتطلب الروحانية الشخصية

كخادم معمداني محترم، حظي بتقدير واحترام واسع ومنقطع النظير. غالباً ما كان يُدعى فولر ليعظ في خدمات التنصيب. ففي هذا السياق وأكثر من أي مكان آخر، نلاحظ قناعة فولر الغير مزعزعة، بأن الخدمة الناجحة تجد جذورها في روحانية الخادم الشخصية.

من الجدير ذكره، تلك الوصية التي قدمها للقس روبرت فوكنر، خلال خدمة رسامته في ثورن بيدفورد شاير، في ٣١ تشرين الأول ١٧٨٧. اختار فولر (أعمال ١١: ٢٤): "لأَنَّهُ كَانَ رَجُلاً صَالِحًا وَمُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالإِيمَانِ. فَانْضَمَّ إِلَى الرَّبِّ جَمْعٌ غَفِيرٌ." حيث كان عنوان رسالته " مؤهلات الخادم الامين والمشجِّع في شخصية برنابا."[٣]

---

١ ريلاند – عمل الإيمان ٥٥٠.

٢ ريلاند – عمل الإيمان ٥٨١ ـ ٥٨٢.

٣ مؤهلات الخادم الامين والمشجع في شخصية برنابا – تكملة أعمال أندرو فولر ٤ : ٢٥ – ٣٩.

أظهرت رسالته تثقُّل قلبه بإعلان قناعته، بأن نجاح الخدمة مرتبط بشكل مباشر بالروحانية الشخصية. لذا، وإن كان للخادم رغبة صادقة، بنوال بركات الرب على أعماله، فعليه السعي بجدية للروحانية الشخصية، كما الاجتهاد في تنمية مواهبه الروحية. أكمل فولر شرح النص، حيث سعى لإثبات ذلك من حياة برنابا، وأمثلة كتابية أخرى، ومن تاريخ الكنيسة أيضا. فالمبدأ هو أن نجاح الخدمة مترابط ومتشابك مع روحانيات الخادم.

سوف ندرس عظة الرسامة مطوّلاً، لأن فيها عناصر محورية وجوهرية حول قناعات فولر.

أولاً، دعا فولر روبرت فوكنر للسعي نحو الصلاح الذي عاشه برنابا.

فكما أحبّ برنابا المسيح أحب كذلك شعبه. يبدو أنه امتلك الكثير من العطاء والمحبة، وعلى أساسها دُعيَ برنابا أي ابن التشجيع (ابن الوعظ)... فاذا وصفناه، سنجده شخصاً لامعاً في الروحانية، الوداعة والعطف أكثر من المعتاد، فنحن لا نجيد وصفه أكثر من التأكيد بأنه رجلٌ صالح. أخي، وبعد هذه الرفعة في الصلاح، آمل أن يكون هذا هو اهتمامك واهتمامي، بحيث نطمح إليه يومياً![1]

استمر فولر في حثِّ فوكنر، على زرع شخصية صالحة في كل وجه من أوجه حياته:

أخي العزيز، عزِّز شخصية الرجل الصالح في كل جزء من أجزاء عملك الخاص. وفوق الكل في تلك الأمور التي يحسبها العالم عظيمة وقيِّمة... عزِّزها في المنزل كما في العائلة... عزِّز هذه الشخصية في مواطن كيانك الخاصة. فانهض نفسك لقراءة كلمة الله وللصلاة... عزِّزها في ممارساتك العامة... عزِّزها في سلوكك العام.[2]

---

١ فولر – استكمال أعمال أندرو فولر ٤ : ٢٦ ـ ٢٧.

٢ فولر – استكمال أعمال أندرو فولر ٤ : ٢٩.

أكّد فولر، أنه بدون الروحانية التقية لن تنجح رسالة الإنجيل، حتى ولو كان الواعظ متفوّقاً في المواهب:

اسع للوداعة والتواضع، وللطبع الودود المسالم... كن رحوماً لطيفاً. فهذا يا أخي ما أوصى به الإنجيل الذي تُبشِّر به. بدونها، قد تعظ الإنجيل ببلاغة كالملاك، لكن توقّع بأن تكون النهاية الغير حسنة، هي الاجابة.[١]

في عالمنا المفتون بالعطايا والمواهب بدلاً من الروحانية الشخصية، لأندرو فولر الكثير ليقوله لجيلنا:

إن طوّرنا مواهبنا ولم نتعمّق بالنعمة، سيشكل هذا خطراً علينا وعلى من هم حولنا، كما سيكون هذا التطور بلا جدوى في نهاية الأمر. فإذا تقدمنا في المواهب، نصبح أكثر قابلية على إداء عملنا، وهذا الامر جدير بالثناء، لكن إن حُقّق هذا في سبيل الحصول على التصفيق، فسوف يأتي السقوط لا محالة. لقد دُمرت حياة مئات من الخدّام لسبب انغماسهم وتعطُّشهم للعظمة الشخصية، في حين أنهم أهملوا روحانيتهم الشخصية.[٢]

في النقطة الأخيرة من عظته، ختم فولر بشغف كبير، حيث عاد وردّد، بأن نجاح الخدمة مرهون بالروحانية الشخصية. فشرح عبارة "وجمع كثير انضم إلى الرب"، فأكّد أن نعمة الله انسكبت على برنابا، حيث أنها كانت مشروطة بروحانيته الشخصية. فصرَّح في هذا السياق:

تستحق العلاقة، بين ما لبرنابا من ملكات شخصية ورقي في النعمة والقداسة، اهتمامنا الجدي. فأعتقد أن هذه المزايا قد وُضعت كأساس، حيث أن كل من الإنجيل والتجربة الشخصية يؤكدان على الحقيقة بأن تفوق الروحانية في حياة الخادم، عادةً ما يُؤدي إلى التفوق في الفائدة والنفع... فغالباً ما يكون احتياجنا للفائدة مردّه لاحتياجنا إلى الروحانية أكثر من احتياجنا للمواهب.

---

١ فولر – استكمال أعمال أندرو فولر ٤ : ٢٩.

٢ فولر – استكمال أعمال أندرو فولر ٤ : ٣٠.

فكثيراً ما رفع الله أصحاب القدرات المتواضعة، عندما تفوَّقوا في حياة القداسة، في حين أنه وضع أصحاب المواهب المتفوِّقة، عندما فقدت من حياتهم هذه القيمة. فمئات من الخدَّام، ولاسباب تتعلق بمواهبهم، كانت حياتهم واعدة، بأن يصيروا شخصيات لامعة، لكنهم اثبتوا العكس: حيث أنهم احتضنوا في شخصياتهم أشياءً كالكبرياء وعدم اليقظة، الشهوانية والهزل.[١]

وقد استفاض فولر بشرح هذه الفكرة، من خلال ثلاث نقاط فرعية، أوردها في القسم الأخير من عظته:

يا أخي: أُسمُ في النعمة، فسوف تساهم في نجاحك بثلاث طرق:

١ السمو بالنعمة، سيُشعل نفسك بمحبة المسيح المقدسة وللنفوس. فعادةً ما يأتي النجاح من خلال هذه الروح، حيث أنك ستجدها في حياة الكثيرين من رجال الإيمان، الذين عمل الله من خلالهم أعمالاً عظيمة، وأكرمهم إذ جعلهم أدوات يستخدمها في تحقيق ذلك. ٢ السمّو بالنعمة سيقودك نحو تمجيد الله، ورعاية نفوس الناس، وعادةً ما يصحب هذا الامر بركة. ٣ السمّو بالنعمة، سيُمكِّنك من الانتشار والازدهار في خدمتك، من دون الارتفاع معها.[٢]

كما أكدَّ فولر على علاقة الروحانية بنجاح الخدمة، نقلاً عن حياة عدد من شخصيات الكتاب المقدس: كهارون وعزرا ونحميا. وقد أنهى هذه النقطة بدراسة استقصائية موجزة عن تاريخ الكنيسة:

يعوزني الوقت للحديث عن كل النفوس العظيمة الملتهبة منها والخامدة. والذين قد سرَّ ملك الملوك أن يُكرمهم، مثل بولس وبطرس وحتى كل من سار على خطاهم، من ويكليف (جون ويكليف) ولوثر وكالفين وكثيرين غيرهم من المصلحين، كجون ايليوت، وإدوارد، وبرينرد، وويتفيلد ومئات من الأسماء التي تحظى بالاحترام في كنيسة الله.

---

١ فولر – الأعمال الكاملة لأندرو فولر ٤ : ٣٦ ـ ٣٧.

٢ فولر – الأعمال الكاملة لأندرو فولر ٤ : ٣٧ ـ ٣٨.

هؤلاء هم رجال الله، الذين نالوا نعمة عظيمة، كما نالوا المواهب أيضاً، فالتهبت قلوبهم بمحبة الله والناس. حيث تطلَّعوا لسامعيهم كما تطلَّع إليهم سيدهم في أورشليم، وبكوا عليهم. فقد قدموا رسالتهم بهذه الكيفية حيث أن " الكثير من الناس كانوا ينضمون إلى الرب."[١]

إنّ تدنّي مستوى الروحانية وفقاً لفولر يشكل عائقاً للبركات الإلهية، فسوف يُساء استخدام النِعم الإلهية، بسبب الكبرياء المنتفخ والطموح الأناني. ففي هذا السياق يحذر بشدّة، فيقول: " إذا سعينا بشكل نهائي نحو الانفصال عن حاجات الناس والتركيز على ذواتنا، فإننا بذلك نسير بعكس الإرادة الإلهية. فلنتوقع إذاً، بأن يسير الله عكسنا."[٢]

اقتنع فولر، بأن الله قد يحجب بركته عنّا، إن فقدنا شروط النعمة التي تحمل هذه البركة. صرَّح فولر ضمن هذا الإطار فقال، " كثيراً ما أخاف من الواقع، حيث أننا غالباً ما نحصد نجاحاً منقوصاً، ومتدنياً مقارنةً مع الكمّ الهائل من أعمال الخدمة. فربما لاننا لن نكون في أمان إن حصلنا على الكثير من الله، أو ربما لا نمتلك نعمة كافية، تخوّلنا احتضان هذا الازدهار."[٣]

تدنّي الروحانية يقود إلى فشل الخدمة

كما رأينا، أكَّد فولر ارتباط الروحانية بنجاح الخدمة، والعكس أيضاً صحيح إذ أن تدني الروحانية يؤدّي إلى فشل الخدمة. وقد برز هذا في عظة لفولر تحت عنوان، "طبيعة الإنجيل وأساليب كرازته."[٤] حيث حثَّ فولر الخدَّام رفاقه على عيش حياة التقوى، وإلا فلن يستطيعوا الكرازة بالإنجيل عن حق. فقال:

آه ! إن كان علينا وعظ الإنجيل كما ينبغي، فما هو المطلوب لتحقيق هذا ؟ يجب عليك يا أخي أن تكون جنباً إلى جنب مع الله، ضَّد العالم الفاجر... يجب أن تكون مخلصاً.[٥]

---

١ فولر – الأعمال الكاملة لاندرو فولر ٤ : ٣٧ ـ ٣٨.
٢ فولر– الأعمال الكاملة لاندرو فولر ٤ : ٣٨.
٣ فولر– الأعمال الكاملة لاندرو فولر ٤ : ٣٨.
٤ طبيعة الإنجيل واساليب الكرازة به، فولر – الاعمال الكاملة لاندرو فولر ٤ : ٤٦٩ ـ ٤٧٢.
٥ فولر – الأعمال الكاملة لاندرو فولر ٤ : ٤٧٠.

انتقل فولر إلى شرح هذه الحاجة. حيث أشار إلى أن نتائج تدنّي الروحانية، لن تظهر فقط في فشل الخدمة ولكن ستتعدَّاها الى عواقب أكثر خطورة فحذّر من تدنّي الروحانية والصدق، حيث صرَّح:

انظر بتمعّن إلى الأمثلة المعروضة أمامك لإنذارك. غرق البعض في التراخي والتساهل مع النفس، من خلال التسكّع والنميمة من منزل إلى منزل، بدلاً من الوعظ والتشجيع، فكان هذا السلوك سببا لنهايتهم. إذ أنهم ارتفعوا بالكبرياء، وأهانوا الكهنوت فوصلوا إلى نهاية الطريق. كما أن البعض الآخر عبث بالحق، لكن الله حفظهم برحمته من الوصول إلى الخطأ المدمِّر. آخرون سقطوا في الجدالات السياسية، حيث التهمت كل ما لديهم من تديُّن، وفيما هدفوا إلى حكم العالم، فقدوا حكم أنفسهم، ورعوا خصوصياتهم... أيها الأخ، كن أميناً الى النهاية، فحينئذ سوف تكلَّل. وإن لا، فلعنة الله الأبدية في انتظارك![1]

الخاتمة

في قراءة متأنية لحياة أندرو فولر، مع التمعّن بعظاته، مذكراته ورسائله، لا يسع المرء إلا أن يشكر الله على هذه العطايا "فيل كيترينج". فإن أندرو فولر عملاق روحي بحق، حيث أنه غيَّر حياة الكثيرين من خلال عظاته، كما نشَّط الحركات الكرازية من خلال كتاباته، وهو الذي دعم العالم، من خلال دعمه المستمر لأنشطة الارساليات. علاوة على ذلك، نتعلم من أندرو فولر أن نجاح الخدمة، يجد جذوره في الروحانية الشخصية. كما أن العكس هو الصحيح، حيث أن فشل الخدمة يعود حتماً لتدنّي مستوى الروحانية.

لقد شكَّل أندرو فولر مثالاً متعدد الأوجه: كقس، أحبَّ واهتمَّ برعيته بكل إخلاص. وكواعظ، فسَّر فولر وشرح المسيحية. وكلاهوتي، تميَّز بكونه أرثوذكسياً بصيراً، حارّاً وعمليّاً. أما في كونه كاتباً، فقد كان كتابيّاً ومفسراً، ذا نظرة ثاقبة. وأخيراً وليس آخراً، كصاحب رؤية إرسالية، فقليلون هم الذين تساووا مع غيرته ومحبته، حيث كان الصديق الحقيقي، والداعم بشدَّة لوليام كاري.

---

١ فولر– الأعمال الكاملة لأندرو فولر ٤ : ٤٧٢.

٧

تأثير فولر على حياة وخدمة سبيرجن

إعجاب سبيرجن بأندرو فولر

كان سبيرجن معجباً طوال حياته بأندرو فولر، وقد صنَّفه "كاللاهوتي الأعظم"[١] في عصره.

تأثير فولر على فهم سبيرجن اللاهوتي

عكف سبيرجن الشاب على قراءة كتابات فولر لتساعده على تشكيل فهمه الروحي وفكره اللاهوتي. فعلى سبيل المثال اطَّلع سبيرجن على كتابات فولر لتساعده على تجنب المخاطر الخفيّة لبدعة رفض الناموس الأخلاقي، حيث أعلن في يومياته بتاريخ ١٧ نيسان ١٨٥٠ مباشرة قبل عيد ميلاده السادس عشر: "إنني أتصفَّح بعض من ما كتب فولر حول بدعة رفض الناموس الأخلاقي. يا إلهي، يا لها من دوامة مخيفة تحيط بي! أستطيع أن أقول إنني أكره هذا البدعة... [أي بدعة رفض الناموس الأخلاقي]."[٢]

---

١ أندرو فولر: القس واللاهوتي – روب هولدر (لندن: كاري للنشر ١٩٤٢) ١٢٧.

٢ السنوات الباكرة ١٢٨– ضد الناموس، مذهب يدعو لعدم أهمية طاعة أو حتى وعظ الناموس الأخلاقي.

في سنوات نشأته، اتجه سبيرجن لكتابات فولر التي كانت سبباً للتشجيع الشخصي، بينما تصارع مع أولئك الذين سخروا من معمودية المؤمن البالغ. لقد اختبر سبيرجن ارتياحاً كبيراً جراء اتِّخاذه لشخصية فولر كمثال لحياته، فكتب: " كنت أشعر كأنني لا شيء عند قراءتي عن حياة أندرو فولر الصالحة، فبعد معموديته سخر منه بعض من شباب القرية من خلال سؤاله بهزءٍ عن كيفية قبوله الانحدار إلى هذا المستوى المتدنّي... فعندها لاحظت أن هذه السخرية تعود إلى مئات السنين وهي نفسها تتكرّر اليوم."[١]

لم يخفت احترام سبيرجن وإعجابه العميق لفولر أبداً. فبعد سبعة وعشرين عاماً اقتبس سبيرجن في تعليقاته وتفاسيره اثنين من تفاسير فولر الكتابية، حيث أوصى بها بحرارة لقرّائه. كما نجد ثقته الكبيرة والواضحة جداً لتفسير فولر الخاص بسفر الرؤيا الصعب. وفي هذا السياق كتب: "كان فولر حكيماً للغاية في كتابته للاستنتاجات التفسيرية الخاصة بسفر الرؤيا."[٢] وفي تعليقه على شرح فولر لسفر التكوين لم يعرف إعجاب سبيرجن حدود وهذا بعض مما كتبه عن هذا الأمر: "إنه صاحب حكمة عميقة، ومليء بحق الإنجيل، فواحدة من أفضل مقالاته موجودة في تفسيره لسفر التكوين."[٣]

الإرث المعمداني الكالفيني

ساعد الإرث المعمداني الكالفيني في صقل روحانية سبيرجن الشخصية وفكره اللاهوتي. فتكريس أندرو فولر ولاهوته الكالفيني تعود بجذورها إلى جون بنيان وجون جيل. شارك فولر بوضوح في إحدى رسائله لصديق حميم، كيف أنه نال مساعدة عظيمة ونفاذ بصيرة من خلال تأثُّره بجيل وبنيان. فذكر في هذا الإطار: "من أولى التفاسير والكتابات الروحية التي عرفتها كانت لبنيان وجيل وجون براين، حيث قرأت المقالة الرائعة لجيل عن اللاهوت المتجسِّد، فحصلت على إرشاد مبارك من خلالها، وهي جديرة بالذكر."[٤]

---

١ السنوات الباكرة – ١٤٧.
٢ السنوات الباكرة – ١٩٩.
٣ السنوات الباكرة – ١١٧.
٤ ريلا ند – عمل الإيمان ٥٨ . ٥٩.

فولر وسبيرجن وعقائد النعمة

من المثير ذكره، أن فولر وبسبب تربيته الكالفينة المتشددة تصارع مع فكر الاختيار ومجانية الإنجيل. حيث أنه دقّق وساءل لاهوت بنيان وآخرين من الحقبة الطهورية في القرن السابع عشر، إذ أنهم اعتنقوا عقائد النعمة والاختيار، وفي نفس الوقت بشّروا بالإنجيل للجميع بكل حرّية وحماس. دوَّن سبيرجن صراعاته الشخصية هذه مقتبساً من اختبارات بنيان وآخرين من الكُتَّاب الطهوريين: " لقد شهدوا جميعاً مثلما شهد بنيان إذ دعا الخطاة بأن يأتوا بحرية إلى المسيح لكي يخلصوا، وفي الوقت عينه تمسّكوا بعقيدة الاختيار، وهذا ما لم يكن بالسهل فهمه."[١] لقد كان فولر مطَّلعاً وبعمق على كتاب سياحة المسيحي وكتابات أخرى لبنيان، فاقتبس بحرية من هذه الكتابات لكي يدحض اللاهوت التأملي العقيم.[٢] كما كتب أيضاً حول بعض من التعليقات والقضايا اللاهوتية المتعلقة بجيل.[٣] فمن الواضح أن فولر تعمَّق وباجتهاد في كتابات بنيان وجيل.

في كتابه الإنجيل المستحق كل القبول، أوضح فولر وبكل حسم وبطولة بأنه لا يوجد تناقض في الحق الكتابي بين الاختيار ومسؤولية الإنسان الفردية. فكان ذلك الشخص الذي بإصرار وجرأة ومن دون أي خجل نشر إنجيل المسيح للكل. فهذه المعركة كانت في سبيل تأييد كل من سلطان الله ومسؤولية الإنسان، والتي أثارت غضباً واسعاً في الوسط المعمداني، ليس فقط في أيام فولر بل وفي أيام سبيرجن أيضاً. كفولر، واصل سبيرجن المواجهة في الخطوط الأمامية مع الكالفينية المتشددة (خصوصاً وسط المعمدانيين المتشددين) من جانب ومن جانب آخر مع داعمي الفكر الأرميني (المعمدانيين العامين) والذين كلٍ بدوره استهدفوا سبيرجن بخبث. كان لسبيرجن الكثير ليتعلمه من خلال التمثّل بحياة فولر ليواصل كفاحه في سبيل إعلان لاهوت كتابي متوازن.

---

١ ريلاند – عمل الإيمان ٥٩.
٢ ريلاند – عمل الإيمان ٥٥.
٣ ريلاند – عمل الإيمان ٨ و٤٢ و ٥٥.

الخاتمة

إذا سأل شخص ما سبيرجن عن اللاهوتي الأكثر تأثيراً على حياته وخدمته وكتاباته. لربما استدار مع ابتسامة تعلو وجهه وأجاب: "جون جيل اللاهوتي الذي وسَّع عقلي، أندرو فولر خادم عزَّز خدمتي، لكن جون بنيان ذلك السمكري من بيدفورد لقد شجَّع حياتي ونفسي."

٨

نصائح سبيرجن لطلابه فيما يتعلق بالروحانية الشخصية

مقدمة

اعتبر شارلز سبيرجن أن الروحانية الشخصية أولويّة حيوية للخدَّام ولطلاب اللاهوت. مثل بنيان وفولر وجيل من قبله، اقتنع سبيرجن أن نجاح الخدمة يجد جذوره في الروحانية الشخصية.

لكي نوضّح الارتباط بين الروحانية الشخصية ونجاح الخدمة، سنركِّز في هذا الفصل على المقالات والمحاضرات التي قدمها سبيرجن في كلية الرعاة، والتي تأسست في عام ١٨٥٦ عندما كان سبيرجن في الواحد والعشرين من عمره. المصادر الرئيسية لهذا القسم تحتوي على: حول الخدمة وهي عبارة عن مجموعة من اثنتي عشرة مقالة سنوية[١]، أضف إلى محاضرات لطلابي، وهي عبارة عن محاضرات من واقع الحياة قدّمها سبيرجن في كلية الرعاة، ومقال سبيرجن الأخير الذي ربما يكون أفضل ما قد كتبه، حيث ألقاه بكلية الرعاة في نيسان ١٨٩١، تحت عنوان أعظم حرب في العالم، وقد نشر بعد موته.

---

١ تم تقديمهم في عام ١٨٧٢، ١٨٧٤، ١٨٧٥، ١٨٧٧، ١٨٨٠، ١٨٨١، ١٨٨٢، ١٨٨٦، ١٨٨٧، ١٨٨٨، ١٨٨٩، و١٨٩٠.

كلية الرعاة

انطلقت كلية الرعاة بطالب واحد وهو توماس ميدهارست (١٨٣٤ . ١٩١٧)، حيث وضعه سبيرجن تحت رعاية ووصاية جورج روجرز (توفي عام ١٨٩١) وهو خادم مجمعي. تزايد عدد الطلاب بسرعة فعيّن روجرز رئيساً للكلية. في عام١٨٦١ انتقلت الفصول الدراسية إلى المبنى الجديد في خيمة المتروبوليتن الواقعة في إليفنت اند كاسل جنوب لندن. لكن في عام ١٨٧٤ وفي سبيل مواكبة الأعداد المتزايدة للطلبة، انتقلت الفصول الدراسية مرة أخرى إلى الملحق الواقع خلف خيمة المتروبولين في شارع تمبل ستريت، حيث أقام الطلبة في منزل واسع وخاص. قبل أن يتحوَّل مقر كلية الرعاة الى مجمَّع لمدارس الفتيات، تم نقله عام ١٩٢٣ إلى فكلاند بارك، جنوب نورس وود على بُعد نصف ميل من مكان إقامة سبيرجن في وست وود.[١]

اختارت كلية الرعاة الخدَّام الذين أثبتوا نجاحاً في الخدمة المنبرية لأكثر من عامين كحد أدنى. لقد أعلنت الكلية وبكل وضوح بأنها لا تصنع المبشرين لكنها تشحذ مهارات الطلاب وتثري تعليمهم، فاستمر سبيرجن طوال حياته في التركيز على الهدف المعلن وهو تدريب المبشرين بإنجيل المسيح، حيث صرَّح وبشكل قاطع: "إذا تعلَّم الطالب الآلاف من الحقائق الروحية وفشل في التبشير بالانجيل، فإن البرنامج التعليمي لكلّيته سوف يفقد علّة وجوده".[٢]

لقد اعتبر سبيرجن بأن تدريب المبشرين بالإنجيل أولوية مطلقة، كما نظر إليها كمهمّة مجيدة وعظيمة. ففي هذا السياق صرَّح سبيرجن:

لا يوجد مهنة في العالم يمكنها تحقيق فائدة أعظم للبشرية أكثر من مهنة تدريب هؤلاء الخدَّام الذين اختارهم الله، فمن خلالهم تتبع الكنائس والمدارس وكل الهيئات الدينية والخيرية. فكما أوصانا الله بأن نصلّي من أجل فعلة للحصاد، فهل نحن على استعداد بأن نبرهن صلواتنا بأعمالنا؟.[٣]

خلافاً للآراء المنتشرة والتي تشير إلى أن المنبر كان أولوية في حياة سبيرجن، كانت جهوده منصبّة على الاهتمام بكلية الرعاة كأولوية في تفكيره. ففي تعليق

---

١ جودي باولز – للأمام في الإيمان: كلية سبيرجن جنوب نوروود (مطابع سيمنس) ١ . ٩.
٢ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤.
٣ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤.

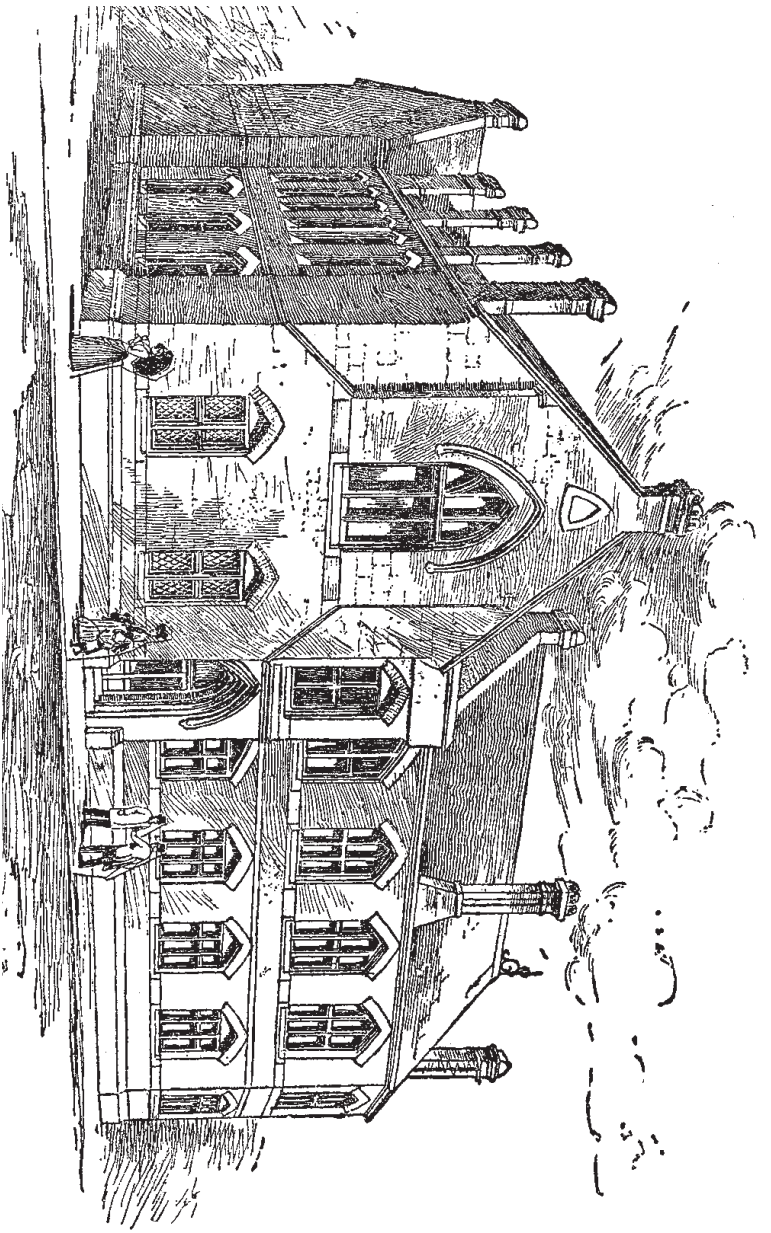

كلية الرعاة

على اهتمامه بالكلية صرَّح سبيرجن: "هي عمل حياتي وسروري. سرور أعظم من ذاك الذي يشعرني به نجاح الخدمة." لقد اتفق مؤرّخو السير الذاتية مثل أيان موري، والذي تعمَّق في دهاليز الزمن المطلُّة على تاريخ حياة سبيرجن، بأن كلية الرعاة هي أعظم إسهام قام به سبيرجن في تاريخ المسيحية.[١]

التأكيد على الروحانية

كان سبيرجن يقظاً في عملية اختيار طلبة كلية الرعاة. وقد أكّد على الحاجة إلى الروحانية الشخصية كمطلب أساسي لقبول الطالب. ففي اللائحة المفصَّلة الخاصة بمعايير اختيار الطالب، أكّد سبيرجن على الروحانية حيث كتب: "هؤلاء هم المرحَّب بهم في كلية الرعاة. رجالاً روحيين، غيورين، ممتلئين من الروح القدس."[٢] فبالإضافة إلى الروحانية الشخصية كانت الموهبة الروحية الظاهرة أمراً مطلوباً: "على الطلبة بأن لا يخافوا من الرفض أمام أعتاب كلِّيتنا بسبب فقرهم، إن هم امتلكوا ملكة الكلام والتي تشكل أساساً للواعظ."[٣] كما إن سبيرجن أكَّد بأن لا نية له في إنتاج العلماء، حيث كان هذا الامر رائجاً في ذلك الزمن، بل بالحري شحذ وتدريب المبشرين بالإنجيل. وفي إطار حديثه عن هذا الموضوع علَّق قائلاً:

تهدف الكلية إلى تدريب مبشرين لا لإنتاج العلماء. تطوير الدارسين لتمكينهم من الشهادة بفعالية، ولمساعدتهم على فهم كلمة الله وتعزيز روح الشجاعة والتكريس والثقة فيهم، فبالنسبة لنا هذه الأمور مهمة جداً، بحيث أنها تجعلنا نضع كل الأمور الأخرى في مرتبة ثانوية.[٤]

على عكس العديد من الكليات في أيام سبيرجن، والتي كانت تعلِّم وتروِّج لنظريات لاهوتية مختلفة. أكّد سبيرجن وبلا أي خجل: "أن كلِّية الرعاة تتبنى مفهوماً لاهوتياً واحداً وحيداً. فهي تُجاهر بعقائد النعمة.

---

١ ايان موراي – مقدمة في حياة سبيرجن، جولة حول جميع نواحي الخدمة١.
٢ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٣-٤.
٣ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤.
٤ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤.

وبالإيمان الأرثوذكسي القديم، وليس لديها أي تعاطف مع المستجدات اللاهوتية التي لا تعدّ ولا تحصى في وقتنا الحاضر، والتي لا تعدو كونها جديدة إلا بشكلها الخارجي، أما من حيث الجوهر فهي تكرار للأخطاء التي انتشرت منذ زمن بعيد. فموقفنا معروف جداً في المسائل العقائدية، حيث أننا لا نجعل من النعمة المجانية مهنة، كما أننا لم نختبر أي فشل في عدد النفوس الجادة التي تتتلمذ لدينا وتتبنى مقاييسنا، إيماناً منّا بأن في الحقّ وحده تكمن الحرية الحقيقة.[١]

الحثّ على الروحانية لنجاح الخدمة

تثبت المقتطفات التالية المأخوذة من أرجاء خدمة سبيرجن قناعته بأن الروحانية مرتبطة بنجاح الخدمة. ففي خطاب ألقاه في كلية الرعاة عام ١٨٧٤ تحت عنوان "إلى الأمام"، أكَّد سبيرجن أن نجاح الخدمة يرتبط ارتباطًا وثيقاً بصفات الخادم الأخلاقية، فحذَّر بجدية الخدَّام زملائه كما فعل بنيان وفولر وجيل قبله، كما نبَّههم أن العكس صحيح أيضاً، أي أن الفشل الأخلاقي يؤدي إلى فشل الخدمة:

إننا نرغب في النهوض والارتقاء إلى أعلى أنماط الخدمة، وقد نمتلك كل المؤهلات العقلية والخطابية لتحقيق ذلك كما ذكرت سابقاً، لكننا سنفشل حتماً إذا لم نحتضن في دواخلنا القيم الأخلاقية العالية. يوجد شرور يجب أن ننفضها عنَّا كما نفض بولس الأفعى السامة من يده، كما أنه هناك فضائل يجب اكتسابها وبأي ثمن.[٢]

استمر سبيرجن خلال خطابه في ذكر بعض من القصور الأخلاقي للخدّام: كانغماس وتملّق الذات، ضعف ضبط النفس والتحكّم بالانفعالات والنزعة إلى الطيش.[٣] وقد حذَّر سبيرجن أنه بدون الاستقامة لا يمكن للخادم أن يحقق إنجازاً: " لن يفعل الكثير لإلهه، ذاك الذي لا استقامة في روحه."[٤] فبالنسبة لسبيرجن، العلاقة الشخصية المتعمّقة في المسيح، هي العلاج الوحيد لهذا الفشل ولضمان نجاح الخدمة.

---

١ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤.
٢ سبيرجن – حول الخدمة ٤٥ . ٤٦.
٣ سبيرجن – حول الخدمة ٤٦.
٤ سبيرجن – حول الخدمة ٤٨.

وسط كل المكتسبات الروحية، نحن في أمسّ الحاجة لمعرفة شخصه وهذا يفوق حاجتنا إلى أي شيء آخر، لأنه هو العلاج الأكيد لجميع الأمراض التي تصيب الإنسان. اعرف يسوع، واجلس عند قدميه، تأمل بطبيعته وعمله وآلامه ومجده. ابتهج بمحضره، تحدَّث معه من يوم إلى يوم. أن تعرف المسيح هذا يعني بأنّك تعرّفت على أسمى ما في العلوم، فلا يمكن أن تفشل في أن تكون حكيما إن تحادثت مع منبع الحكمة، كما لا يمكن أن تفتقر للقوة إن كان لك شركة مستمرة مع الله. فاجعل هذا الأمر رغبتك الدائمة:

سأتحادث معك يا إلهي،
وإلى جوار كرسيك سآتي،
حيث أتركُ أفراحي وأخطائي،
حاسباً جوارك منزلي بل راحاتي.

اسكنوا في الله يا إخوتي، لا تذهبوا إليه من حين لآخر بل امكثوا فيه.[١]

أكدَّ سبيرجن بحماسٍ أن القداسة تحقق نجاح الخدمة، وليس الفكر أو الموهبة. إن سعينا نحو مشابهة المسيح في حياتنا سوف يضفي مسحة حتمية وعجيبة على خدمتنا، فبدون هذه المسحة الخدمة لا قيمة لها. بكلمة أخرى، يجب علينا الجهاد من أجل القداسة الشخصية ... يجب أن نمتلك القداسة. أيها الإخوة الأعزاء، إن وجد فينا نقص له علاقة بملكاتنا الذهنية (والذي لا أتمناه لأي واحد منكم)، أو إن كنا قد حصلنا على مقدار ضئيل من القدرة على الوعظ من خلال محاضراتي في الكلية (مع أنني على ثقة أنك لست كذلك)، فعلينا إذاً أن نعتمد فقط على الحياة المقدسة، والتي تحتضن في ذاتها قوة عجيبة حيث أنها ستعوِّض عن الكثير من هذه النواقص، كما ستشكِّل أفضل عظة لأفضل خادم يمكن أن يقدمها أكثر من أي وقت مضى. فدعونا نؤكِّد بأن كل طهارة قد نمتلكها، أوكل قداسة قد نحصل عليها، وحتى أي شبه للمسيح سيُشكَّل فينا في وسط هذا العالم الخاطىء، سيكون ممكناً فقط من خلال تأثير وعمل روح الله.

---

١ سبيرجن، جولة حول الخدمة ٤٨.

ليت الرب يرفعنا جميعاً في هذه الكلية، فيصل بنا إلى أعلى منصّة، حيث له وحده نعطي المجد![١]

في خطاب بعنوان "الفردية ونقيضها" أُلقي في عام ١٨٧٥ في كلية الرعاة، أكد سبيرجن مرة أخرى على الحاجة إلى التقوى في حياة الخادم:

يجب ألا تنمو التقوى الشخصية هزيلةً في حياتنا. فبرُّنا الشخصي من برّ المسيح، وتقديسنا الشخصي من سلطان سكنى الروح القدس، كما أن اتحادنا الحيوي هو في المسيح وكذا توقع المجد. فتقدُّمنا بالنعمة، أو حتى انحرافنا الشخصي، يجب أن نأخذه على محمل الجدّ وأن نضع أهمية نتائجه بالحسبان.[٢]

مرة أخرى وضمن خطاب تحت عنوان "انطلاقة جديدة" ألقاه عام ١٨٨٠، قدّم سبيرجن لجمهور الرعاة في الكلية شرحاً عن الأسلحة الروحية، والسعي للقداسة في سبيل مصارعة شرور الحاضر.

إن الشركة المقدسة السعيدة تساعدنا جميعاً للارتقاء إلى مستوى أعلى. فهذا المشهد كان محفِّزاً ومُبهِجاً في حياة الكثيرين من أسلافنا المؤمنين. فعندما أتذكَّر قداستهم وعمق الروحانية في حياتهم ومثابرتهم الصلبة، أشعر بإرتياح بالإيمان إذ أن الرب الذي قوَّى هؤلاء، لديه بركة محفوظة لنا أيضاً. لتكن هذه الوليمة القائمة في الخيمة اليوم (خيمة المتروبوليتن)، مناسبة لتجديد نذورنا وللتكريس للرب إلهنا.[٣]

حضَّ سبيرجن بلا هوادة الخدَّام وطلاب الكلية للبحث عن الحقِّ، القداسة والنعمة المسيحية. فكان بإمكان أيّ فرد أن يلاحظ هذه الدعوة وبوضوح في خطابه "الوكلاء" الذي ألقاه عام ١٨٨٧، حيث شرح فيه مخاطر التواطؤ مع الشر:

كن ليِّناً في الأمور الشخصية ولكن كن حازماً في أمور الحق والقداسة، فيجب أن نكون أمناء لئلا نتحمّل الدينونة والعقاب الإلهي. كن أميناً ومؤثّراً بغنى، كن ثابتاً ضد التردُّد والتقلُّب، لأن دماء الخراف سوف تُطلب من أيدينا. يا إخوتي، ستحتاجون للحكمة والنعمة والتي يمكنكم الحصول عليها، من أجل إتمام واجباتكم كرعاة.١٨

---

١ سبيرجن – جولة حول الخدمة ٥٣.
٢ سبيرجن – جولة حول الخدمة ٦٤.
٣ سبيرجن، جولة حول الخدمة ١٥٤.

في عام ١٨٨٨، كانت عملية مواجهة التعاليم الليبرالية في تأرجح تام. ففي سبيل رصّ الصفوف، قام سبيرجن بحثّ طلبة الكلية والرعاة على الصمود ومقاومة روح المساومة، ليس فقط على صعيد الحقّ لكن في الاستقامة الشخصية أيضاً:

ألا يوجد أشخاص مهمّون نسعى لكي نستشيرهم؟ ألا يوجد مقامات قد تبدو أكثر قيمة من الروحانية؟ هل هناك ما يكفي من الإخلاص الصريح للحقّ وللسيد المسيح في جميع الظروف والتجارب؟ أيها الإخوة، نريد أن نسمع النعمة تقول وبصوت عال: "يمكنني أن أكون فقيراً، وبأن يُسخر مني وحتى أن يُساء إليَّ، ولكن لا يمكنني أن أكون كاذباً لسيّدي." فأنا لا أشير نحو شخص ما، ولكنني أرى روح المساومة بين القداسة والخطية، وبين الحق والخطأ مسيطراً لأبعد الحدود. فروح المساومة ليست من روح الله، بل من روح العالم.[١]

في خطاب لسبيرجن ألقاه عام ١٨٨٩ تحت عنوان "سلطان الواعظ وشروط امتلاكه"، أعلن فيه عن قناعته بأن البركة والسلطان مرتبطتان بنجاح الخدمة، كما أنهما تنبعان من السلوك المسيحي الإلهي وليس من العطايا والمواهب الإلهية، حيث صرَّح في هذا السياق بالتالي:

أيها الأصدقاء الأعزاء وقبل كل شيء، إذا كنتم تبغون بركة الله، فاتّحدوا باستمرار معه ... إن سرنا باستمرار مع الله وتعاملنا معه معاملة الأطفال نحو أبٍ محب، فلا بدّ لروح التبني أن يحلَّ أبداً فينا، ولسوف تتدفَّق روح المحبة دائماً وبقوة من خلالنا، حينئذ سنعظ بسلطان وسيبارك الله خدمتنا، لذلك يجب علينا أن ندرك الفكر الإلهي وننطق به. ولا بدَّ لي أن أضيف هنا، أنه إذا أردنا أن نتمتّع بسلطان الله، يجب علينا أن نسلك بقداسة ومهابة في الحياة...

---

١ سبيرجن – جولة حول الخدمة ٢٧٧.

فيجب علينا أن نسعى لأعلى درجات القداسة، فالحياة الغير مقدسة! كيف يمكن لله أن يباركها؟[١]

هناك قناعة راسخة في عقل وقلب سبيرجن بأن الروحانية هي جوهرالقوة والبركة في الخدمة، فجاهر ونادى بهذه القناعة أمام الخدَّام رفاقه.

محاضرات لطلابي

أُخذت المقتطفات التالية من مادة "محاضرات لطلابي"، والتي قدَّمها سبيرجن للطلاب في كلية الرعاة. ففي أوَّل محاضرة له حول موضوع "الخادم وملاحظة النفس"، استند إلى الآية "لاحظ نفسك والتعليم" (١ تيموثاوس ٤ : ١٦)، أعلن سبيرجن لطلابه بأن الوكالات والخدمات تصبح عديمة الفائدة إذا تمَّ تجاهل الروحانية الشخصية، فصرَّح بكل جدية بالتالي:

سيكون بلا جدوى بالنسبة لي أن أخزن الكتب في مكتبتي أو أن أقوم بتنظيم المجتمعات وتخطيط المشاريع إن أهملت ثقافة نفسي. فبالنسبة لي، الكتب والوكالات والمنظومات هي مجرد أدوات تحرّكها دعوتي المقدسة، فروحي ونفسي وجسدي، هم أكثر الوسائل صلة بدعوتي المقدسة، فملكاتي الروحية وكيان حياتي الداخلي، هما فأس معركتي وأسلحة حربي.[٢]

استمر سبيرجن في التشديد على ضرورة روحانية الخادم، حيث نقل عن الواعظ الاسكتلندي المعروف روبرت موراي (١٨١٣-١٨٤٣):

كتب موراي إلى صديق له في الخدمة سافر بهدف تعلُّم اللغة الألمانية، وهذا بعض مما جاء في الرسالة: "إنني متيقّن من أنك ستتقن اللغة الألمانية بنجاح، لكن لا تنسى ثقافتك الشخصية وأعني بذلك ثقافة القلب. فتذكّر كيف يقوم ضابط سلاح الفرسان بحفظ سيفه نظيفاً وحاداً، فيزيل كل بقعة أو لطخة عنه وبكل عناية. فأنت سيف الله وأداته وإنني واثق من كونك إناءً مختاراً لتحمل اسمه. فبهذا المقياس العظيم وبحسب طهارة وكمال الوسيلة سيكون النجاح.

---

١ سبيرجن – جولة حول الخدمة ٣٥٠.

٢ سبيرجن – جولة حول الخدمة ١ : ٢.

فالله لا يبارك بناءً على المواهب العظيمة بل على أساس التشبُّه بيسوع. فالخادم المقدّس هو سلاح هائل بيدّ الله."[١]

أصرَّ سبيرجن على أن الحياة المقدسة هي كالمغناطيس حيث أنها تجذب الناس إلى المسيح، فعلى كل الخدَّام وبحسب سبيرجن أن يتوقوا لربح لنفوس، وأن يتفوّقوا في سعيهم إلى الروحانية، فهم رجال الله، وبالتالي رجال حسب قلبه، والملتمسون مجده وحده.

في محاضرة أخرى ركَّز سبيرجن على الروحانية في الصلاة. ففي عظة بعنوان "صلاة الواعظ الخاصة" شدَّد سبيرجن على ضرورة الحياة المُكرسة للصلاة. الصلاة بحسب سبيرجن، هي عنصر جوهري للواعظ الناجح والقوي، حيث أعلن في هذا السياق: " الصلاة ستساعدك في إلقاء عظتك، ففي الواقع، لا يوجد روعة أعظم من نزولك منتعشاً من جبل الشركة مع الله لتتحدث الى الناس."[٢] في المقابل العكس أيضاً صحيح، فالخادم الذي يهمل الروحانية في الصلاة سوف يفشل لا محالة، وهنا حذَّر سبيرجن طلاّبه:

إذا كنتم خدَّاماً غير مصلّين، فيجب الشفقة عليكم. فإذا دعيتم في المستقبل لكي تقوموا بخدمة رعوية كبيرة كانت أم صغيرة، وإذا تساهلتم في تكريس حياتكم الخاصة، فلن تحتاجوا فقط إلى الشفقة بل والشعب الذي تخدمونه أيضاً، وفوق هذه سوف تُلامون، وفي يوم الحساب الأخير سوف تخجلون وترتبكون.[٣]

ذكر سبيرجن ديفيد برينارد (١٧١٨ ـ ١٧٤٧) كمثال في روحانية الصلاة ونجاح الخدمة. حيث أكَّد سبيرجن: "هل يستطيع أحد ما أن يتساءل عن سرّ نجاح برينارد، في الوقت الذي تحتوي مذكراته على مثل هذه الملاحظات: يوم الرب ٢٥ نيسان، في هذا الصباح قضيت حوالي ساعتين في الواجبات المقدسة، حيث كنت جاداً أكثر من المعتاد في تشفُّعي من أجل النفوس الخالدة، فعلى الرغم من أن الوقت كان باكراً ولم تكن الشمس قد أشرقت بعد، لكن جسدي كان مبتلاً تماماً بالعرق المتصبب جرّاء حرارة المحضر الالهي."[٤]

---

١ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٢.
٢ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤٣.
٣ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤١.
٤ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤٥.

مرة أخرى، ذكر سبيرجن مارتن لوثر (١٤٨٣ . ١٥٤٦) ذلك الرجل الذي امتلك حياة مصلّية فكانت مفتاحاً وسبباً لنجاح خدمته، فسرّ قوة لوثر يكمن في نفس الاتجاه أي الحياة الموجّهة بالصلاة، فقد ولَّد سبيرجن في نفوس طلابه إعجابا بلوثر عندما أشار إلى أنّ شخصاً ما استرق السمع لصلاة حميمة صلاها لوثر في محضر الله، فشهد هذا الشخص وقال: لقد أنصت إليه فيما كان يصلّي، فيا إلهي، لقد كان يصلّي بالروح! وبوقار شديد تكلم مع إلهه بكل ثقة كأنه يتكلم مع صديقه بكل احترام." وبعد ذلك ختم سبيرجن: "أيها الإخوة، دعوني أطلب منكم أن تكونوا رجال صلاة. فهناك مواهب عظيمة قد لا تحصلوا عليها أبداً، ولكنكم سوف تجيدون الخدمة بدونها إن أكثرتم التشفُّع والصلاة."[١]

وفي محاضرة أخرى بعنوان "ارتباط الروح القدس مع خدمتنا" أشار سبيرجن إلى أن الخطية تُحزن الروح القدس وبالتالي تعوّق نجاح الخدمة: "لا يمكننا توقُّع نوال بركة روح الله على الخدمة، إن إمتلك الخادم شخصية فاسدة."[٢]

أعظم حرب في العالم

أعظم حرب في العالم: هذا هو البيان الختامي لآخر خطاب ألقاه سبيرجن في مؤتمر كلية الرعاة في نيسان ١٨٩١. كانت العظة بعنوان "حرب الايمان الرائعة" حيث استوحاها سبيرجن من (١ تيموثاوس ٦ : ١٢). لقد حضَّ زملائه الخدّام والطلاّب على أن يبذلوا قصارى جهدهم في خدمة ملكهم. فنُشرت هذه الخطبة بعد موت سبيرجن، حيث تعتبر وبدون أدنى شك أقوى عظة ألقاها في حياته، ففيها وبكل وضوح نرى قناعته الثابتة والتي لا تتزعزع بأن جذور القداسة تكمن في الإنجيل حيث إعلانها ونجاحها النهائي. وقد ذكر سبيرجن بجرأة أن: "أساسات القداسة تكمن في إنجيل ربّنا يسوع المسيح."[٣] كما أكد أن عقائد النعمة تُنتج الروحانية: "لقد رأينا الأخلاق الحميدة والاستقامة الصارمة والطهارة المدققة وأكثر من ذلك، القداسة التقية الناشئة عن عقيدة النعمة."[٤]

---

١ سبيرجن – محاضرات لطلابي ١ : ٤٥.
٢ سبيرجن – محاضرات لطلابي ٢ : ١٩.
٣ ش.هـ. سبيرجن– أعظم حرب في العالم: البيان الختامي لسبيرجن (ألباني: أيجيس سوفت وير ١٩٩٨) ٩ .
٤ سبيرجن – أعظم حرب في العالم ٩.

مثل بنيان، اقتنع سبيرجن أنّ على الخدَّام تنمية روحانية قوية من خلال دراسة كلمة الله بروح الصلاة. كما آمن بأن هذه التنمية ليست فقط نتيجة للتأمّل بل أيضاً ناتجة عن عمل النعمة المغيِّر. " الدراسة المصلية لكلمة الله ليست فقط وسيلة للتعلُّم لكنها عمل مُخلص بقوة النعمة المغيِّرة، حيث أنها تغيِّرنا إلى صورته المعكوسة في كلمته كالمرآة."[١] لقد أصرَّ سبيرجن على ضرورة دراسة كلمة الله بقلب مفتوح، حيث ذكر أمثلة من العمالقة الإنجيليين القدماء. فصرَّح بالتالي:

هل هناك شيء أعظم من كلمة الله، والتي عند فتح أسفارها تجد قلوباً مفتوحة أمامها؟ فعندما أقرأ عن حياة رجال مثل باكستر وبرينارد وماكين وآخرين كثر، أشعر كأنني شخص غسّل نفسه في جداول مياه باردة، عند رجوعه من رحلة الى بلد قذر، حيث امتلأ من الغبار والإحباط.[٢]

الحياة المغسولة بكلمة الله تتحوّل إلى شهادة حية. فقد أكّد سبيرجن مرة أخرى على أهميّة الكلمة في سبيل تنمية الروحانية، فعلَّق على الموضوع أمام طلاّبه قائلاً: "... كالرجال الذين جسّدوا الكتاب المقدس في حياتهم وأعلنوه في تجاربهم، فكان إغتسالهم بمياه الكلمة هو كل ما لديهم وبالتأكيد هو كل ما نحتاجه."[٣]

رأى سبيرجن أن كلمة الله لا تُشكِّل روحانية الخادم فحسب، لكنها تلعب دوراً هاماً في عبادة الكنيسة. وقد صرَّح سبيرجن في هذا الإطار فقال: " لكي تعيش الكنيسة بحسب الأهداف والأغراض الإلهية، علينا أن ندرّبها في منهج القداسة والصلاة."[٤] حقيقة الامر أن سبيرجن ساهم في نجاح الإنجيل بشكلٍ مباشر من خلال إحياء اجتماع الصلاة، وفي هذا السياق نجد أن نقص القوة في الخدمة يجد جذوره في نقص الصلاة الكنسية. فأطلق سبيرجن الإنذار عندما أعلن أن" الكنائس التي بدون اجتماعات صلاة هي كنائس يُرثى لها عموماً ...

---

١ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم ١٢.
٢ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم ١٢.
٣ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم١٢.
٤ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم ٢٨.

ففي كثير من الكنائس نجد أن اجتماع الصلاة أصبح مجرد هيكل للتجمُّع، فبقي شكل الهيكل الخارجي لكن الناس لم يحضروا.»[١] لقد حثَّ سبيرجن طلاّبه أن يُدرّبوا شعبهم على الصلاة بجدية: «آه يا إخوتي، درِّبوا الشعب على الاجتماع معاً وباستمرار من أجل الصلاة. شجِّعوهم على التوسُّل والتضرُّع المتواصل.» كما أعلن سبيرجن بشكل لا شكّ فيه فقال: «صدقوني، إن لم تصلّي الكنيسة فهي حتما ستموت، فبدلاً من وضع الصلاة في آخر سلم الاولويات، لابد من وضعها أولاً، فكل شيء في الكنيسة يتوقف على قوّة الصلاة.»[٢]

في طور سرده لخصائص الكنيسة الصحّية والنابضة، أكّد سبيرجن أن الاحتياج الجوهري لإثمار الكنيسة يكمن في الروحانية لا في الكمّ، فشدَّد مرة أخرى على الروحانية الشخصية فقال: «أيها الإخوة، نريد كنائس تُنتج قديسين، رجال أقوياء في الإيمان ومُصلِّين بلجاجة، رجال أصحاب حياة مقدّسة ومكرّسين للعطاء، رجال ممتلئين بالروح القدس.»[٣]

بحسب تفكير سبيرجن يجب أن تكون الروحانية الحقيقية أساساً لكل الكنائس، وقد صرَّح سبيرجن حول هذا الموضوع فقال: « أتمنى أن أرى في كل كنيسة مريم الجالسة عند قدميّ يسوع، ومرثا الخادمة ليسوع وبطرس ويوحنا، لكن الاسم المفضّل للكنيسة هو «كنيسة جميع القديسين». آه يا ليت كل المؤمنين يعيشون قديسين حقّاً».[٤]

مرة أخرى كرّر سبيرجن تأكيده لجمهوره على أن مفتاح نجاح الخدمة يكمن في الروحانية: « إذا أعان الله جماعة المؤمنين، بحيث يرتقي كل واحد منهم إلى ملء قامة الإنسان الكامل يسوع المسيح، فحينئذ سنرى أشياء أعظم من ذي قبل، فسوف تأتي أزمنة مجيدة في الوقت الذي يمتلك المؤمنون شخصيات مجيدة.»[٥]

إذا كانت القداسة أساساً للخدمة الناجحة فان العكس أيضاً صحيح، فالخطية تكمن أيضاً في جذور الخدمة الفاشلة. حيث يربط سبيرجن وبشكل مباشر بين الخدَّام النجسين وفشل الخدمة.

يجب علينا أن نكون أمثلة للرعية فى كل شيء. في الاجتهاد والرقّة، في التواضع والقداسة، يجب أن نتفوّق في كل شيء... فلا نتوقّع أن نرى كنائس

---

١ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم٢٨.
٢ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم ٢٩.
٣ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم ٢٩.
٤ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم ٢٩.
٥ سبيرجن – أعظم حرب فى العالم ٢٩.

مقدّسة إن كان المثال في الكنيسة غير مقدَّس.

فإن كانت حياة الإخوة مثالاً في التكريس والقداسة، فسينعكس هذا كمثال وشهادة للناس، فلا بدّ لبركة الله أن تأتي لا بل سوف تفيض أكثر جداً. أما إذا وُجدَ فينا قصور في القداسة، فلا داعي للبحث بعيداً عن سبب فشلنا وعدم نجاحنا.[١]

يؤكّد سبيرجن مرة أخرى على ضرورة القداسة في حياة الخادم:

تذكروا بأن الروح القدس لن يهادن الخطية، كما وأنه لن يبارك خدمة رجالها يحابون الخطية في سبل حياتهم. « فكونوا طاهرين لكي تكونوا أواني للرب». لتكن شخصياتكم متّفقة مع تعليمكم، واجعلوا كنائسكم مطهَّرة من الاثم، خشية أن يتبرأ الروح القدس من تعليمكم، لسبب المذاق المريض للحياة الغير مقدسة والتي لا تشرِّفه.[٢]

ختم سبيرجن خطابه الفعَّال بتشجيع الخدَّام أن يقودوا رعيتهم بقوة الروح القدس:

تقدموا إلى الأمام في شركة مقدسة مع الأخوة الاتقياء الذين تقودونهم، وشددوهم في الرب وبشدة قوته. وكرجال أحياء من الأموات سيروا قدماً بقوّة الروح القدس، وليبارككم الثالوث الاقدس وليمكث عليكم جميعاً، من أجل خاطر الرب يسوع المسيح! آمين.[٣]

سوف نختم هذا الجزء بقصيدة كتبها سبيرجن إلى الخدّام الشباب:

---

١ سبيرجن – اعظم حرب في العالم ٣٢.
٢ سبيرجن – اعظم حرب في العالم ٤١ .
٣ سبيرجن – اعظم حرب في العالم ٤٣.

إلى الخدّام الشباب

"خادم صالح ليسوع المسيح" (١ تيموثاوس ٤ : ٦)

الربُّ يسوعْ المسيح مع روحكم يكونْ،
حضورهُ يبهجكم، يعينكم ذاك الحنونْ،
فاخدموه بكل قوتكم إياكم وخدمةِ الدونْ،
التمسوا مجده واعتمدوا على حبِّ المنونْ.

عملكم قيادة الناس إلى الله يكونْ،
علّهم يعودوا حتّى بالفادي يلتقونْ،
إذ تعليمِ الخطيةِ والكفّارةِ يفهمونْ،
وكلامُ الحقِّ المخلصِ حالاً يتناولونْ.

لاحظوا الأشياء وانفسكم احفظوا من الجنونْ،
بركاتُ المخلصِ اعلنوا جهاراً فالعقباتُ تهونْ،
عَيشوّا الشهادة بالقلب والكلمة والعملِ يكونْ،
ورثتُ اللِه بالمسيحِ اليومَ غداً وأبداً نكونْ.

ليكن اهتمامكم معرفةُ المسيح له أنتم مديونونْ،
بقلبكَ وأحاسيسكَ اعرفهُ وبكلِّ الفنونْ،
واسعوا لإظهارِ حبّ ورحمة ذاك الحنونْ،
فيؤمنُ الناسُ به ومع ذلك أنتم له مديونونْ".[١]

١ ش.هـ.سبيرجن – إلى الخدّام الشباب، السيف والمنجل ١٨٧٩.

٩

الروحانية الشخصية لشارلز هادون سبيرجن

مقدمة

يركِّز هذا الفصل على الروحانية الشخصية لسبيرجن. حيث ندرس حياته الخاصّة من خلال عدد من النوافذ المطلَّة على كيانه الداخلي، فعلى سبيل المثال روحانيته في التكريس لله والتي تمّ دراستها من خلال تقديمه للمزامير والترانيم في كتاب ترانيمنا، وفي سياق متّصل يمكننا أن نسبر غَور "حياة سبيرجن الداخلية" من خلال صلواته المنبرية، والتي نشرت في كتاب صلوات ش.هـ. سبيرجن، حيث كشفت عن محبته وتكريسه لله. ففي دراسة لمنبر خيمة المتروبوليتان نجده مُشبَّع بتعبيرات محبة غيرعادية، وبتكريس عميق للمسيح وأفكار مشحونة بالروحانية. كما تمَّ دراسة علاقته الطاهرة بزوجته وعائلته، فتمّ اكتشاف هذا الجانب من حياته من خلال الاطلاع على رسائله وجانب من سيرته الذاتية، وأخيراً وليس آخراً تمَّ تقييم أعمال الرحمة التي قام بها سبيرجن على امتداد حياته.

الروحانية في علم الترانيم

لقد منحتنا ترانيم سبيرجن قيمة وبصيرة نافذة إلى روحانيته الشخصية وعبادته التى ليس لها حدود ومحبته المكرَّسة والمتواضعة لله. كان سبيرجن خاضعاً ومتمسكاً بالعبادة الكتابية بكل حماسة وسط شعبه في خيمة المتروبوليتن، فهذا ما

كان يجول في ذهنه حين نشر كتاباً بعنوان ترنيمتنا عام ١٨٦٦، حيث تمَّ جمع الترانيم بواسطة سبيرجن نفسه، إذ شكَّلت أكثر من ١٠٦٠ من المزامير والترانيم، والتي عكست الميراث الكالفيني الطهوري.

ساهم سبيرجن في تقديم خمسة عشر مزموراً كما كتب أربعة عشر ترنيمة.[١]

أظهر تحليل تقديم سبيرجن للمزامير عن تكريسه اللاهوتي العميق ومهابته الكبيرة لسيِّده العظيم والمجيد. فعلى سبيل المثال، عرض في المزمور ١٥ سمات الساجدين الحقيقيين في بيت الرب. حيث أعلن سبيرجن في تقديمه لهذا المزمور عن اشتياقه للعمل وفق إرادة إلهه العظيم القدوس. فاستخدم في صياغته اللغوية أحد عشر ضميراً في ستة أبيات شعرية، وبهذا جسَّد سبيرجن المزمور لكي يؤكد أن حياته الشخصيّة وحياة الآخرين قد تداخلت بالكامل مع فحوى هذا المزمور، كما ترجّى الله أن يجعله أكثر طاعةً لإرادته:

أيها الربُّ أودّ أن أسكنَ معكْ،
هناك حقاً على جبل قدسكْ،
آه، في كياني فِضّ بنعمتكْ،
حيثُ تشكّلني تماماً على شبهكْ.

كما نجد أيضاً التعبير عن السعي إلى الروحانية بوضوح:

آهِ، روِّض لساني للسلامْ،
نَغِّم قلبي لحبِ الأنامْ،
عن كل خزيٍ أبتعدُ والاثامْ،
مخلوقٌ بريءٌ مثلَ طيرِ اليمامْ.

رغمَ التدنّي لكنَ فخريَ عظيمْ،
لا يوجد بداخلي تملّقٌ أو أيٍّ ذميمْ،

---

١ سبيرجن – كتاب ترنيمتنا: مجموعة من المزامير والترانيم للعبادة العامة (طبعة ثانية، بيلجرام للطباعة ٢٠٠٢).

بفقري أُحسبُ ابنكَ لا بل الحميمْ،
لنبلاءِ قدسكَ ضمّيتني يا حليمْ.

أمينٌ، بل حليمٌ وعطوفْ،
رقيقٌ، صادقٌ أيضاً ومخوفْ،
هبني فِكركَ كاملاً مألوفْ،
أراهُ فيكَ إلهي أنتَ العطوفْ.

في ختام تقديم هذا المزمور نرى اشتياق سبيرجن الواضح للتشبُّه بالمسيح:
يا ربُّ ما كل هذه النِعَمْ،
بعملِ روحكَ هي من وسطِ العدمْ،
وبدمٍ يسوع الذي رُشَّ بلا ندمْ،
يخلقهم في داخلي كدفءِ الحِممْ.[١]

يبتهج سبيرجن في مزمور ٢١ عندما يشرح موضوع ملوكية المسيح. فيقدّم مجد الميسح أمام شعبه، حيث يمجِّد هذا الشخص المنتصر والمستحق كل عبادة وتسبيح. في هذا السياق كتب:
قوتكَ ربي سرورٌ أنتَ ملكنا،
تُعجبُ السماءُ بملكِكَ أنتَ رجاؤنا،
على رأسهِ إكليلٌ وعند رجليهِ أكاليلنا.

يختم سبيرجن قصيدته بفرح ورهبة، حيث يرى إلهه مرتفعاً وعالياً:
ليتكَ تعلوعاليًا يا ملكِ الملوكْ،
أُملكْ في الأعالي ملائكةٌ يعبدوكْ،
كنيستكَ تغنّي منتصرةْ أولادٌ يحبّوكْ،
تُعليّ جلالكَ مجداً دائماً يُعطوكْ.[٢]

---

١ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ٣ .
٢ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ٥ .

مرة أخرى وفي سياق تقديمه للمزمور ٨٢، عظّم سبيرجن الملك القدير.

ملوكُ الأرضِ يُميلُ بيديهْ،
منَ الأعالي يحكمُ بعدلِ ناظريهْ،
في مجالسهم يقفُ يتمشىّ برجليهْ،
وبعينيهِ الساهرةْ يحرسُ من لجأ إليهْ.[١]

يعلن سبيرجن أعجوبة خلاص المسيح لخطاة نظيره، فكتب في تقديمه للمزمور ٣٠:

من القبرِ دنوتُ مُساقاً بخطاياىْ،
قبرٌ يائسٌ أسودْ ملتمسًا خطفَ هُداىْ،
التفتُّ وإذ ما من منقذٍ يحفظُ خطاىْ،
حتى رفعتُ عينيَّ بصلاةٍ لإيل شدّاىْ.

في ثنايا تقديمه للمزمور، اعترف سبيرجن شاكراً المسيح، الذي وحده جنّبه أهوال الجحيم:

سريعاً مجيباً صياح صَرْخاتي،
منْ حافةِ الجحيمِ أحضرني مِن عذاباتي،
إذ رآني يسوعي مِن أعلى سماواتي،
سريعاً خلصني مُفرجاً عني ضيقاتي.[٢]

أدرك سبيرجن تماماً أن كل هذه يصنعها الله بالنعمة فقط، فالنعمة وحدها المخلّصة والحافظة. فسعيه الجاد للروحانية ولّد كراهية نحو الخطية، حيث أنه التمس يد الله الكابحة لها، وتتّضح هذه القناعة من صياغته لمقدمة المزمور ٥٨:

يا اللهُ، ديانٌ أنت لكلّ الأرضْ،
عدلكَ يُبهجُ قلبي طاهراً بطولهِ والعرضْ،
نفسي من هزءِ الخطاة قيَّد كي لا تُقرضْ،
نصيبٌ في موتهم ليس لي ولا غَرَضْ.[٣]

---

١ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ٢٢.
٢ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ٧.
٣ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ١٦.

على الرغم من التجارب الكثيرة، كان سبيرجن متيقّظاً ومدركاً أن الأمور كل الامور بيد الله. فاستناداً على مزمور ٣٩ صرَّح سبيرجن بفرح:

بعيدٌ أنا مرغماً عن أرضِّ المجدْ،
حاشا وألفُ كلاّ ليس عن ملكِ المجدْ،
قريبٌ إلهي منالهُ اطلبهُ تجِدْ،
أُغنّي في مسيري معه أينما وُجِدْ.[١]

في المزمور ٤٤ نسمع صرخة سبيرجن في وسط المعركة، كما لو أنه يعلن بأن قوّة الكنيسة وثقتها بالله وحده:

من نعمةِ القدّوسِ تنبعْ قوتهمْ،
لا قوسٌ ولا سيفٌ قادرُ يخلّصهمْ،
فاللُهُ وحدهُ إيلوهيمُ يهوه ملكهمْ،
راياتهمْ أبداً تلوحُ معلنةً نُصرتهمْ.[٢]

في المزمور ٦٠، نلمس عاطفة سبيرجن الروحية حيث يكتب منتصراً:

منكَ تُثبّتُ العزائمُ الشُجاعةْ،
خصومٌ تحتَ أقدامها بكلِ مناعةْ،
إيماننا يزيلُ بك تلالٌ بقوةٍ وبراعةْ،
كقشةٍ تتطايرُ جبالٌ بثقةٍ وقناعةْ.[٣]

نختم هذه اللمحة المختصرة لتقديم سبيرجن للمزامير بتقديمه لمزمور ١١. حيث نلاحظ روحانيته الحقيقية الصادقة، والمعبّرعنها في تعبّده بإخلاص لسيّده:

حمداً، مجداً وسبحاً لرب الأماناتْ،
قلبي بالكلّيةِ يُسبحكْ إله التعزياتْ،
وسطِ الجموعْ القائمةْ نرفعُ أسمى الهلّلوياتْ.

---

١ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ١٠.
٢ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ١١.
٣ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ١٦.

ليكُنْ تسبيحهُ متزايداً على الدوامْ،
ليتباركْ اسمكَ القدوسُ أبداً قائماً دامْ،
بثقةِ الأطفالِ نأتيكَ الكلُّ على ما يُرامْ،
نستريحُ على وعودهِ إلى يومِ القيامْ.[١]

الروحانية في الخدمة الرعوية

اعتقد سبيرجن بشدّة أن الروحانية يجب أن تظهر في كل مجالات الخدمة الرعوية. فمن الجدير ذكره أن عدد الترانيم التى صاغها سبيرجن ركّزت في فحواها على الواجبات الرعوية، حيث شجعت جموع المؤمنين في اجتماع الصلاة، كما أرشدت الكنيسة لاختيار أصحاب المناصب وممارسة خدمة المعمودية ومائدة الرب. لم يكن لاهوت سبيرجن تعليماً نظرياً، بل كان عاملاً على خطٍّ المواجهة محارباً في مناطق متعددة طوال حياته. لقد اعتمد سبيرجن وبشدّة على الروح القدس ليستمدّ منه القوّة والقدرة، ليعظ ويعلّم، ليصلّي ويعيش حياة مكرّسة، فليس عن طريق الصدفة أن ترنيمته الأولى كُرِّست لشخص وخدمة الروح القدس، حيث في ترنيمة الشكر والتعبّد ينسب سبيرجن الكرامة والمجد له. تعبِّر المصطلحات التي اختارها عن هذا التعبُّد الموجَّه وهنا نورد بعض منها: البهاء، السيادة، السكنى، الراحة، التعزية، المحبوب، المُطاع، القوّة، الحياة والرجاء المبارك.

يبدو أن هذه الترنيمة قد كتبت لاجتماع الصلاة، حيث أن موضوعها يتمحور حول حضور روح الله:

هنا في وسطنا شخصُ روحٍ قدّوسْ،
حيثُ صلاة القديسين تشفعُ بالنفوسْ،
بعيدٌ هو لكن وسطَ شعبه ملموسْ،
منا بالصلاة يقتربُ فيهربُ العبوسْ،
بهيٌ حضورهُ ثمينٌ أثمنُ منَ الفلوسْ،

يسكنُ في نفوسنا حالٌّ أكيدْ،
مرحبٌّ به ضيفٌ دائمٌ مجيدْ،

---

١ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ٣١ ـ ٣٢.

بالتمامِ يملكُ يسيطرُ هو الوحيدْ،
في القلب والعاطفةِ ملكهُ دوماً يزيدْ.

قدسٌ أجسادنا لهُ أبداً تكونْ،
هوَ الربُّ الساكنُ لهُ أنا مديونْ،
بهتافٍ لك إلهنا المعزّي الحنونْ،
للأبدِ نعبدكَ بعد عبورنا المنونْ.

مطيعينَ لا إراداتنا بل إرادتكْ،
ننتظرُ لمسةً ملؤها قوتكْ،
متمماً رجاؤنا ربَّ الحياةِ عطيتكْ،
ساعةٌ مقدسةٌ باركها في محضركْ.[١]

مثالٌ آخر من خدمة تنصيب القادة الخدَّام. حيث كتب سبيرجن ترنيمتين لإرشاد الجموع الراغبين بالتقرُّب إلى الله طالبين الحكمة والإرشاد في اختيارهم للقادة.[٢]تضرّعت الترنيمة الأولى إلى الله ملتمسة البركة لاجل الخدَّام. أما الترنيمة الثانية فتوسّلت الإرشاد من الله أثناء اختيار القادة الخدَّام من وسط الجماعة، فتقوى وغيرة سبيرجن دفعته ليقيم على الخدمة رجال الله، وليس مجرد أشخاص مفوَّهين، لكن رجالاً بحسب قلب الله. في هذا السياق كتب:

أيها الربُ المُقامْ ملكوتكَ قبلنا عليتَ المقامْ،
مواهبُ بني البشر تُباركُ رافعاً فوقَ الغمامْ،

ليتكَ مواهبُ الإخوةِ تُسرَّ فتباركنا،
بشيوخٍ وشمامسةٍ تأمرُ فتُمدنا،
إن سُررتَ رجالك يا اللهُ تمنحنا،
يستنيرُ قديسوكَ بمجدك لا مجدنا.

---

١ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ١٠٦.
٢ الترانيم ٨٩٧، ٩٠٤.

أرشدْ عقولنا وجّهنا في اختيارهمْ،
روحكَ القدوسُ القريبُ احتياجهمْ،
ليتكَ أنتَ ربنا من يختارهمْ،
عيّنهُمْ من أعالي قدسكَ وعِينُهمْ.

أُسكبْ عليهمْ مِن غِنى مِسحتكْ،
عبيدُكَ املأ من فيضِ قوتكْ،
ثبّتهمْ بتعيّنِ سلطانِ مقاصدكْ،
باركهمْ سيِّدي هم أبداً عبيدكْ.[١]

لقد كانت روحانية سبيرجن في خدمة المعمودية واضحة أيضاً.[٢] لاحظ كيف ينسج صورة انصهار المؤمن مع مخلّصه:

نشاهدُ القبرَ حيثُ تُدفنُ رؤوسنا،
نطلبُ دفنَ أجسادنا إذ متنا معْ يَسوعِنا،

نراهُ يقومُ، يعيشُ فلا موتَ فيما بعدْ،
معهُ نقومُ في الأعالي نحيا للأبدْ.[٣]

يتّضح تكريس سبيرجن من خلال ممارسة خدمة مائدة الرب. لهذه الخدمة كتب سبيرجن خمس ترانيم، ثلاث منها تُرنّم قبل كسر الخبز،[٤] واثنان بعد كسر الخبز.[٥] الترانيم الأولى تتحدث عن حضور وبركة الله بينما تقدِّم الترانيم الأخيرة الشكر له.

سوف نختتم هذا الجزء باقتباس من إحدى ترانيم كسر الخبز، حيث تصوِّر لنا محبة وتكريس سبيرجن العميق للمسيح المصلوب:

---

١ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ١٩٧.
٢ انظر ترانيم ٩٢٣ و٩٣٤.
٣ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ٢٠٨.
٤ انظر ترانيم ٩٣٩، ١٠٥٥ و١٠٥٦.
٥ انظر ترانيم ١٠٥٨، ١٠٥٩.

في وسطنا يتراءَى السيّدُ المحبوبْ،
يدعونا لرؤيةْ يديهِ المثقوبتينِ،
جراحُ جنبهِ وقدميهِ النازفتينِ،
مباركةٌ هي جِراحاتُ المصلوبْ.

عريسُنا فلذةْ قلوبِنا أنتَ يا مجيدْ،
تمنحنا بسمتكَ السماويةُ لا، ليس من بعيدْ،
ارفعْ الستارَ لا، لا ستارَ في العهدِ الجديدْ،
فكلُ قدِّيسٍ جمالكَ يعاينُ طوال العمرِ المديدْ.[١]

الروحانية في الصلاة

عندما ندرس صلوات سبيرجن المنبرية نشعر وكأننا نسير على أرضية مقدسة. قال الرب يسوع " لأنه من فضلة القلب يتكلم اللسان " (متى ١٢ : ٣٤). فتقييمنا لصلوات سبيرجن الروحية يفتح أمامنا نافذة الى أعماقه فنجد: تكريسه المقدس وشخصيته السوية وكرهه للخطية وتواضعه وشغفه بالنفوس ورجاءه للمجد وخوفه من الجحيم، فليس هناك شيء يمكن أن يصل إلى أعماق نفوسنا ويكشف عن مكنوناتها وأشواقها أكثر من صلواتنا سواء الجهارية أو الخاصة. لم تعلن صلوات سبيرجن عن تكريسه الشخصي العظيم وسعيه للقداسة فحسب، بل أيضاً عن تثقّله بأعباء شعبه الذي تعهّد بنعمة الله القدير على رعايته.

وقد ذكر جون كيرنز (١٨١٨ ـ ١٨٩٢) في مقدمة كتبها عن صلوات سبيرجن: كانت الصلاة غزيزة على قلبه ومهمة في جميع نواحي حياته. لقد كانت نَفَسَه الحيوي والهواء الطبيعي الذي يستنشقه ويطلقه! انطبعت عظمة صلاته في حياتي أكثر وأكثر فأبهجتني. لقد لمست كل نغمة فكانت كأجنحة نسر يحلِّق في سماء الله.[٢]

---

١ سبيرجن – كتاب ترانيمنا ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٢ جون كارينس – مقدمة في صلوات سبيرجن ١٩٠٥ (طبعة ثانية جراند رابيدس: دار بيكر للكتاب ١٩٨١).

لقد أشار أيضاً دينسدايل يونج (١٨٦١ . ١٩٣٨) الخادم بنهضة القداسة، والشاهد العيان لروحانية سبيرجن، فقال:

تقديره لفاديه ومخلِّصه كان عظيماً بمقدار لا يمكن قياسه، فدمّ فدائنا كان مجده، وكفّارة الصليب، الكل وفي الكل بالنسبة له.[١]

تُظهر صلوات سبيرجن على نحو جليّ روحانيته الشخصية واشتياق لهيب تكريسه المقدّس لله بين شعبه. لقد كان هناك توقعات مقدسة في صلواته المرفوعة، بأن يولّد الله وينمّي الروحانية في حياة جموع الكنيسة، وقد استجاب الله للتوسلات التى كان سبيرجن يرفعها بشدّة اليه.

على وجه العموم، كانت صلوات سبيرجن ثالوثاً مقدساً بطبيعتها، وذات لاهوت واعٍ في شخصيتها، وأضف الى الحماس المتوهِّج في ظاهرها، فصلواته الجهارية والخاصة ترابطت معاً بشكل محترم، وقد جاء في ملاحظات دينسدايل يانج التالي: " يا لها من صلاة طبيعية تخرج من شفاه هذا الرسول العظيم! لقد شعرنا أنه يصلِّي أمام الجماهير الغفيرة ما تعوَّد أن يصلّيه على انفراد."[٢] أيضا أشار يانج إلى شغف سبيرجن الواضح وسعيه لإرضاء الله:

يمكن أن تشكّل هذه الصلوات النبيلة لاهوتاً كاملاً. كانت صلوات شخص يعرف إلهه تماماً، ومسروراً به وسائراً معه. صلوات شخص سائر مع ابن الإنسان.[٣]

السعي الى العبادة

فاضت صلوات سبيرجن بعبادة الله الثالوث، فنرى في صلاة " شكراً لله " أن سبيرجن أدرك طبيعة الثالوث:

نحن نعبد الله الآب، نحن نعبد الله الابن، نحن نعبد الله الروح القدس بكل قوّة فينا. نحن ننحني ساجدين أمام صاحب العرش الممجَّد والبهاء الغير محدود في السماء، فالله يقبل عبادتنا عندما نقدم تلك التسبيحات في اسم يسوع .[٤]

---

١ دينسدايل يونج مقدمة في صلوات سبيرجن ٣.
٢ صلوات سبيرجن٦.
٣ صلوات سبيرجن ٨.
٤ صلوات سبيرجن ٩.

تضمّنت عبادة سبيرجن الكثير من الصلوات، فالصلاة بالنسبة له عمل من أعمال العبادة . في عظته "إلى الملك الأبدي" يستهلّ خدمته بحبٍّ وتكريسٍ غير محدود لله:

ندنو منك عابدين. قلوبنا تتعبَّد للأقانيم الثلاثة، في الإله الواحد يهوه المُمجَّد الغير محدود، الإله الحي الحقيقي وحده. نعبدك أيها الآب والابن والروح القدس إله ابراهيم واسحق ويعقوب، فنحن لم نصعد بعد حيث الأرواح الطاهرة التي تنظر وجهك لكننا قريباً سنكون هناك بنعمتك، وربما أقرب مما نفتكر، لكننا الآن هناك بالروح، نطرح أكاليلنا على البحر الزجاجي أمام عرش العظمة المطلق صاحب المجد والعزّة والقوّة والثناء والسلطان للجالس على العرش وللحمل دائماً وأبداً. كنيستك تعبدك، آه يا الله، كل قلب تجدّد بالنعمة يعبدك بفرح، فننحني بقلب خاضع عابدين ومجلّين ومسبحّين في كياننا، صامتين أمامك إلهنا لأن فرحنا فيك جميعنا يفوق الوصف.[١]

غالباً ما كان سبيرجن يختم صلواته بتعابير أفعالٍ تعبّدية كما في صلاته "الشكر لله":

سُد يا عمانوئيل ... سُد، اجلس على العرش العالي، اركب على الفرس الأبيض واجعل جند السماء يتبعونك ... حارب وانتصر، تعال أيها الرب يسوع أرجو أن تأتي سريعاً. آمين ثم آمين.[٢]

السعي الى القداسة

اشتاق سبيرجن أن يعيش وفق إرادة الله في طاعة كاملة، فظهر هذا بكل وضوح في صلاته التي بعنوان "عون من الأعالي":

أيها الرب قدِّسنا ... آه ! فليهبّ روحك علينا فيقدِّس كل إمكانية ويخضع كل عاطفة ويستخدم كل قوة طبيعية فينا لطاعتك. تعال أيها الروح القدوس نحن نعرفك، ظللنا تماماً. تعال وامتلكنا بالكامل.[٣]

---

١ صلوات ش.هـ. سبيرجن ٢٥ . ٢٦.
٢ صلوات ش.هـ.سبيرجن ١١.
٣ صلوات ش.هـ. سبيرجن ٣.

من خلال الصلاة التالية نستطيع أن نسمع صرخة من قلب سبيرجن، كأنه يتوسّل الله بقوة لأجل التكريس:

تعال وامتلكنا بالكلّية. نقف الآن أمام كرسيِّ الرحمة حيث صلاتنا المرتفعة عالياً، من أجل القداسة الكاملة والتكريس الكامل والتطهير الكامل من كل شر. خذ قلوبنا ورؤوسنا وأيدينا وأقدامنا واستخدمنا بالكلية لمجدك.[١]

يا رب احفظنا جميعاً من الخطية، علِّمنا كيف نسلك بتدقيق، هبنا قدرة بأن نحفظ عقولنا من أي عقيدة خاطئة، وقلوبنا ضدّ أي مشاعر خاطئة وحياتنا ضدّ الأعمال الشريرة. آه، فلا نتحدث أبداً بطيش يخرج من شفاهنا، ولا نفسح مجالاً للغضب. فوق كل شيء، احفظنا من الشهوة التي هي عبادة الأوثان، ومن الحقد الذي هو من الشيطان.[٢]

السعي لاسلوب حياة مكرَّس

لم يكن سبيرجن الشخص الذي يسعى إلى المتعة بعيدًا عن الله، بل كانت حياته مكرّسة ومخصّصة لخدمته، فكل ما كان يفعله كان يدور حول عاطفته الجيّاشة نحو الله وإنجيل المسيح. وقد شمل هذه البركات الإلهية مثل الغنى والمواهب. فكل شيء في ذهن سبيرجن كان مكرّساً تماما لله. فبهذه الكيفية نسمعه يخاطب الله:

يا رب خذ ثروتنا ولا تدعنا ندخرها أو حتى ننفقها على أنفسنا. خذ مواهبنا، فلا تجعلنا نُثقِّف أنفسنا لكي نأخذ سمعة الحكماء، لكن اجعل كل ملكة عقلية لدينا تكون لخدمتك بصورة أفضل ... فنُطهِّر العالم في سبيل خدمتك. ليتنا نكون حبيبات ملح في وسط المجتمع.[٣]

السعي نحو الضالين

صلّى سبيرجن بكل مشاعره من أجل البعيدين عن المسيح. استمعوا إليه وهو يتوسّل بشدّة من أجل غير المؤمنين:

---

١ عون من الأعالي– من صلوات سبيرجن ٣ ـ ٤.
٢ شكراً لله – من صلوات سبيرجن ١٠ ـ ١١.
٣ صلوات سبيرجن٤.

والآن أيها الرب المبارك، تحنّن وانظر إلى الذين لا يحبونك. أيها الفادي انظر إليهم بعينيك هاتين اللتين مثل لهيب نار. اجعلهم يدركون كيف أنهم يعاملونك بطريقة خاطئة، ليستطيعوا أن يدركوا مقدار الجحود الرهيب في ازدرائهم بدم المخلِّص غير مبالين بمشاعره. آه، يا ليتك تأتي بهؤلاء المهملين والغير أتقياء ليطلبوا الرحمة، واجعل هؤلاء الذين يؤجِّلون قرار خلاصهم، أن يدركوا بأن فكر التأجيل هو خيانة ضد قدرتك وبهائك. يا أيها المخلّص ارسل سهامك فتصيب كثيرين لكي ينحنوا أمامك ويبكوا ويطلبوا رحمتك.[١]

سبيرجن وفي صلاته "في كل نداء سائد" يصرخ إلى الله من أجل الضالّين، حيث يعلن:

آه! لابد أن نسكب نفوسنا في الصلاة من أجل الخطاة! هؤلاء الذين تعرف أين سيكونون في السنوات القليلة المقبلة! آه! سيقفون أمام سخطك، فنصلّي أمامك ألا تسمح لهم بالاستمرار في هذا! افدهم من لهيب الجحيم بحسب مسرتك ورحمتك، ومن الهبوط إلى الهوّة لأنه مخيف جداً غضبك. نحن نرجوك أن ترحم بني البشر من الغضب المخيف الذي سيأتي عليهم، حتى وإن لم يرحموا هم أنفسهم .[٢]

الروحانية في الوعظ

يتميَّز وعظ سبيرجن بالدعوة إلى حياة القداسة، فالحياة المعاشة في محضر الله القدوس لابد أن تتميّز بالروحانية، وبالتالي بدون سعيه المستمر إلى الروحانية، لما استطاع سبيرجن أن يكون متمكّناً في الإيمان، وهذا بالتحديد ما قد يدفع سبيرجن بأن يتساءل عن مدى فعالية الإيمان في حياة شخص ما.

في ذهن سبيرجن، تتضمن الروحانية الخوف من الخطية أمام هيبة الله القدّوس. في عظة لسبيرجن الشاب ألقاها في ٨ نيسان ١٨٥٥، أمام حشد من المصلّين في قاعة إكستر، حيث شرح سبيرجن الآية الكتابية "هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ» (متى ٢٨ : ٦) فتناول سبيرجن الآلام العظيمة الناتجة عن الطبيعة المشينة للخطية الشخصية.

---

١ صلوات سبيرجن ٩ ـ ١.

٢ صلوات سبيرجن ٢٣.

لقد أدرك سامعيه أن خطاياهم قد صلبت المسيح، حيث شعروا بعواطف يملأها الحزن العميق على الخطية، فأعلن بكل جرأة:

أولاً، أدعوكم أن تقفوا وتنظروا المكان حيث المسيح يضطجع بعواطف يملأها الحزن العميق. آه، تعال يا أخي المحبوب يسوعك جاسم هناك في الصليب. لقد صُلب وقُتل، نفسي ونفسك هم القتلة.

آهُ يا خطاياي... خطاياي القاسية،

أنتِ أول المُعذِبّين،

كل خطية من جرائمي أصبحت مسماراً والحربة التي لا تُحتمل.

واحسرتاه! أهكذا نزف مخلّصي؟

أهكذا مات سيّدي؟

لقد ذبحته. هذه اليد اليمنى ضربت الخنجر في قلبه. أعمالي ذبحت المسيح. واحسرتاه! لقد ذبحت أغلى حبيب، لقد قتلت من أحبني محبة أبدية. يا عينيَّ لماذا رفضت أن تبكي عندما رأيت جسد يسوع الممزق؟[١]

بعد سنوات قليلة، في عام ١٨٦٢ قدَّم سبيرجن للجموع المصلِّية عظة في خيمة المتروبوليتن، حيث شرح عبرانيين ١٢ : ١٤ «الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ»، فدعا الجموع للقداسة وللإنفصال عن متع الخطية السرية. حذَّر سبيرجن بوقار إلى ضرورة السعي بجدية نحو الروحانية، وإلا فلن يكون هناك خلاص حقيقي، فالسعي إلى الروحانية ليس خياراً للمؤمن، وفي هذا السياق كتب:

أنني واثقٌ تماماً بأنك لم ولن تعرف القداسة الحقيقية إذا تعاملت بتساهل مع الشهوات الجسدية والتمتّع الوقتي. هل معروفٌ عني كرجل أنني مؤمن وضع في ذهنه تصميماً للتساهل مع الجسد، والتمتّع باللذات الممنوعة عندما تتاح الفرصة؟

---

١ قبر يسوع – من منبر نيو بارك ستريت ١ : ١٣٣.

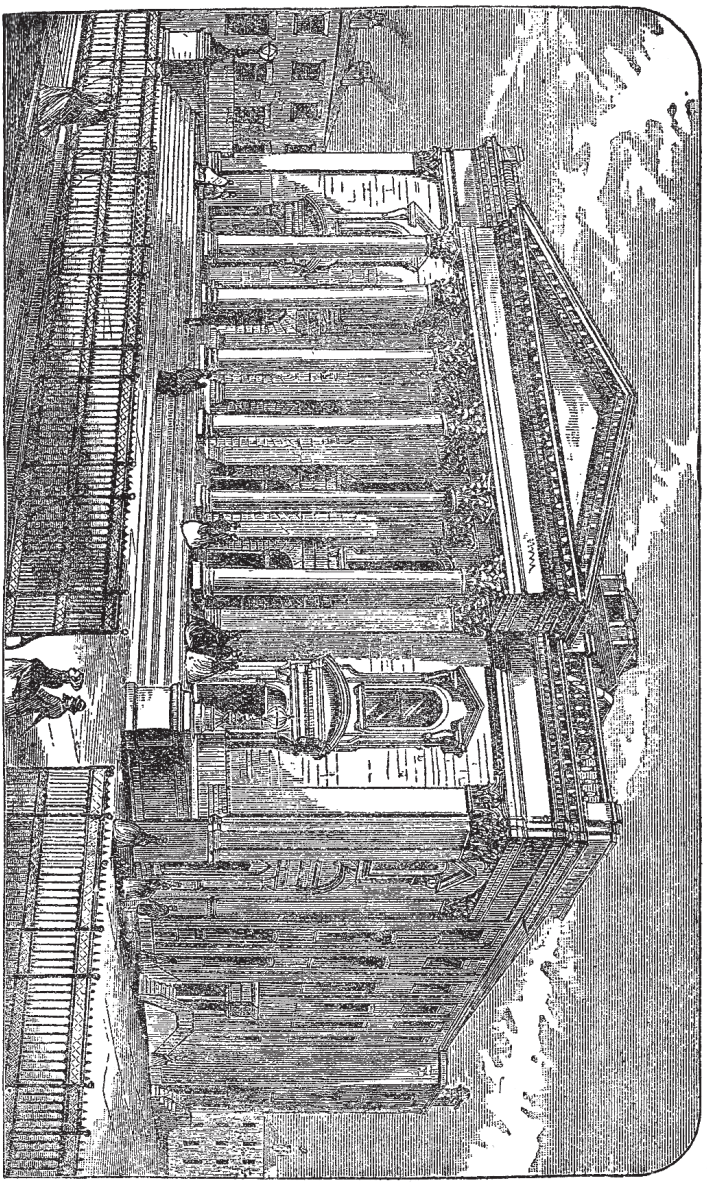

خيمة المتروبوليتن

آه يا سيّدي! إن تسرّبت هذه الأشياء الى داخلي دون أن تحدث زلزلة في كياني، مع إني أشك في ذلك، فإنني سأرتاب في إيماني ومن نفسي.[١]

أكّد سبيرجن في نفس العظة على الالتصاق بالقداسة في السرِّ والعلن. من وجهة نظر سبيرجن يجب أن يتطابق سلوك المؤمن وتصرفاته في السرِّ والعلن، فقد رأى أن الحياة المنزلية هي أصدق مقياس في السعي إلى الروحانية من الحياة العامة، وفي هذا الصدد وطبقاً لشهادة أبنائه كان سبيرجن يعيش ما يعظ. لم يدخر أي جهد في حمل هدف السعي إلى الروحانية الحقيقية لكل عضو في كنيسته.

مرة أخرى، يبدو لي بأن لديك سبباً وجيهاً يضعك أمام المساءلة اذا لم تتطابق القداسة في حياتك بين السرِّ والعلن، واقصد بذلك اذا كانت حياتك الخارجية ملائكية وحياتك المنزلية شيطانية. يجب أن تدقق بالأمر، فهل ما تكون عليه فى المنزل هو ما أنت عليه بالفعل. إنني أتساءل إن كنت أفضل مما قد تعتقد زوجتك وعائلتك بك، فهم يروننا بالكامل، ويعرفوننا على حقيقتنا، فإن كنت خادماً للمنبر، أو إن كنت تظهر على المنصة، أو حتى في المتجر حيث تبدو ودوداً، مؤمناً وتظهر كأنك إنسان تقي أمام الذين هم من حولك، وبالوقت نفسه نجد أن أطفالك مكسورين من جراء قسوتك، فأنت تحتاج إلى عاطفة الأبوة لكي تقدمها لهم. وإذا كانت زوجتك تشكو من استبدادك وكل ما فيك غائب عنه شبه المسيح، فلابد لك أن تشكِّك وبشدّة بوجود خطية ما في قلبك. أيها السادة أن القداسة الحقيقة هي الشيء الذي نحتفظ به ليلاً ونهاراً، في المنزل وخارجه، على الأرض وفي أعماق البحار![٢]

لقد رأى سبيرجن في امتلاك الكنيسة للروحانية شهادة مجيدة وجامعة للإنجيل أمام هذه البشرية الساقطة. فخلال عظة قدمها في ٢٨ نيسان ١٨٧٢ للكنيسة في خيمة المتروبوليتن من النصّ الكتابي ١ تسالونيكي ١ : ٥ ـ ١٠ حثَّ سبيرجن الإخوة:

---

١ القداسة المطلوبة – من عظات خيمة المتروبوليتن ٥٠ : ٤٦٢.

٢ القداسة المطلوبة – من عظات خيمة المتروبوليتن ٥٠ : ٤٦٣.

إن الكنيسة في تسالونيكي نادت بالإنجيل بشكل مباشر وغير مباشر. لقد فعلوا ذلك بشكل غير مباشر من خلال حياتهم المنطوقة، فلم يعظوا بل كانوا ممتلئين بالإيمان، بالأعمال الصالحة والقداسة، حيث أن الذين من خارج لاحظوا الحياة المقدّسة وتكلموا عنها، فقد كان عمل الله في قلوب أعضاء الكنيسة أمراً ملموساً ومستمراً. آه ! يا لسعادة الراعي الذي يرى شعبه مؤمنين أتقياء، متّحدين، كرماء، مثابرين، مُصلّين ومملوئين من الإيمان والروح القدس، لدرجة تدفعه ليتحدث عنهم في كل مكان، من خلالهم ومن خلال سلوكهم، كلمة الله تُسمع خارج أسوار الكنيسة. لذلك تنبّهوا إلى هذا الأمر أيها الإخوة، لقد وضعنا الله حيث يلاحظنا الكثيرون. لذلك قدّموا لهم شيئاً يستحق الملاحظة والرؤية، لأن عيون الكثير من الشهود علينا، دعونا نعدو بصبر في الجهاد الموضوع أمامنا.[١]

الروحانية في العلاقات

ما هو الأمر الذي أحبّه سبيرجن بحقّ؟ فمن خلال تحليل مراسلاته الشخصية أصبح لدينا نظرة ثاقبة على روحانيته. سوف ندرس في هذا الجزء رسائل سبيرجن وعلاقاته مع عائلته وأصدقائه.

١ . روحانيته في علاقته بالوالدين

كشاب صغير، عاش سبيرجن حرية محبته وتكريسه للمسيح أمام أبويه، فضلاً عن إظهار إخلاصه لهم. وقد كتب من نيو ماركت في ٣٠ كانون الثاني عام ١٨٥٠، " أشعر الآن بأنني أستطيع أن أفعل أي شيء، وأن أتخلّى عن كل شيء من أجل المسيح، وبنفس الوقت أنا مدرك بأن هذا كلا شيء بالمقارنة مع محبته. ابنك الحنون والمطيع تشارلز هادون سبيرجن."[٢] وفي خطاب آخر كتبه بتاريخ ٢٠ نيسان من عام ١٨٥٠، نرى رغبة سبيرجن في طاعة والديه. حيث استأذنهم لكي يعتمد وأظهر استعداداً لطاعة إرادتهم، حيث كتب بشوق:

"انتظر بشوق في كل صباح أن أستلم رسالة من أبي، إنني بشوق إلى ردّ... ارسل لي من فضلك إما إذناً بقبول المعمودية أو برفضها. إنني في انتظار مؤلم.[٣]

---

١ قوة الإنجيل من منبر خيمة المتروبوليتن ٦٣ : ٨١.

٢ خطابات سبيرجن: جُمعت وفُحصت بواسطة ابنه تشارلز سبيرجن (هاريسبرج: شركة الكتب الجيدة (١٩٢٣) ١٣.

٣ خطابات سبيرجن ٢٠.

شارك سبيرجن بحماس والديه بنجاحات خدمته. حيث كتب من فاير فيلد القريبة من غلاسكو في ١٩ تموز من عام ١٨٥٥، عن خدمة حفل استقباله في اسكتلندا، فأكّد من جديد على حبِّه واخلاصه لوالديه. وهذا نصُّ رسالته: " في السبت الأخير، وعظت مرتين في مدينة غلاسكو لجمهور هائل. إن عادت أمي من سفرها فقبِّلها عني، كما أرجو بأن توصل حبّي للجميع. مع أفضل حبّ لأبي العزيز الغالي."[١] من الجدير ذكره أنه أظهر تواضعا منقطع النظير حين لم يذكر في رسالته أن أعداد المشاركين في الخدمة قد فاق الـ٢٠٠٠٠ شخص![٢] فخطابات أخرى تكشف عن الشفافية والصراحة مع والديه بما له علاقة بنفسه أو بالخدمة. في كل رسائله المتوفّرة وبدون استثناء ينقل سبيرجن الدفء العظيم، المحبة والمودّة، حيث يُظهر نفسه في جميع جوانب حياته بأنه ابناً مخلصاً.

٢ . الروحانية في الزواج

وُلدت السيدة سوسنّا طومسون (١٨٣٢ ـ ١٩٠٣) في ١٥ كانون الثاني ١٨٣٢. تردّدت على كنيسة بارك ستريت بشكل غير منتظم قبل أن تتقابل مع سبيرجن. ارتبطت عائلتها على نحو وثيق بالسيد والسيدة اولني، وقد كان السيد اولني شماساً في الكنيسة وقد شجعها على الحضور لكي تستمع إلى "الولد الواعظ" من ووتر بيتش. كانت ردّة فعلها الأولى على الولد الواعظ بأنه شخص ممتع، وقد ذكرت أن أول شيء تذكرته من العظة كان "الحجارة الحيَّة في الهيكل السماوي المتلاحمة تماماً برباط قرمزي بدم يسوع."[٣] مع مرور الوقت وتحت التبكيت على الخطية، اختبرت سوسنّا المسيح بينما كان سبيرجن يشرح آية من رسالة رومية ١٠ : ٨، وقد شجعها سبيرجن عندما أهداها نسخة من كتاب سياحة المسيحي لبنيان بتاريخ ٢٠ نيسان ١٨٥٤. سرعان ما تطورت صداقتهما بالرغم من أنها بدأت بطيئة. في افتتاح قصر الكريستال في ١٠ حزيران ١٨٥٤ أهدى سبيرجن كتاباً لسوسنّا وهو للفيلسوف المشهور مارتن توبر. حيث أشار الشاب سبيرجن إلى الفصل المتعلّق بالزواج! والذي ورد في أعداد افتتاحيته التالي: " اطلب زوجة صالحة من إلهك لأنها أفضل عطية منه ... وإذا كنت تبحث عن زوجة شبابك،

---

١ خطابات سبيرجن٤٤.
٢ هايدن – لمحات في حياة تشالز هادون سبيرجن ٨.
٣ السنوات المبكرة ٢٨١.

فهي تعيش الآن على الأرض، لذلك فكِّر فيها وصلّي لأجل خيرها."[١]

لم تنس سوسنّا أبدا كلمات زوج المستقبل التي همست في أذنيها، "هل ستصلّين من أجل ذاك الذي سيكون زوجك ؟"[٢]

سرعان ما وُجد الزوجان الشابان يتجولان في حدائق قصر الكريستال حيث توحّد قلبيهما بالحب. أضفت سوسنّا على هذا اليوم لمحة رائعة فكتبت، "من هذا الوقت تطوّرت صداقتنا وبسرعة نضجت إلى حبٍّ عميق . الحب الذي يعيش اليوم في قلبي."[٣] تزوج الشابان في ٨ كانون الثاني من عام ١٨٥٦ في كنيسة نيو بارك ستريت. وفي الربيع التالي سافرا في رحلة عشرة أيام إلى باريس، وفي ٢٠ أيلول من السنة نفسها رزقهما الله توماس وتشارلز اللذين وُلدا لعائلة سبيرجن السعيدة.

أصبحت سوسنّا الرفيق المعين والثابت لسبيرجن. حيث كتبت لاحقاً: "اعتبر وجودي بجانبه فرحاً وامتيازاً دائماً، حيث اصطحبني في الكثير من رحلاته التبشيرية، وفي ظروف المرض كنت بجانب عزيزي وسندته، كما كنت رفيقته المسرورة أثناء رحلات العطلات، فراقبت ولاحظت الحبّ الكبير الذي ألهب عواطفه وحماسته."[٤] لم تتضاءل محبتهما لبعض أبداً، فإخلاص سبيرجن كان واضحاً في قصيدة الحب الجميلة التي كتبها لسوسنّا:

زواج المحبة . إلى زوجتي
ش.هـ. سبيرجن

على طولِ الفضاءِ الذي يلفنا زوجتيْ،
سألقي بنفسي جسراً باغنيتيْ،
لتلتقي قلوبنا ياحياتي فرحتيْ،
على قوسٍ قزحهِ غير المرئيّ القويْ،
وراءهُ وفوقهُ نرتبطُ بعشّنا الزوجّيْ،
اتحادنا بالمسيحِ نلمسُ حبنا الوفيْ،

١ السنوات المبكرة ٢٨٣.
٢ السنوات الباكرة ٢٨٣.
٣ السنوات الباكرة ٢٨٣.
٤ السيرة الذاتية ٢ : ٢٩١ . ٢٩٢.

رباطُ وحدتنا صُنعَ بسماءِ العليْ،
يَمسُكنا في ترنُّح الارضِ الجليْ،

إذ اختارنا قبلَ تأسيسِ العالمِ الكونيْ،
فيملكُ في قلوبنا وحدهُ بشكلٍ جليْ،
بشوقٍ نؤمنُ، نتعبَّدُ للإلهِ العليْ،
معا أمامَ عرشهِ سجوداً إلى أن يأتيْ.[١]

ألمَّ المرض بسوسنّا لكنها رفضت أن تضيف عبئاً على زوجها المشغول. أجرى السير جيمس سيمبسون الشهير (١٨١١ . ١٨٧٠) وصديق العائلة عملية جراحية لسوسنّا، وهو الذي اكتشف مخدّر العمليات الجراحية والذي أُطلق عليه اسم أب العلم الحديث للأمراض النسائية. وقد عُثر على دليل مرضها في كتاب وجد في مكتبة سبيرجن الشخصية، وقد أجريت عملية غير ناجحة لاستئصال أورام الرحم.[٢] وبالرغم من العملية غير الناجحة عاشت سوسنّا عشر سنوات مع زوجها وتوفيت في ٢٢ تشرين الأول من عام ١٩٠٣ عن عمر يناهز الواحد والسبعين عاماً.

على الرغم من عجزها كانت سوسنّا تشجِّع سبيرجن فى كل مساعيه، فشجّعته لياخذ قسطاً من الراحة التي يحتاجها ليسترد عافيته في منتون – فرنسا، ففي تلك الفترة احتاجت صحته لرعاية كبيرة. كان حبّها غير الأناني واضحاً، مؤكّداً وثابتاً في مساندة سبيرجن وخدمته، فسوف نلخِّص اخلاص سوسنا لزوجها في هذا الاقتباس الذي ذُكر بواسطة تشارلز راي:

اشكر الله الذي مكَّنني من أداء مهمتي]مساندة الخدمة[، كما وأبتهج بأنني لم أكن يوماً عائقاً للتقدّم المتسارع لحياته المكرسة، فليس لي أي فضل إذ أنها إرادة الله لحياتي، حيث ارتأى أن أتلقى التدريب الضروري للوقوف بابتهاج على مر السنين إلى جانب عبده المختار، داعمةً لمتطلّبات خدمته المستمرة، عمله الأدبي وجهوده المتزايدة وحياته المشغولة بشكل استثنائي.[٣]

---

١ السيرة الذاتية ٢ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩.
٢ توماس – تقدم المبشر ٣٩.
٣ تشارلز راي – زوجة ش. هـ. سبيرجن ١٩٠٣ (إعادة الطبع، انديانا: معرض الكتاب المسيحي ١٩٩٤) ٥٤ . ٥٥

سوسنّا سبيرجن
(١٨٣٢ – ١٩٠٣)

٣ . الروحانية في المنزل

نلقي الآن نظرة على حياة أبناء سبيرجن. أولاَ، دعونا نستمع إلى شهادة توماس سبيرجن (١٨٥٦ . ١٩١٧)، والذي خلف والده في رعاية خيمة المتروبوليتن من عام ١٨٩٣ حتى ١٩٠٨، حيث ألقى تقديره لوالده مزيداً من الضوء على روحانيته: إلى ذلك الرجل الذي لذكراه نقدّم الليلة حزننا واحترامنا، الرجل الذي تحدث الكثيرون عن قدراته المتنوعة، كواعظ، مؤلّف، معلّم وفاعل خير، فقد تلامسنا مع تلك الأمور وبشكل حقيقي، لكنني أردف لأقول بأنه هناك رجلان فقط في العالم كله مؤهلان للحديث عنه كأبّ، وأشكر الله أني واحد منهما!

فإنه إن كان رجلاً صالحاً لأبناء الآخرين، فثقوا أنه كان أباً صالحاً لأولاده أيضاً. مشغوليات الحياة الكثيرة لم تمنعه من أن يأخذ دوراً ناشطاً في تربية أبنائه، علاوة على والدتي الفاضلة التى كانت أفضل مدرِّب لحياتنا. لقد تعلمنا من مثاله كأب وأيضا من مبادئه كمعلّم صالح. فحياته المنزلية كانت رائعة ومتطابقة مع حياته العامة تماماً، فأخشى أننا لم نستفد منها كما ينبغي. في المنزل الجميل لمسنا كرمه الذى لا حد له، فمن النادر أن تجد أحداً التمس منه مساعدة وخاب، إلا إن كان هو نفسه محتاجاً أكثرممن طلب منه، وهذا بسبب عطائه الدائم. لقد رأينا في المنزل روحانيته والتي عاشها كل لحظة من يومه بشكل طبيعي وغير متكلّف، وثقته العميقة بالله، وتواضعه الذي لم يتحدث عنه أبداً، بل كان دائماً حديث ومدح الآخرين.[١]

دعونا الآن نستمع إلى تشارلز سبيرجن جونيور (١٨٥٦ . ١٩٢٦) حينما خاطب المؤمنين في كنيسة ساوث ستريت المعمدانية، حيث فاض إعجابه بمحبة والده، عطفه وكرمه:

قد لا يوجد ولدٌ في العالم لديه أبٌ أكثر لطفاً، وحكمةً، وسعادةً، قداسةً وكرماً، فأعظم شرف في حياتي أن أوجد داخل علبة الجواهر المخزّنة هذه، الجواهر التي حفظت العلاقات الجميلة ذكراها، والتي بحسب صلاح ونعمة الله العظيمة، كان لي الامتياز بأن أستمتع كأحد أبناء والدي الحنون بهذه الجواهر.

---

١ توماس سبيرجن – منبر خيمة المتروبوليتن المجلدات ٦٢ ـ ٦٣.

الشاب تشارلز سبيرجن مع ولديه توماس وتشارلز

كان هناك ميزة محدّدة في شخصيته التقيّة النبيلة، والتي لمعت لمعاناً براقاً بين الكثيرين. كانت شخصيته متواضعة كشخصية المسيح، حيث لاقت الثناء من الذين تحدثوا أو كتبوا عنه. كانت كلمات مدحه كثيراً ما تزعجه، حيث كانت عقيدته في كل الأمور "لا أنا بل المسيح"، حتى عندما يمتدحه ابنه المحبّ كان وبسرور يُرجع كل الشرف والإكرام إلى الله أفضل الآباء. مثاله البريء، قداسته الثابتة، محبته العميقة، تسامحه الكريم، مشورته الحكيمة، مخافته للحقّ وإخلاصه لإلهه، كل هذا كان مساوياً لأبوته، ففي قلبي كما في قلب كل هؤلاء الذين تواصلوا معه، حُفظت تلك القيم. النعمة والصلاح اللذين ليس لهما نظير قد ظهرتا في البيت كما كانتا في حياته العامة، فقد خيَّمت وبشكل واضح روح السيد الرب على خادمه بالكامل. لا يمكن لأحد ان يُقيِّم او يُقدِّر مقدار مكانة أبي بالنسبة لي، لكنيسة المسيح وللعالم أجمع، ولكن الذين عرفوه جيداً استطاعوا أن يفهموا سرّ قوته العجيبة، لانهم لمسوا أنه يعيش في المسيح، والمسيح يعيش فيه.[١]

تميَّزت مراسلات سبيرجن مع ابنه تشارلز بالدفء، المحبة، الاهتمام والإخلاص الأبوي. فبلا أدنى شك لقد ملأت المحبة العميقة منزل سبيرجن.[٢]

٤- تعليقات أصدقاء سبيرجن على روحانيّته

سوف نستشهد ببعض من ذكريات وأقوال لأصدقاء سبيرجن عن روحانيته. على سبيل المثال وليام وليامز راعي كنيسة أبتون – لندن، وهو صديق حميم ومقرّب لسبيرجن حيث كتب في سيرته عن سبيرجن:

ذات مرة سمعت مستر سبيرجن يقول: "إذا اخذت قلب صديق، عليك ان تعطيه قلبك بديلاً"، فمن أعظم الامتيازات في حياتي أن أستقبل القلب الأخوي لرجل الله القدير هذا ... كل ما تحدث به كان أمانة متجسّدة، فكانت حياته شفافة مثل شعاع الشمس، وروحه صريحة كذلك "الإسرائيلي الحقّ"، فالنعمة نادراً ما تنتج شخصية ذات استقامة خالصة وطهارة غير عادية وكرم نبيل تفوق تلك التي لـ ش. هـ. سبيرجن.[٣]

---

١ السيرة ٤ : ٢٧٤.

٢ السيرة ٤ : ٢٨٧ . ٣٠٤.

٣ وليام وليامز – ذكريات خاصة بسبيرجن (لندن: المجلة الدينية الاجتماعية ١٨٩٥) ١٢ . ١٣.

فى خطاب وجَّهه رئيس الوزراء البريطاني وليام جلادستون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٨) إلى زوجة سبيرجن، يعبّر فيه عن اهتمامه بحالة سبيرجن الصحية المتدهورة، حيث نوَّه جلادستون بشخصية سبيرجن الجديرة بالذكر، فكتب:

سيدتي العزيزة، لقد أظلم منزلي هذه الأيام حين قرأت بحزن عن حالة سبيرجن الصحية، فلا أستطيع أن أعبِّر لك عن شدَّة تعاطفي معكما، وإعجابي العميق ليس فقط بقواه الرائعة، لكن بإخلاصه المستمر وبشخصيته التي لا تفشل أبداً.[١]

رغم ضعف سبيرجن الشديد أرسل رداً لخطاب جلادستون جاء فيه: "المخلص لك، هي كلمة المحبة التي يكتبها فقط من ينتمون لملكوت الله والذين عاينوا وجهه. مع محبتي القلبية. ش.هـ.سبيرجن."[٢]

كان أنطوني آشلي كوبر (١٨٠١ ـ ١٨٨٥) الكونت السابع لشافتسبيري، من الذين يقدّرون سبيرجن بشكل كبير كما كان يراسله بانتظام.[٣] لم يستمتع كونت شافتسبيري بمواهب سبيرجن فحسب بل كان يلاحظ شخصيته أيضاً فكتب في هذا السياق:

---

١ السيرة ٤: ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

٢ السيرة ٤: ٣٥٩.

٣ سلطة هامة في الإصلاح التشريعي البريطاني في القرن ١٩،الإيرل الشافتسبيري كان المساعد فى وضع القوانيين التى تُحرم عمل النساء والأطفال في مناجم الفحم (١٨٤٢)، وإصلاح رعاية المجانين (١٨٤٥)، كما كان صاحب فكرة تحديد وقت عمل عمال المصانع بعشر ساعات (١٨٤٧)، واهتم أيضا ببناء مساكن للفقراء والمدارس النموذجية التي كانت تسمى مدارس العشوائيات.

صديقي العزيز،

لقد وصلت الكتب بسلام، فالإهداء الذى كتبته بنفسك أُقيّمه وأقدّره كثيراً، فاسمح أن أكتب لك معبراً عن بعض من ما جاء في أفكاري: أُصلّي أن يتعلّق أولادي وأحفادي بهذه المجلدات التي هي عطية مباركة من رجل كان جدهم يقدره ويحبه كصديق شخصي، كذلك يقدّره كخادم قوي، جريء وواقعي، صاحب قلب ذات اتجاه واحد نحو ربنا ومخلصنا المبارك، ليت الله يكون معك ومع أسرتك دائماً وابداً !

شافتسبيري.[١]

لقد أحبّ وقدَّر سبيرجن جميع المتمسّكين براية الصليب. فاضت محبته وتخطّت الحدود الطائفية، فقد أحبَّ على سبيل المثال وبقوة د.ل.مودي، الذي وعلى الرغم من أنه كان أرميني اللاهوت، لكن كان شقيق سبيرجن في الروح. لقد وعظ مودي في خيمة المتروبوليتن، وفي جنازة سبيرجن أعطى القراءات الكتابية. لقد أُعجب سبيرجن أيضا بأندرو بونر (١٨١٠ . ١٨٩٢)، خادم الكنيسة الاسكتلندية الحرة الذي كتب له سبيرجن ذات مرة يطلب منه اوتوغرافاً (توقيع). كما قدَّر الأسقف الإنغليكاني جي.سي.رايال وقد استمتع بشكل هائل بأعماله الكتابية.

الروحانية في الأعمال الصالحة

أعلن الرسول يعقوب "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ» (يعقوب ٢ : ٢٦). هذا الجزء الختامي يلقي نظرة على أعمال سبيرجن التقيّة، والتي استنفدت قواه يومياً من الصباح إلى المساء، كما كان يقوم بمهام عديدة بإلاضافة الى مسؤوليات خدمته الكبيرة.

عمل الأسبوع النموذجي

تمدنا السيرة الذاتية بنظرة ثاقبة على أعمال سبيرجن المتنوعة والتي ارتبط بها خلال الأسبوع. في أيام الآحاد كان سبيرجن يصل باكراً إلى خيمة المتروبوليتن، حيث نراه يتعامل مع أي أمر مُلّح يظهر،

---

١ السيرة ٤ : ١٧٩.

يختار الترانيم للخدمة الصباحية ويرتّب مع القائد أفضل الألحان، ومن المثير للاهتمام، بأنه لم يكن هناك آلات موسيقية تستخدم في عبادة خيمة المتروبوليتن. أما الوقت المتبقي فكان يقضيه في الصلاة مع الشيوخ والشمامسة المتواجدين في الخيمة. كانت الخدمة الصباحية تبدأ عند الساعة الحادية عشر صباحاً، فيتقدم سبيرجن إلى المنصّة يتبعه قطار طويل من حاملي المناصب، وهناك يسكب أعظم واعظ للإنجيل روحه لحوالى ٦٠٠٠ شخص من الحضور! يقابل سبيرجن بعد الخدمة موكباً طويلاً من الأصدقاء والزوّار، كما كان يرغب الكثيرون بمصافحة يديه. في الأحد الثاني من كل الشهر، وفي نهاية خدمة الصباح كان سبيرجن يخصّص وقتاً لمقابلة عدد هائل من الخدَّام المؤمنين لكى يشجّعهم، حيث كانوا يقومون بخدمات متنوعة بعد ظهر يوم الأحد مثل: الصلاة، مدارس الأحد، العمل المرسلي والوعظ في الهواء الطلق.[١]

بعد فترة الغداء يوم الأحد كان يأخذ قسطًا من الراحة، وعند الساعة الرابعة كان يتوقف عن عمل أي شيء لكي يتفرّغ لإعداد الخدمة المسائية. ونظراً للمشاكل الصحية التي عانى منها كان يقضي فترة ما بعد خدمة الأحد الصباحية بمقرّ قريب من خيمة المتروبوليتن، لأن قواه كانت تستنفز بسبب كثرة الأحاديث مع الأصدقاء خلال فترة بعد الظهر.

كانت مدة الخدمة المسائية أقصر من الصباحية، مع التشديد القوي على الكرازة في الوعظ. كانت مائدة الرب تعقب كل خدمة مسائية حيث كانت تستغرق حوالي نصف ساعة، وعلى مائدة الرب قدَّم سبيرجن بعضاً من أفضل تعاليمه.[٢] وفي نهاية الخدمة غالباً ما كان سبيرجن يتحدث هنا وهناك مع الذين يسألونه أو يستفسرون منه عن أي أمر إيماني. كانت الجموع هائلة، ومع مرور الأعوام كانت الكنيسة تطلب من وقت لآخر من أعضائها عدم حضور الخدمة المسائية لكي يتركوا مقاعدهم للزائرين. في نهاية اليوم الشاق وبعد أسبوع غير عادي من المشغوليات، كان سبيرجن ينقّح العظة الصباحية حيث يقدَّمها للنشر.[٣]

في صباح يوم الإثنين كان سبيرجن يتصل بسكرتيره السيد هارالد، حيث كانا يعملان معا على كتابة الرسائل ردًا على جبل من الخطابات التى كانت غالبا ما

---

١ السيرة ٤ : ٧٠ ـ ٧٣.
٢ سبيرجن – تأملات في مائدة الرب (باسيدنيا: بيلجرام للنشر ١٩٧٨).
٣ السيرة ٤ : ٧٤ . ٧٥.

تُرسل لكي تشجع سبيرجن، فكان هارالد يرتِّب المراسلات التي كانت تحتوي على خطابات تبرعات للخدمات المتنوعة ويضعها أولاً، وكما كان يعزل أي بريد يحتوي على حقد أو كره قد يجرح قلب سبيرجن الرقيق. أحياناً كان سبيرجن يُملي الردود وغالباً ما كان يردّ ويكتب بيده، فعلى الرغم من أنها مهمة شاقة وصعبة ولكنه آمن أنها خدمة مهمة وفعَّالة. كان التركيز الأساسي في صبيحة أيام الإثنين على تنقيح خدمة الأحد صباحاً وتقديمها للنشر، أما أعمال الإداريات والمراسلات فكانت تستمر لفترة متأخرة من بعد الظهر.

عند الساعة الخامسة والنصف مساءً كان يقابل شيوخ خيمة المتروبوليتن لكي يناقش معهم نمو الروحي لشعب الكنيسة، وكان يحضر أحياناً اجتماعاً كنسياً للترحيب بالأعضاء الجدد، وفي بعض الأوقات كان يترأس الاجتماعات السنوية المرتبطة بالخدمة في الكنيسة. كان مرحباً بحضوره في الاجتماع السنوي لخدمة كساء فقراء المجتمع، و سيدات وأمهات المجتمع، والجمعية الخيرية للسيدات. وغالباً ما كان يترك الاجتماع مبكراً ليقوده شقيقه جيمس أركر سبيرجن (١٨٣٧ . ١٨٩٩) أو أحد شيوخ الكنيسة، لكي يبدأ اجتماع الصلاة. كان اجتماع الصلاة يبدأ الساعة السابعة وعادة ما ينتهي عند الثامنة والنصف مساءً. قاد سبيرجن اجتماعات الصلاة حيث اعتبرها من الاجتماعات الأكثر أهميةً، والترمومتر الروحي للكنيسة، وفي بعض المناسبات كان سبيرجن يغادر مبكراً لارتباطه بالوعظ في أماكن أخرى.[١]

في صباح يوم الثلاثاء توضع اللمسات الأخيرة لعظات يوم الأحد والتي تُعدّ للنشر، أضف إلى الكثير من الواجبات الإدارية. كان يقضي فترة ما بعد الظهر في الواجبات الرعوية، حيث يقابل سبيرجن حوالي عشرين إلى أربعين مستفسراً او متسائلاً،أضف إلى المرشحين للمعمودية أو لعضوية الكنيسة. ولأنه صاحب قلب رعوي كان يعتبر هذه الخدمة فرحاً وسروراً على الرغم من كثرة وتنوّع الطلبات. عند الساعة الخامسة كان يقابل القادة ليتناول معهم الشاي ويقيّم ملاحظاتهم، كما كان يناقشهم ويعيد عليهم المهام حتى يفهم الجميع. ثم كان يتوجَّه إلى قاعة المحاضرات حيث كان يُشرف على العديد من الاجتماعات السنوية: أعياد مدارس الملاجيء، الاتحاد الإنجيلي، الإرسالية الوطنية، جمعية وجهاز القروض، جمعية عظات سبيرجن. لذلك كان هناك العديد من الاجتماعات السنوية التي كانت على أجندته وجدول مواعيده الأسبوعي!

---

١ السيرة ٤ : ٧٩ . ٨٢.

كان لسبيرجن فرح خاص عند مقابلة الخدَّام الجدد والذين عادة ما كانوا يقفون مرتعبين أمامه! وكثيراً ما كانت خيمة المتروبوليتن تفتح أبوابها لمنظمات من الطوائف الأخرى، حيث كان سبيرجن يدعى ليعظ .[١]

يوم الأربعاء كان بمثابة يوم السبت بالنسبة لسبيرجن. هنا نجده يحاول أخذ قسط من الراحة، فغالبا ما يزور أصدقاءه المقربين ليكون بشركة معهم، ومن الجدير بالذكر أن نذكر الصداقة الحميمة التي كانت تربطه بالأسقف ثورولد (١٨٢٥ . ١٨٩٥)، حيث أحبّه سبيرجن حباً عظيماً، وكان يزوره أيام الإجازة.[٢]

لقد خصَّص صباح أيام الخميس للمراسلات وللأعمال الأدبية عموماً. وفي بعض الأحيان شعر سبيرجن بالإنهاك والإرهاق:

" إنني كاتب فقير أقود القلم ساعة بعد ساعة، وها صباح آخر ينقضي وبسرعة، حيث لم أفعل شيئاً سوى الرسائل ! الرسائل ! الرسائل ! ". يمكننا في هذا السياق أن نذكر الفرح والتعزية عندما كان يخدم الكثير من القلوب الحزينة بهذا العمل الشاق، كما أدرك أن كل هذه الخدمات هي لأجل الرب تماماً كالوعظ، حيث كان يشعر بسرور عظيم.[٣]

أيقن سبيرجن أن رسائله كانت امتداداً لخدمته، حتى عندما كان أحدهم يسأل أسئلة تافهة، كان يرفض أن يلقي هذه الرسائل بعيداً بل بلطفٍ يجيب عليها واحدة بعد الأخرى، وعندما يسمح له الوقت كان يقضي فترة بعد الظهر في كتابة تفاسير أو أعمال أدبية أخرى. في المساء وعند الساعة السادسة مساءً كان يعود إلى خيمة المتروبوليتن لحضور "اجتماع صلاة الراعي"، حيث خصّص هذا الاجتماع لهدف فريد وهو التضرّع إلى الله لكي يبارك الكلمة التي ستقدّم في خدمات يوم الأحد، وغالباً ما كان سبيرجن يغادر متاخراً بعد أن يتقابل ويتحدث مع أصدقائه من الطوائف المتنوعة.

كان سبيرجن ينتهي في صبيحة يوم الجمعة من المراسلات، ويتفرّغ لإعداد المحاضرات الرئيسية التي يقدمها في فترة بعد الظهر من الثالثة حتى الخامسة

---

١ السيرة ٤ : ٨٣ . ٨٤ .
٢ السيرة ٤ : ٨٥ ـ ٨٦ .
٣ السيرة ٤ : ٨٦ .

مساءً في كليّة الرعاة. هنا يكرِّس سبيرجن كل قواه العقلية والقلبية، حيث أصبحت هذه المحاضرات ذات أهمية خاصة للطلاب إذ أنها تؤثّر على تشكيلهم وإعدادهم لخدمة الإنجيل.

فلهذا الجمهور المدرك والمتعطِّش كان يقدم كل ما لديه من إمكانيات، حيث أعلن كلٌ من الطلاب والخدّام أنه لم يتفوّق عليه أحد في تعبيراته المنبرية المتألّقة او حتى يساويه، فكان سرورهم ان يستمعوا للتعليم من شفتيه في تلك الأيام التي لا يمكن أن تُنسى أبداً .[١]

وعند انتهاء محاضراته كان سبيرجن يتقابل ويتحدث مع الطلاب ويقضي ساعة أخرى في الإجابة عن الأسئلة بلا ضجر، كما كان يعظ دورياً ويتناول مائدة الرب مع الطلاب.[٢] وبعد محاضرة كلية الرعاة كان سبيرجن يذهب إلى المنزل إذا لم يكن هناك أي مقابلات أخرى أو زيارات لأعضاء الكنيسة.

حتى في صراعه مع المرض استمرّ سبيرجن وبثبات في الوعظ، فكتب في هذا السياق:

وست وود
٥ نيسان ١٨٨١

صديقي العزيز،

لقد تعافيت منذ حوالي شهر، وعلى أثر ذلك خدمت في خمس خدمات هذا الأسبوع مما شكّل لي سروراً عظيماً، لكن النتيجة جاءت عكسية وعاد المرض ليتمكّن منّي، فأنا أشعر بالضعف الآن أكثر مما مضى، وفوق هذا أمامي الكثير لأعمله لكن الأصدقاء تمنّوا عليَّ ألا أقوم بأي مجهود، وبعد أن دققت بوضعي الصحيّ وجدتهم على حقّ. لهذا السبب وجدت أنه من الأفضل لي أن أبقى بعيداً عن خدمة احتفال الجزَّارين، فإنني أذكر هذا بندم عظيم، مع أنني لم أعط وعداً بحضوري للمهرجان، حيث قام أحدهم إذ وَكَّلَ نفسه عني بإعطاء وعد بذلك، كما أنني لا أعتمد بوعودي على الوسطاء. فبما أنك مضيف الاحتفال، أشعر بارتياح

---

١ السيرة ٤ : ٨٨ .
٢ السيرة ٤ : ٨٨ . ٨٩.

لقول حقيقة الأمور كما هي تابعاً بذلك أفضل مثال وهو الرب يسوع. لذا أتمنى للمشاركين بالحفل أن يكونوا طاهرين ومستقيمين فيعيشوا كمؤمنين حقّاً، فيعتدلوا في كل الأشياء ممتنعين عن المشروب القوي وهذا أفضل لحياتهم، وأن يمتلكوا قلباً جديداً فيكونوا مؤمنين بالمسيح يسوع، فأنا واثق بأننا سنكون سعداء بأن نجد لهم مكان راحة، كما تسعى مع رئيس الجزّارين لتأمين المستلزمات اللازمة من أجل تسديد احتياجاتهم ولملء الفراغات.

كما أتمنى بأن يسير كل إنسان يحضر هذا الاحتفال بالطريق التي تؤدي للسماء. ليت بركة الرب تكون عليك وعلى سامعيك في خدمة هذا الاحتفال.

المخلص
تشارلز هادون سبيرجن

الخاتمة

لقد عاش تشارلز سبيرجن حياته بدون أدنى شكّ في محضر إلهه. فقد كانت حياته مكرّسة بالكامل لمخلّصه، حيث سكب نفسه ذبيحة على مذبح الخدمة. لقد كان سبيرجن رجل الله حقاً، فقلبه وعقله وشخصيته صورة مكرّسة ومقدّسة تعكس شبه المسيح في حياته الخاصة والعامة. بالرغم من النجاح الباهر لخدمته عاش سبيرجن حياة متواضعة، ففي قرارة نفسه وضميره كان مدركاً بأنه مديون للنعمة، وللنعمة فقط، وعاش في ضوء ربح السماء وخسارة الجحيم، فكان سروره العظيم هو تمجيد إلهه من خلال حياته وخدمته، وفي جمع النفوس لملكوت الله. في كل الأحوال، قدّمت روحانية سبيرجن إنموذجاً يُتّبَع في القرن الواحد والعشرين.

واحدة من آخر صور تم أخذها لسبيرجن

١٠

الخاتمـة

لقد أكَّد هذا الكتاب على إيمان سبيرجن بالروحانية كأساس جوهري لنجاح الخدمة، فمن هذا المنطلق تحوّلت حياته ومعتقداته لأنموذج يُتَّبع من رعاة وخدَّام القرن الواحد والعشرين.

لقد سعى سبيرجن بشغف إلى القداسة في كل مظهر من مظاهر حياته، وفي كل مجال من مجالات خدمته. لقد شاهدنا صوراً عديدة من سيرته الذاتية، حيث برزت محبته وأمانته، عطفه وكرمه. لقد شاهدنا من منبر خيمة المتروبوليتن الوعظ المكرَّس والممتلىء بمحبة المسيح وسلطان الإنجيل، حيث قدّم لشعبه دعوات التشجيع والسعي نحو القداسة. فاضت مراسلاته بالتشجيعات الشخصية والحثَّ على الجدّية في السعي لتمجيد الرب. امتلأت محاضراته لطلاب كلية الرعاة بالنصائح الموجَّهة نحو خدمة روحانية مشبعة بالإخلاص والأمانة والتكريس لله. كما رأينا شهادة سوسنّا سبيرجن وأبنائها عن محبة سبيرجن وإخلاصه للإنجيل، حيث مارس وعاش ما علَّم به في بيته وأمام أسرته. لقد كان سبيرجن عملاقاً بين الرجال، ليس لمهارته الخطابية ولا لكتاباته الفكرية الخصبة، لكن لسبب سعيه بحبٍّ كبير نحو حياة القداسة ولتمجيد الإله القدير.

لقد سعى وبكل جدّية من أجل تتميم دعوته لحياة القداسة الشخصية وللخدمة، حيث كان مقتنعاً وبلا خجل بأن الروحانية مرتبطة بشكل مباشر بنجاح الخدمة، كما أن تدنّي الروحانية يجلب الفشل عليها.

لقد رأينا شغف سبيرجن في التحدّث بجرأة ووضوح عن المحبة الغنية للمسيح المصلوب. تمسّك وبلا خجل بعقائد النعمة والسلطان الإلهي المطلق. تميَّزت خدمته بالاعتماد الكلّي والمطلق على إرشاد وعمل الروح القدس، حيث استمرّ من خلاله بخدمة ناجحة ومجيدة . لقد جسّدت الكلمات التالية والتي ألقاها من على منبر خيمة المتروبوليتن في ٣١ آذار من عام١٨٦١ خدمته:

إذا سرَّ الرب وباركنا، فسيجعلنا بركة متزايدة للجموع الغفيرة. ليت الله يرسل ناره المقدّسة فيتجدّد أكبر الخطاة في حيّنا، ويتغيَّر من يعيش في أوكار العار، ويترك السكّير كأسه، ويتوب من يحلف ويشتم، ويهجر الشهواني شهواته.

انهضي أيتها العظام الجافة واكتسي باللحم،

وتحولي أيتها القلوب الحجرية إلى قلوب لحمية.[١]

بالإضافة إلى هذا، تمَّ دراسة قناعات عدد من العمالقة المعمدانيين، ومدى تأثيرهم على حياة وخدمة سبيرجن، حيث تطرّقنا إلى حياة جون بنيان وجون جيل وأندرو فولر، فكل واحد من هؤلاء عاش ثابتاً على الروحانية في خدمته الرعوية كمطلب أساسي وجوهري للخدمة المباركة، وقد حذا سبيرجن حذوهم.

أظهر الاستكشاف المعمَّق لمحاضرات سبيرجن، "جولة حول الخدمة"و "محاضرات لطلابي"، فكره الخاص وقناعاته الشخصية بأن الروحانية أساسية للخدمة الناجحة والمثمرة. وقد ذكر هذا المبدأ تحديداً في آخر خطاب قدَّمه في كلية الرعاة : " تكمن جذور القداسة في إنجيل ربنا يسوع المسيح."[٢]

---

١ أمجاد الهيكل – من منبر خيمة المتروبوليتن المجلد٧.

٢ سبيرجن – أعظم حرب في العالم ٩.

أخيراً، نعتبر أن روحانية سبيرجن الشخصية تجلَّت في كتابة الترانيم وحياة الصلاة والعلاقات الشخصية وكتابة الرسائل والعظات والعبادة وأسلوب الحياة والأعمال الصالحة. لقد أشبع سبيرجن نفسه بالحضور الإلهي وبعمل إنجيل المسيح.

أتمنى أن نُبهج إلهنا القدير كما فعل سبيرجن، ونجتهد في تلميع سيوفنا بالصلاة والأمانة لنجعلها جادة في الحقِّ، ونحترس في نزع كل بقعة من بقع الخطية، فتتميّز خدمتنا كما تميَّزت خدمة سبيرجن بالسعي الجاد إلى حياة القداسة كيما نختبر فيضان البركات التى نشتاق أن نراها. أصلِّي أن نُغرم بالأمانة مثل الضبَّاط الفرسان الذين سيعطون يوماً حساباً وتقريراً إلى قائد الجيش السماوي، فنمجِّد الله ملكنا.

ملحق
تقييم الروحانية الشخصية

استنادًا إلى النموذج الروحاني الخاص بتشارلز هادون سبيرجن، تمَّ تصميم خمسة وعشرين سؤالاً من أجل حثِّ القادة الروحيين في أيامنا الحاضرة، للسعي نحو الروحانية في حياتهم وخدمتهم.

١. لقد سعى سبيرجن طوال حياته وبكل شغف للتمتّع بإلهه بكل جدية وتكريس. اذكر بعض الصفات في حياتك تشهد عن تكريسك للرب.

.....
.....
.....
.....
.....

٢. كيف يُغني السعي الجاد إلى الله حياتك؟

.....
.....
.....
.....
.....

٣. لم يفقد سبيرجن حماسه للعبادة في كل دوائر نشاطاته ومشغولياته على الرغم من الضغوط والمتطلبات المتراكمة. اكتب قائمة بالطرق والأساليب التي يمكنك من خلالها أن تؤسِّس لسلوك عابد على مدار اليوم.

.....
.....
.....
.....
.....

٤. رأى سبيرجن أن الصلاة أولوية. كيف تبني شركة وثيقة مع الله من خلال الصلاة ؟ و كيف تنمِّي هذه الشركة خلال يومك؟

.....
.....
.....
.....
.....

٥. آمن سبيرجن بأن القائد الروحي هو ذاك الخادم المشبَّع بكلمة الله والكتاب المقدس يجري في عروقه. اكتب عن منهجيتك اليومية في قراءة الكتاب المقدس، واشرح كيف تتأمل وتحفظ كلمته المقدسة؟

.....
.....
.....
.....
.....

٦. لقد رأى سبيرجن أن الروحانية المسيحية كأولوية تفوق المواهب والقدرات. كيف تقتني وتنمِّي هذه النعمة؟

.....
.....
.....
.....
.....

٧. لقد آمن سبيرجن بالدعوة الخاصة والواضحة لخدمة الإنجيل . كيف تُثري دعوتك للخدمة، وكيف تشحذها بالرؤية ؟

.....
.....
.....
.....
.....

٨. لقد قوّت دعوة الله سبيرجن وسط صراعاته مع المشقات الكثيرة. كيف ترفع دعوة الله حياتك الشخصية، وكيف تدفع خدمتك في الأوقات الصعبة ؟ اعط أمثلة.

.....
.....
.....
.....
.....

٩. لقد كان الله هو المركز في خدمة سبيرجن، كما آمن بقوة بمعاملات العناية الإلهية، فوضع قلبه على العمل. اذكر قائمة ببراهين معاملات عناية الله في حياتك وخدمتك

.....
.....
.....
.....
.....

١٠. نظراً لخدمة سبيرجن المجهدة، وتعبه في الخدمة و ليس تعبه من الخدمة. ماذا يعني هذا لك في حياتك الشخصية وخدمتك؟ أعط مثلاً حول ذلك.

.....
.....
.....
.....
.....

١١. لقد آمن سبيرجن بمحورية المسيح في الوعظ والتعليم. هل هذا هو محور أسلوب وعظك ؟ كيف تطوّر هذا الأمر ؟

.....
.....
.....
.....
.....

١٢. قدّم سبيرجن الإنجيل، بكثير من العاطفة والرغبة الشديدة، كما توسَّل الخطاة ليتوبوا ويرجعوا إلى المسيح. هل يتضمّن أسلوب وعظك هذه التعبيرات؟ اعط أمثلة.

.....
.....
.....
.....
.....

١٣. تميَّزت صلوات سبيرجن المنبرية بالإلحاح، والشغف، والجرأة. ما هي مواصفات صلاتك الجماهيرية ؟

.....
.....
.....
.....
.....

١٤. استمتع سبيرجن بقراءة وتأمّل كُتب الطهوريين. هل تبقي كتبك على الرفّ أم أنها تثري قلبك؟ اكتب خطتك الشخصية لقراءة الكتب الروحية.

.....
.....
.....
.....
.....

١٥. فاضت مراسلات سبيرجن بالتشجيع لزملائه الخدّام ولآخرين. هل تشجّع وتعزّز الروحانية في مراسلاتك؟ كيف تعمل هذا؟ أم لم تمارس هذه القيمة سابقاً، حدِّد خمسة أشخاص يحتاجون إلى تشجيع واكتب لهم.

.....
.....
.....
.....
.....

١٦. احتفظ سبيرجن بعلاقة حميمة مع زوجته سوسنّا. كيف هي علاقتك مع الزوجة أو الزوج؟ حدّد خمس طرق يمكن أن تقوّي و تُنمّي من خلالها علاقتك الزوجية.

.....
.....
.....
.....
.....

١٧. كرَّس سبيرجن وزرع عبادة عائلية في المنزل. كيف تفعل ذلك كمبدأ أساسي يومي ؟

.....
.....
.....
.....
.....

١٨. استمتع سبيرجن بمحبة واحترام أولاده تشارلز وتوماس. صِف محبة واحترام أولادك لك ؟

.....
.....
.....
.....
.....

١٩. لقد آمن سبيرجن في القيادة ذات الرؤية، وقد ظهر هذا في تأسيسه لكلية الرعاة، وتشييده لمبنى خيمة المتروبوليتن، واستضافته للمنظمات المسيحية وغيرها. ضع مخطط خدمة مبني على رؤية لمدة خمس سنوات.

.....
.....
.....
.....
.....

٢٠. كنتيجة لإيمانه بعقائد النعمة، سعى سبيرجن لرؤية براهين بركات المسيح في حياته والخدمة. ما هي البراهين التي اختبرتها في حياتك وكانت سبباً لتشجيعك في خدمتك؟ قدّم أمثلة.

.....
.....
.....
.....
.....

٢١. لقد خسر سبيرجن أصدقاءه المقرّبين نتيجة لتمسّكه بالحق وثباته عليه. هل ترغب بالوقوف ثابتاً من أجل أساسيات الإيمان ؟ لو كان كذلك، فكيف؟

.....
.....
.....
.....
.....

٢٢. لقد رأى سبيرجن أن تدريب الخدَّام هو أعظم مهمة . كيف تؤسِّس و تُدرِّب قادة الغد ؟

.....
.....
.....
.....
.....

٢٣. لقد رأى سبيرجن أن الكتابة بالإضافة إلى الوعظ أحد أهم وسائل تشكيل حياة الآخرين. كيف تستطيع تنمية خدمة الكتابة في سبيل تقوية وتعزيز الروحانية بين شعب المسيح ؟

.....
.....
.....
.....
.....

٢٤. كان سبيرجن واعياً لدور الروح القدس، ليس فقط في اجتماعات الصلاة لكن أيضاً في خدمة الوعظ. كيف تنمِّي الوعي والحساسية إلى إرشادات الروح القدس؟

.....
.....
.....
.....
.....

٢٥. حدد بعض من المبادئ التي تعلّمتها من حياة سبيرجن، والتي ستساعدك في سعيك إلى الروحانية.

.....
.....
.....
.....
.....

المصطلحات

اعتُمِدت هذه المصطلحات مستندةً بشكل كبير على قاموس اللاهوت الإنجيلي (غراند رابيدز: دار الكتاب بيكر ١٩٨٤).

الأنغليكانية: الانغليكانية هي تقليد داخل المسيحية تتألف من الكنائس التاريخية المرتبطة بكنيسة انكلترا، أو الكنائس التي تشبهها في العقيدة والعبادة والهيكلية الكنسية.

اللانميونية: عقيدة تدعو المؤمنين لعدم أهمية الكرازة، أو إطاعة القانون الأخلاقي للعهد القديم.

الأرمينية: الموقف اللاهوتي لأرمينيوس جاكوبوس (١٥٦٠–١٦٠٩)، والحركة التي تبعت تعاليمه. إنصبّ تركيز هذه الحركة على تأكيد الإرادة الحرّة للإنسان وإنكار سيادة الله في خلاص الانسان.

التجديد بالمعمودية: هرطقة تنصّ على أن المعمودية هي واسطة الخلاص.

المعمداني: هو الشخص الذي يؤمن أن الكنيسة تتألف من أفراد تجدّدوا بالروح القدس، وحصلوا على الخلاص بالاختبار الشخصي من خلال الايمان في الرب يسوع المسيح، والمعمودية تمارس بالتغطيس للذين آمنوا وقبلوا المسيح ربًّ ومخلص [راجع اعتراف لندن الأول (١٦٤٤) و اعتراف لندن الثاني(١٦٨٩)].

جمعية الإرسالية المعمدانية: منظمة مسيحية إرسالية تأسست في انكلترا عام ١٧٩٢ بهدف التبشير والكرازة.

معمودية المؤمن: العقيدة التي تنصّ على أن المعمودية بالتغطيس لأولئك الذين آمنوا بالمسيح رباً ومخلصاً. إن المعمودية هي إعلان جهاري عن عمل التجديد بالروح القدس في حياة وقلب المؤمن.

الكالفيني: الشخص الذي يعتنق تعاليم جون كالفن ويتمسّك بها، فتعاليم كالفن ملخصة وبشكل رائع بما يعرف بـ «عقائد النعمة».

الابرشانيون (المستقلون): ظهرت الابرشانية كنظام بعد بروز حركة الإصلاح والانفصالية في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر.

الانفصالي: هو إنسان القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والذي رفض الانتماء إلى كنيسة إنكلترا.

الكرازة: إعلان الأخبار السارة للخلاص بيسوع المسيح بهدف تحقيق المصالحة بين الانسان الخاطىء والله الآب من خلال عمل المسيح الكفاري بقوة تجديد الروح القدس.

علم التفسير: التفسير النصّي هو استخلاص الحق الكتابي من النصّ في إطار سياقه الأصلي.

البدعة: تتميز بالخروج عن المعتقدات والمعايير المقبولة، ولكنها ليست مختلفة بما يكفي لكي تسمى هرطقة.

الكلفينية العالية: تتجاوز هذه الفكرة عقيدة الكالفينية. وتؤكد على أن الله يختار مسبقاً الذي يريده أن يخلص، لا حاجة للبشارة والكرازة بالانجيل.

معمودية الأطفال: ممارسة تعميد الرضّع والأطفال الصغار للآباء والأمهات المؤمنين. هو الإيمان الداعي بأن المعمودية ليست ممارسة للتوبة والإيمان، بل هي علامة العهد كالختان في العهد القديم.

الانغليكانية المتحررة: مجموعة من القساوسة الأنغليكان في القرن السابع عشر، والذين تبنّوا موقف الاحترام لسلطة العقل والفكر التسامحي، والنهج اللاعقائدي. كان موقفهم هذا كردة فعل على الكالفينية الطهورية، حيث كانوا في ظاهرهم أرمينيين.

الليبرالية: هي حركة بعيدة عن العقيدة الأرثوذكسية (التقليدية)، وذلك في محاولة للتوفيق بين تعاليم الكتاب المقدس مع المجالات الإنسانية أو العلمية أو العلمانية. انكرت هذه الحركة العقائد الكتابية الأساسية مثل عصمة الكتاب المقدس والثالوث ولاهوت المسيح وميلاده العذراوي وقيامته والخلاص بالنعمة.

الحداثة: انظر «الليبرالية».

الانفصالي: هو البروتستانتي الذي لا يتفق ضميرياً وعقائدياً مع كنيسة انكلترا، وخاصة بعد ١٦٦٢.تتألف جماعة الانفصاليين من المستقلين (الابرشيين) والمشيخيين والمعمدانيين والكويكرز أو الاصدقاء.

أوليفر تويست: قصة لتشارلز ديكنز نشرت عام ١٨٣٨ تتكلم عن يتيم اسمه أوليفر تويست، والذي هرب إلى لندن بعد أن عاش حياة بائسة في الإصلاحية، ومن ثم مع رجلٍ كان بمثابة وصيّ عليه، وفي لندن قاد أوليفر عصابة من النشّالين.

الأرثوذكسية: الإيمان بمعايير العقائد المقبولة والصحيحة التي يعلّمها الكتاب المقدس.

المشيخي: الشخص الذي هو جزء من نظام يؤكد على أهمية الشيوخ أو القساوسة. إعتنقت الكنائس المشيخية مبادئ إيمان اعتراف بلجيك (١٥٦١)، وتعليم هيدلبرغ (١٥٦٣)، واعتراف وستمنستر (١٦٤٦).

الطهوري: عضو في حركة إصلاح ضعيفة التنظيم، والتي نشأت أثناء الإصلاح الإنجليزي في القرن السادس عشر. استوحي الاسم من الجهود الرامية «لتطهير» كنيسة انجلترا من قبل أولئك الذين شعروا بأن الإصلاح لم يكتمل. في نهاية المطاف استمرّ الطهوريون في محاولة تطهير الذات والمجتمع أيضاً. ركّز الطهوريون بشكل عام على أربعة قناعات: (١) الخلاص الشخصي هو بكامله من الله (٢) الكتاب المقدس هو الدستور الوحيد للسلوك والحياة (٣) يجب أن تعكس الكنيسة التعليم الصريح للكتاب المقدس (٤) آمن الطهوريون أن الجنس البشري يعتمد تماما على الله في سبيل خلاصه.

الراوند هادس أو البرلمانيون: هم أنصار أوليفر كرومويل والبرلمان الانكليزي أثناء الحروب الأهلية الإنجليزية (١٦٤٢-١٦٤٦، ١٦٤٨-١٦٤٩ و ١٦٤٩-١٦٥١).

الملكيون: أنصار تشارلز الأول (١٦٠٠-١٦٤٩) أثناء الحروب الأهلية الإنجليزية.

السابيلية: جاء هذا المصطلح من إسم سابيليوس اللاهوتي والكاهن الذي عاش في القرن الثالث. وقد عرفت أيضا بالموداليةوالتي تنفي الثالوث. حيث أعلنت أن الآب والابن والروح القدس هي أنماط مختلفة لإله واحد بدلاً من ثلاثة أقانيم في جوهر واحد.

جيش الخلاص: أسس ويليام بوث جيش الخلاص عام ١٨٦٥. لقد تأسس لشن حرب مزدوجة ضد الفقر وقوّة الخطية.

السوسانية: سوسينوس هرطوقي أنكر الخطية الأصلية والاختيار المسبق والثالوث وقيامة الأجساد كما أنكر لاهوت المسيح وعمله الكفّاري.

قانون التوحيد : قانون كنسي أنغليكاني تمّ فرضه عام ١٥٥٩ حيث عزّز كتاب الصلاة المشتركة. وفقا لهذا القانون، يجب على كل فرد أن يذهب إلى الكنيسة مرة واحدة في الأسبوع أو أن يدفع غرامة مقدارها ١٢ بنساً.

عقائدالنعمة: تتألف العقائد الكالفينية الاساسية من خمسة أجزاء: (١) الفساد التام، أي عقيدة عدم قدرة الانسان الحصول على البرّ أو الايمان من خلال قواه

الشخصية لان كل جزء فيه فاسد بالخطية (٢) الاختيار الغير مشروط، تنص هذه العقيدة على أن الله قد اختار الذين سوف يخلّصهم قبل تأسيس العالم، فالخلاص مبني على نعمة الله خارج إطار الزمن، وبالتالي ليس مشروطاً بتصرفاتنا أو حالتنا (٣) الكفارة المحدودة، تنص العقيدة على أن الله اختار بإرادته المتفوّقة البعض ليخلّصهم وفي الوقت عينه تغاضى عن آخرين بسلطانه المطلق من أجل تتميم مقاصده الازلية (٤) النعمة التي لا تقاوم، تنصّ العقيدة على أن دعوة الله دعوة فعلية فاعلة، أي أن اختياراللهِ هو اختيار هادف والذي يؤدي بشكل لا لبس فيه لخلاص الشخص المختار (٥) مثابرة القديسين، تنص العقيدة على أن الله يضمن وصول المختار الى المجد، فلا توجد تجربة مهما عظمت تقدر أن تسلبنا من يد المسيح، فنحن محفوظين وآمنين ومختومين بدم المسيح وبسكنى الروح القدس. تنصّ هذه العقيدة أيضاً على أن شعب المسيح سوف يثبت من خلال مثابرته في الإخلاص والحق والمحبة.

إسقاط الصف الجدلي: هوالجدل حول العقائد ومحاولة إسقاطها (١٨٨٧-١٨٨٩)، حيث اشترك سبيرجن في هذا الجدال مدافعاً عن الحقّ الكتابي، فحاول البعض تقويض عقيدة وحي الكتاب المقدس، وألوهية المسيح والعقاب الأبدي وعقائد أساسية أخرى.

قانون الخمسة أميال: قانون انجليزي تم تنفيذه عام ١٦٦٥ والذي سعى إلى التشديد على الامتثال لكنيسة انجلترا، وقد تم طرد ونفي كل من لم يخضع لهذا القانون، حيث منع هذا القانون المصلحين (المبشرين) من الاقتراب أو التبشير في دائرة قطرها خمسة أميال من مبنى أي كنيسة إنغليكانية – كنيسة إنكلترا، فحُرِمَ العديد من الخدّام من سبل عيشهم في إطار هذا القانون.

انكلترا الفيكتورية: المملكة المتحدة اثناء حكم الملكة فيكتوريا(١٨٣٧-١٩٠١).